

1

117

سورة النبأ اربعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون فيه وجوه
الاول في بيان النظم انه تعالى اخبر في آخر سورة المرسلات عن الكفرة انهم ما آمنوا وانهم كذبوا
فبينا عن القيمة وافزاعها واحوالها والعقوبات الهائلة فيها لمن اصر على الباطل
وسألوا عن الرسول بالتعنت والاستهزاء ان القيمة متى هي وكيف هي وفي اول هذه
السورة انهم عن اي شيء سألوا عنه فقال عم يتساءلون عن النبأ العظيم يعني القيمة الثاني
عم اصله عما لانه حرف جر دخل على ما الاستفهام والاصل لا يستعمل الا قليلا ثم في الحذف
وجوه منها وهو قول الزجاج ان الميم مع الغنة في الالف كالحرفين المثلين ومنها
وهو قول الجرجاني انهم لو وضعوا ما للاستفهام حذفوا الفها للفرق بينها وبين ان يكون
اسما كقولهم بم ولم وعلام وحتام ومنها انهم حذفوا الالف لاتصالها بحرف
الجر حتى صار كجزء منه لينبئ عن شدة الاتصال ومنها انه للتخفيف في الكلام فانه من الالفاظ
كثير التداول على اللسان الثالث عم يتساءلون بيان السؤال وقوله عن النبأ العظيم بيان
الجواب والسائل والمجيب هو الله تعالى وذلك يدل على علمه بالغيب بل بجميع المعلومات فان قيل
ما الفائدة في ذكر السؤال والجواب معا فنقول ايراد الكلام في معرض السؤال والجواب اقرب
الى التفهيم الرابع قرأ عكرمة وعيسى بن عمر عما وهو الاصل وقرأ ابن كثير عمه بهاء
السكتة ولا يبعد ان يجري الوصل مجرى الوقف الخامس كلمة ما وضعت لطلب ماهية
الشيء فيقال ما الملك وما الروح وذلك يدل على عدم العلم بتلك الماهية ثم ان الشيء
العظيم الذي يكون لعظمه وتفاقم مرتبته يعجز العقل عن ان يحيط بكنهه فيكون بينه
وبين المطلوب بلفظ ما مشابهة من هذا الوجه الاعظم السادس التساؤل هو ان يسأل بعضهم
بعضا وقد يستعمل في ان يتحدثونه وان لم يكن فيه سؤال قال تعالى واقبل بعضهم على بعض
يتساءلون الآية انه على معنى يتحدثون فيكون معنى الكلام عم يتحدثون وهذا قول الفراء
السابع قيل ان الذين كانوا يتساءلون هم الكفار يدل عليه قوله تعالى كلا سيعلمون

2

ثم كلا سيعلمون الا انه تهديد والتهديد لا يليق الا بالكفار فان قيل فما يصنع بقوله
هم فيه مختلفون مع انهم ما اختلفوا في انكار الحشر قلنا بل اختلفوا فان منهم من يثبت
المعاد الروحاني وهو جمهور النصارى واما الجسماني فمنهم من انكره ويقول ان هي الا حياتنا
الدنيا وان منهم من كان يشك فيه ويقول وما اظن الساعة قائمة الآية وايضا هب انهم كانوا
منكرين له لعلهم كانوا مختلفين في كيفية انكاره فمنهم من كان ينكره لانه كان ينكر
الصانع ومنهم من ينكره لانه كان ينكر النبوة ومنهم من كان ينكره لامتناع اعادة المعدوم
في اعتقاده وهذا هو المراد بقوله تعالى هم فيه مختلفون وقيل انهم هم الكفار والمؤمنون وكانوا
جميعا يتساءلون عنه اما المؤمنون فلزيادة اليقين في الدين واما الكفار فلايراد الشكوك
والشبهات والسخرية والاستهزاء وقيل انهم كانوا سألوا الرسول ويقولون ما هذا الذي
تعدنا به من امر الآخرة اما قوله تعالى عن النبأ العظيم ففيه مباحث احدها انه ذكروا في تفسير
النبأ ثلثة اوجه احدها انه هو القيمة وهذا هو الاقرب ويدل عليه قوله تعالى كلا سيعلمون
اذ الظاهر ان المراد سيعلمون ما يتساءلون عنه وكذلك يدل عليه قوله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون
ليوم عظيم واليوم العظيم يوم القيمة ويدل عليه ايضا قوله تعالى قل هو نبأ عظيم ولان
هذا اليوم يوم عظيم لانتهاء فزع الخلق وخوفهم منه فكان اسم العظيم به لايقا وثانيها
انه هو القرآن لان النبأ اسم الخبر لا اسم المخبر عنه فتفسير النبأ بالقرآن اولى من تفسيره بالقيمة
وغيرها ولان القرآن من جملة ما كانوا مختلفون فيه منهم من قال انه شعر ومنهم من قال انه سحر
ومنهم من قال هذا اساطير الاولين وثالثها انه هو نبوة محمد عليه السلام جعلوا يتساءلون
بينهم ما هذا الذي حدث فانزل الله تعالى عم يتساءلون لانهم عجبوا منه كما قال وعجبوا ان جاءهم
منذر منهم الآية فاخبر الله تعالى عن مسائلة بعضهم بعضا على سبيل التعجب بقوله عم يتساءلون
الثاني في اتصال هذه الآية بما قبلها وجوه احدها وهو قول البصريين ان قوله عم يتساءلون
كلام تام ثم قال عن النبأ العظيم والتقدير يتساءلون عن النبأ العظيم وثانيها وهو اختيار

الكوفيين ان الآية الثانية متصلة بالاولى على تقدير لاى شيء يتساءلون عن النبأ العظيم
استفهاما متصلا بما قبله والتقدير عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون
قوله تعالى كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون قال القفال كلا وضعت لرد شيء قد تقدم هذا هو
الاظهر منها في الكلام والمعنى ليس الامر كما يقوله هؤلاء في النبأ العظيم انه باطل وانه لا يكون
وعند قوم كلا معناها حقا ثم انه تعالى قرن بذلك الردع والتهديد فقال كلا سيعلمون وهو
وعيد لهم بانهم سيعلمون ان ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق لا دافع له واما تكرير الردع
ففيه وجهان احدهما ان الغرض منه التاكيد ومعنى ثم الاشعار بان الوعيد الثاني ابلغ من
الاول وثانيهما ان ذلك ليس بتكرير وذلك لوجوه احدها وهو قول الضحاك الآية الاولى للكفار
والثانية للمؤمنين اي سيعلم الكفار عاقبة تكذيبهم وسيعلم المؤمنون عاقبة تصديقهم و
ثانيها وهو قول القاضي يحتمل ان يريد بالاول سيعلمون نفس الحشر والمحاسبة وبالثاني سيعلمون
نفس العذاب اذا شاهدوه وثالثها كلا سيعلمون ما الله فاعل بهم يوم القيمة ثم كلا سيعلمون
ان الامر ليس كما يتوهمونه من ان الله تعالى ليس يبعثهم الثالث جمهور القراء بالياء المنقوطة من
تحت وروى بالتاء عن ابن عامر قال الواحدي رحمه الله والاول اولى لان ما تقدم من قوله
هم فيه مختلفون على لفظ الغيبة وفيه نظر فانه يمكن ان يكون على سبيل الالتفات قوله تعالى
الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم
سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا
شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج
به حبا ونباتا وجنات الفافا انه تعالى لما حكى عنهم انكار البعث والحشر اراد اقامة
الدلالة على صحة الحشر فقدم لذلك مقدمة في بيان كونه تعالى قادرا على جميع الممكنات عالما
بجميع المعلومات وانما قدم هذه الدلالة لان تلك الاشياء من جهة حدوثها تدل على القدرة ومن جهة
احكامها تدل على العلم ولما ثبت ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض ثبت انه تعالى قادر على

اعدام

3

اعدام هذه الاشياء وايجاد عالم آخر وهذا هو الاشارة الى كيفية النظم واعلم انه تعالى ذكر في هذا
[illegible] عجايب مخلوقاته اولها الم نجعل الارض مهادا والمهاد مصدر ثم الكلام
في[illegible] احدهما مهادا اي ممهودا فسمي بالمصدر وثانيها ان يكون وصف الارض بهذا
المصدر كناية وثالثها قرئ مهدا اي ذات مهد ومعناه ان الارض للخلق كالمهد للصبي وقد
مر في تفسير قوله تعالى جعل لكم الارض فراشا ما يتعلق من الحقائق بهذه الآية وثانيها من تلك
العجايب قوله تعالى والجبال اوتادا اي للارض حتى لا تميد باهلها فيكمل كون الارض مهادا بسبب ذلك
كما تقدم وثالثها قوله تعالى وخلقناكم ازواجا وفيه قولان احدهما المراد منه الذكر والانثى
وثانيهما المراد منه كل زوجين متقابلين من الحسن والقبيح والطويل والقصير والصغير
والكبير [illegible] وانه يدل على كمال قدرته ونهاية حكمته حتى يصح الابتلاء والامتحان فيتعبد
الفاضل بالشكر والمفضول بالصبر ورابعها قوله تعالى وجعلنا نومكم سباتا ثم من الجهال من
طعن فيه وقال السبات هو النوم فالمعنى وجعلنا نومكم نوما ثم العلماء ذكروا في التاويل
وجوها منها وهو قول الزجاج سباتا اي موتا والمسبوت الميت من السبت وهو القطع
لانه مقطوع عن الحركة وقد قيل فيه انه ضعيف اذ الاشياء المذكورة في هذه الآية جلايل النعم
فلا يليق الموت بهذا الموضع ومنها قول الليث السبات النوم الذي هو كالغشي يقال سبت
المريض فهو مسبوت وانه ضعيف ايضا لان الغشي هنا ان كان هو النوم فقد عاد
الاشكال وان كان هو ما يشبه الموت من الغشي فكذلك لانه مرض فلا يليق ذكره في هذا الموضع
ومنها السبت في اللغة القطع ثم عند هذا يحتمل وجوها المعنى نومكم نوما منقطعا لا دائما فان
النوم بقدر الحاجة من انفع الاشياء وثانيها ان الانسان اذا تعب ثم نام فذلك النوم يزيل
ذلك التعب [illegible] تلك الازالة سبتا وهذا هو المراد من قوله سباتا اي راحة وثالثها وهو
قول المبرد نومكم سباتا اي نوما خفيفا يمكنكم دفعه وقطعه وهذه الوجوه كلها صحيحة
وخامسها قوله تعالى وجعلنا الليل لباسا وقال القفال اصل اللباس هو الشيء الذي يلبسه

الانسان ويتغطى به فلما كان الليل يغشى الناس بظلمته فيغطيهم جعل لباسا لهم على وجه
المجاز واما وجه النعمة في ذلك فهو ان ظلمة الليل تستر الانسان عن العيون اذا اراد هربا من عدو
او بياتا له او اخفاء ما لا يحب للانسان اطلاع غيره عليه وايضا فكما ان الانسان بسبب
اللباس يزداد جماله وقوته ويندفع عنه اذى الحر والبرد فكذا لباس الليل بسبب ما يحصل
فيه من النوم يزيد في جماله وفي طراوة اعضائه وفي تكامل قواه الحسية ويندفع عنه اذى
التعب الجسماني واذى الافكار الموحشة النفسانية وسادسها قوله تع وجعلنا النهار معاشا
وفيه وجهان احدهما انه مصدر يقال عاش يعيش عيشا ومعاشا ومعيشة وعيشة
وعلى هذا التقدير لا بد فيه من اضمار والمعنى وجعلنا النهار وقت معاش وثانيها ان يكون
معاش مفعلا وظرفا للتعيش وعلى هذا التقدير لا حاجة الى الاضمار ومعنى كون النهار
معاشا ان الخلق انما يمكنهم التقلب في حوائجهم ومكاسبهم في النهار لا في الليل وسابعها
قوله تع وبنينا فوقكم سبعا شدادا اي سبع سموات شدادا جمع شديدة يعني محكمة قوية لا يؤثر
فيها مرور الازمان ولا احركتها بالزيادة والنقصان **فان قيل** لفظ البناء يستعمل في
اسافل البيت والسقف في اعلاه **قلنا** البناء يكون ابعد عن الآفة والانحلال من السقف
فقوله تع وبنينا اشارة الى انه وان كان سقفا لكنه في البعد عن الانحلال كالبناء وثامنها
قوله تع وجعلنا سراجا وهاجا كلام اهل اللغة مضطرب في تفسير الوهاج فمنهم من
قال يجمع النور والحرارة فبين الله تع ان الشمس بالغة الى اقصى الغايات في هذين الوصفين
وهو المراد بكونها وهاجا وعن الكلبي ان الوهاج على قول ابن عباس رضه مبالغة في النور
فقط يقال للجوهر اذا تلالا توهج وهذا يدل على ان الوهاج يفيد الكمال في النور وفي كتاب
الخليل الوهج حر النار او الشمس وهذا يقتضي ان الوهاج هو البالغ في الحر وتاسعها
وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا اما المعصرات ففيها قولان احدهما وهو احدى
الروايتين عن ابن عباس رضه وقول مجاهد ومقاتل والكلبي وقتادة انها الرياح التي

تثير السحاب لقوله تع الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا **فان قيل** فعلى هذا
كان ينبغي ان يقال وانزلنا بالمعصرات **قلنا** الجواب عنه من وجهين احدهما ان المطر انما
ينزل من السحاب والسحاب انما تثيره الرياح فصح ان يقال هذا المطر انما حصل من تلك
الرياح وثانيها ان من هاهنا بمعنى الباء والتقدير وانزلنا بالمعصرات اي بالرياح المثيرة
للسحاب وروي عن ابن عباس رضه وعبد الله بن الزبير وعكرمة انهم قرءوا وانزلنا بالمعصرات
والقول الثاني هو الرواية الثانية عن ابن عباس واختيار ابي العالية والربيع والضحاك
انها السحاب وانما سميت السحائب بالمعصرات لان المعصرات هي السحائب بلغة قريش وعن
المازني يجوز ان يكون المعصرات هي السحائب ذوات الاعاصير فان السحائب اذا عصرتها الاعاصير
لا بد وان ينزل المطر منها واما الثجاج فاعلم ان الثج شدة الانصباب يقال مطر ثجاج
اي شديد الانصباب والثج قد يكون لازما وهو بمعنى الانصباب وقد يكون متعديا بمعنى الصب
وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وبالجملة فالمراد
تتابع القطر قوله تع لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا فيه مباحث الاول كل ما
ينبت في الارض فاما ان لا يكون له ساق واما ان يكون والاول اما ان يكون له كمام وهو
الحب واما ان لا يكون له كمام وهو الحشيش وهو المراد بالنبات والثاني هو الشجر فاذا اجتمع
منها شيء كثير سميت جنة واما تقديم الحب فلانه هو الاصل في الغذاء والنبات لاحتياج
سائر الحيوانات اليه والجنات لان الحاجة الى الفواكه ليست ضرورية الثاني اختلفوا في
الالفاف قال صاحب الكشاف انه لا واحد له كالاوزاع وهي الجماعات المتفرقة والاخياف وهي
الجماعات المختلطة وعند الكثير له واحد ثم عند الاخفش والكسائي واحدها لف بالكسر
او بالضم وانكر المبرد الضم وقال بل واحدها لفاء وجمعها لف وجمع لف الفاف وقيل
يحتمل ان يكون جمع لفيف كشريف واشراف نقله القفال رح فقوله تع وجنات الفافا اي
ملتفة والثالث كان الكعبي من القائلين بالطبايع فاحتج بقوله لنخرج به حبا و

نباتا وقال انه يدل على بطلان قول من قال ان الله تعالى لا يفعل شيئا بواسطة شيئ
آخر قوله تع ان يوم الفصل كان ميقاتا يوم ينفخ في الصور فتأتون
افواجا وفتحت السماء فكانت ابوابا وسيرت الجبال فكانت سرابا
اعلم ان هذه الاشياء التسعة التي عددها الله تع نظر الى حدوثها في ذواتها وصفاتها
ونظر الى امكانها في ذواتها وصفاتها يدل على القادر المختار ونظر الى ما فيها من الاحكام
والاتقان يدل على كون الصانع عليما حكيما ثم ان ذلك الصانع القديم يجب ان يكون علمه
وقدرته واجبا والا لافتقر الى صانع آخر ولزم التسلسل ولو كانا واجبا وجب تعلقهما
بجميع ما صح ان يكون مقدورا ومعلوما والا لافتقر الى المخصص وذلك محال ولو كان كذلك
وجب ان يكون قادرا على جميع الممكنات عالما بجميع المعلومات فكان قادرا على تخريب هذا العالم و
ايجاد عالم آخر وعند ذلك ثبت ان القول لقيام القيمة ممكن عقلا واما كيفية حدوثها
فذلك بالسمع ثم انه تعالى تكلم في هذه الاشياء فقال ان يوم الفصل كان ميقاتا وهو
ذكر بعض احوال القيمة والمعنى ان هذا اليوم كان في تقدير الله تع وحكمه حدا توقت
به الدنيا او حدا للخلايق او كان ميقاتا لما وعد الله تع من الثواب والعقاب او لاجتماع جميع
الخلايق في فصل الحكومات وقطع الخصومات ثم قال تعالى يوم ينفخ في الصور يوم ينفخ بدل
من يوم الفصل او عطف بيان وهذا النفخ هو النفخة الاخيرة التي عندها الحشر والنشر وقد
قيل ان الصور جمع الصورة فالنفخ في الصور عبارة عن نفخ الارواح في الاجساد وهذا هو القريب
من الخبر الذي مر بيانه وقوله تع فتأتون افواجا معناه انهم يأتون فوجا فوجا حتى
يتكامل اجتماعهم قال عطا كل نبي يأتي مع امته كما في قوله تع يوم ندعوا كل اناس بامامهم
روى صاحب الكشاف عن معاذ انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال عليه السلام
يا معاذ سألت عن امر عظيم ثم ارسل عينيه وقال يحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة
وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم على صورة يكون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها

وبعضهم

وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما الحديث ثم قال وفتحت السماء فكانت ابوابا قرأ عاصم
وحمزة والكسائي فتحت بالتخفيف والباقون بالتشديد والمعنى كثرت ابوابها المفتحة لنزول
الملائكة فان قيل قوله تع وفتحت السماء فكانت ابوابا يفيد ان السماء بكليتها تصير
ابوابا فكيف يعقل ذلك قلنا ان تلك الابواب لما كثرت جدا صارت كأنها ليست الا
ابوابا مفتحة كما في قوله تعالى وفجرنا الارض عيونا وقد قيل هذا من باب حذف المضاف و
التقدير فكانت ذات ابواب ثم قال تع وسيرت الجبال فكانت سرابا اعلم انه تع ذكر في مواضع
احوال هذه الجبال على وجوه مختلفة يعرف في مواضعها ما قيل في كل موضع وفي كل حالة
من تلك الاحوال الحاصلة فلا حاجة الى البسط في هذا الموضع ثم الاحوال المذكورة الى هذا
الموضع هي احوال عامة للقيمة ومن هذا الموضع ذكر احوال جهنم واهوالها فقال ان جهنم
كانت مرصادا للطاغين مآبا وفيه مباحث الاول قرئ ان جهنم بفتح الهمزة
على تعليل قيام الساعة بان جهنم كانت مرصادا للطاغين كانه قيل كان ذلك لاقامة
الجزاء الثاني كانت مرصادا اي في علم الله تع وقيل صارت وانهما مما نقله القفال وقال القاضي
انا اذا فسرنا المرصاد بالمرتقب افاد ذلك ان جهنم كانت كالمنتظر المعد لهم من قدم الزمان
كالمستعد لهم الثالثة في المرصاد قولان احدهما ان المرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه
كالمضمار اسم للمكان الذي يضمر فيه الخيل وثانيهما ان المرصاد مفعال من الرصد وهو
الترقب بمعنى ان ذلك يكثر منه والمفعال من ابنية المبالغة على ما عرف ثم تمسكوا بالقوم
الا ... استدلوا على صحة قولهم بقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد ولو كان المرصاد نعتا لوجب ان يقال
ان ربك لمرصاد الرابع دلت الآية على ان جهنم كانت مخلوقة ولو كان كذلك لكانت الجنة
مخلوقة ايضا ثم قال للطاغين مآبا ففيه وجهان احدهما انه مرصاد الكفار فقط وحينئذ
يكون قوله للطاغين من تمام ما قبله والتقدير ان جهنم كانت مرصادا للطاغين ثم
قوله مآبا بدل من قوله مرصادا وثانيهما انه مرصاد لاهل الكفر والايمان وحينئذ يكون قوله

ان جهنم كانت مرصادا كلاما تاما وقوله للطاغين كلام مستانف كانه قيل ان جهنم
كانت مرصادا للكل ومآبا للطاغين خاصة ثم المراد بالطاغين من تكبر على ربه وطغى في
مخالفة اوامره ونواهيه مآبا اي مصيرا ومقرا قال **لابثين فيها احقابا** وفيه مباحث الاول
انه تع لما بين ان جهنم مآب للطاغين بين كمية استقرارهم هناك فقال لابثين فيها احقابا
الثاني قرا حمزة لبثين وانهما عند الفراء بمعنى واحد يقال لابث ولبث وقال في الكشاف اللبث
اقوى لان اللابث من وجد منه اللبث ولا يقال لبث الا لمن شانه اللبث وهو ان يستقر في
المكان ولا يكاد ينفك عنه الثالث قال الفراء اصل الحقب من الترادف والتتابع يقال احقب
اذا اردف ومنه كل من حمل وزرا فقد احتقب فيجوز على هذا المعنى لابثين فيها احقابا اي
دهورا مترادفة يتبع بعضها بعضا ويدل عليه قوله تع لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او
امضي حقبا واعلم ان الاحقاب واحدها حقب وهو ثمانون سنة عند اهل اللغة والحقب
السنون واحدها حقبة وهي زمان من الدهر لا وقت له ثم نقل عن ابن عباس رض الحقب الواحد
بضع وثمانون سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما واليوم الف سنة من سني الدنيا وعن
الحسن انه قال الاحقاب لا يدري احد ما هي ولكن الحقب الواحد سبعون الف سنة **فان قيل**
الاحقاب وان طالت لكنها متناهية وعذاب اهل النار غير متناهي **فنقول** الجواب عنه
من وجهين احدهما انه لا يدل على التناهي بل الواحد منها متناهي والمعنى انهم يلبثون
فيها احقابا كلما مضى حقب تبعه حقب آخر وهكذا الى الابد وثانيهما وهو قول الزجاج
المعنى انهم يلبثون احقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا فهذه الاحقاب توقيت لنوع
من العذاب وهو انهم لا يذوقون بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا ثم صاحب الكشاف رحمه الله
ذكر وجها آخر وهو ان يكون احقابا من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان
اذا اخطاه الرزق فهو حقب وجمعه احقاب فينتصب حالا عنهم بمعنى لابثين حقبين
احقابا وقوله تع لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا ثم قال تع **لا يذوقون فيها بردا ولا**

شرابا

6

شرابا الا حميما وغساقا جزاء وفاقا وفيه مباحث الاول اما القول فقول الزجاج
بيان قوله تع لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا متصل بما قبله والضمير في قوله فيها عائد الى الاحقاب
وان لم يكن كان هذا كلاما مستانفا الثاني في قوله بردا وجهان احدهما انه البرد المعروف
والمراد انهم لا يذوقون مع شدة الحر ما يكون فيه راحة من ريح باردة او ظل يمنع من ذلك الحر
ولا يجدون ماء باردا يسكن عطشهم ويزيل الحرقة عن بواطنهم وثانيهما البرد النوم
وهو قول الاخفش والفراء والكسائي وانما سمي البرد نوما لانه يبرد صاحبه قال المبرد ومن
امثال العرب منع البرد البرد اي اصابني من البرد ما منعني من النوم ثم الوجه الاول اولى
لانه بطريق الحقيقة والثاني اي النوم بطريق المجاز النادر والدليل على الثاني لهم انه لا يقال ذقت البرد
ويقال ذقت النوم والجواب كما ان ذوق البرد مجاز فكذلك ذوق النوم ولان المراد من قوله
لا يذوقون لا يستنشقون فيها نفسا باردا والهواء المستنشق من الفم والانف فجاز اطلاق
الذوق عليه الثالث ذكروا في الحميم انه الصفر المذاب وهو باطل بل الحميم الماء الحار المغلي جدا
يقدرونه وهو الشيء الذي يكرهونه
الرابع ذكروا في الغساق وجوها احدها قال ابو معاذ كنت اسمع مشايخنا يقولون الغساق
فارسية معربة من خاشاك وثانيها انه هو الزمهرير وثالثها انه ما يسيل من اعين اهل النار
وجلودهم من الصديد وغيره ورابعها هو المنتن يدل عليه قوله عليه السلام لو ان دلوا من
الغساق مهراق على الدنيا لانتن اهل الدنيا وخامسها هو المظلم قال تع ومن شر غاسق اذا وقب
فيكون الغساق شرابا اسود مكروها كراهة المظلم اذا عرفت هذا فنقول ان فسرنا الغساق
بالبارد كان التقدير لا يذوقون فيها بردا الا غساقا ولا شرابا الا حميما ونظيره قول امرئ
القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي والمعنى كان
قلوب الطير رطبا العناب ويابسا الحشف البالي وان فسرنا بالصديد او بالمنتن احتمل ان
يكون الاستثناء بالحميم والغساق راجعا الى البرد والشراب معا وان يكون مختصا بالشراب فقط
والتقدير في الاول لا يذوقون فيها برد الماء ولا شرابا غير الماء الا الحميم والصديد وفي الثاني

لا يذوقون فيها شرابا الا الحميم البالغ في السخونة والصديد المنتن والله اعلم بمراده ولا يقال
كيف هو والصديد لا يشرب فانه مايع والمايع من جنس ما يشرب لجنس وقرأ حمزة والكسائي
وعاصم غساقا بالتشديد للمبالغة والباقون بالتخفيف والاول نعت والثاني اسم ثم انه تع
لما بين انواع عقوبة الكفار بين فيما بعده انه جزاء وفاقا يعني وفاق الذنب ونظيره قوله تع
وجزاء سيئة سيئة مثلها وقيل انه وفاق من حيث انه لا يكون زائدا على قدر الاستحقاق ثم للنحاة
فيه وجوه منها ان يكون الوفاق والموافقة واحدا في اللغة والتقدير جزاء موافقا ومنها
انه نصب على المصدر يعني وافق اعمالهم وفاقا ومنها ان يكون بحذف المضاف والتقدير جزاء ذا وفاق
فان قيل كيف يجوز ان يكون العذاب الشديد الدائم وفاقا للاتيان بالكفر لحظة **فنقول**
قدمنا من قبل ان هذا بحسب الاعتقاد فان اعتقادهم حقية الباطل دائم واعلم انه تع لما بين على
الاجمال ان ذلك الجزاء كان على وفق جرمهم بين على التفصيل انواع اجرامهم بعد ذلك وهي على
قسمين احدهما قوله تع **انهم كانوا لا يرجون حسابا** وفيه سؤالان الاول ان الحساب امر
شاق على الانسان فالاولى فيه ان يقال انهم كانوا لا يخشون لانهم لا يرجون والجواب عنه من
وجوه منها ان قوله تع لا يرجون معناه لا يخافون ومنها ان المؤمنين يرجون رحمة الله لا محالة
لانهم يعتقدون ان ثواب ايمانهم زائد على عقاب معاصيهم سوى الكفر فقوله لا يرجون حسابا اشارة
الى انهم كانوا مؤمنين ومنها ان الرجاء هنا بمعنى التوقع الثاني ان الكفار كانوا اقدموا بانواع
القبائح والكبائر فما السبب في انه تعالى خص هذا النوع بالذكر فالجواب لان رغبة الانسان
في فعل الخير او في ترك المحظور انما يكون بسبب انه سينتفع في الآخرة فمن انكر الآخرة لا يمكنه الاقدام على
شيء من المستحسنات فقوله انهم كانوا لا يرجون حسابا تنبيه على انهم فعلوا كل شر وتركوا كل
خير والثاني من قسمين قوله تع **وكذبوا باياتنا كذابا** اعلم ان للنفس الانسانية قوتين
نظرية وعملية وكمال الانسان في ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به فههنا بين الله تعالى
رداءة احوالهم في الامرين اما في العملية فنبه على فسادها بقوله انهم كانوا لا يرجون حسابا اي كانوا

مقدمين على جميع القبائح والمنكرات غير راغبين في شيء من الخيرات والطاعات واما في القوة النظرية
فبقوله وكذبوا باياتنا كذابا اي كانوا منكرين بقلوبهم للحق مصرين على الباطل واعلم ان قوله تع
وكذبوا باياتنا كذابا يدل على انهم كذبوا بجميع دلائل الله تع في التوحيد والنبوة والمعاد وغير ذلك
وانه يدل على كمال حال القوة النظرية في الرداءة والفساد والبعد عن سواء السبيل وقوله كذابا اي
تكذيبا وفعال من مصادر التفعيل قال الفراء هي لغة فصيحة يمانية وقال في الكشاف قلت اي فسر
آية قال بعضهم لقد فسرتها فسارا ما سمع به وقرئ بالتخفيف وفيه وجوه منها انه مصدر كذب
يعني وكذبوا باياتنا ومنها ان تنصبه بكذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب ومنها ان يجعل الكذاب
بمعنى المكاذبة يعني وكذبوا وكاذبوا مكاذبة او كذبوا بها مكاذبين لانهم اذا كانوا عند المسلمين
كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة وقرئ ايضا كذابا وهو جمع كاذب
اي كذبوا باياتنا كاذبين ثم انه تع لما بين فساد احوالهم في قوتي النظرية والعملية بلغ الى اقصى
الغايات واعظم النهايات بين ان تفاصيل تلك الاحوال في كيفيتها وكميتها معلومة له وكذلك
مقادير ما يتعلق بها من العقوبات وقال تعالى **وكل شيء احصيناه كتابا** وفيه مباحث الاول
قال الزجاج كل منصوب بفعل مضمر تفسيره احصيناه المعنى واحصينا كل شيء وقرأ ابو السمال
بالرفع على الابتداء الثاني قوله تع وكل شيء احصيناه اي علمنا كل شيء كما هو علما لا يزول ولا يتغير
ولا يتبدل واعلم ان مثل هذه الآية لا يقبل التأويل لما انه تع ذكرها تقريرا لما تقدم من قوله
جزاء وفاقا الثالث احصيناه كتابا فيه وجهان احدهما تقديره احصيناه احصاء وانما
عدل عن تلك اللفظة الى هذه لان الكتابة هي النهاية في قوة العلم فكأنه قال احصيناه
احصاء مساويا في القوة والثبات والتأكيد للمكتوب واعلم ان هذا التأكيد على حسب افهام
اهل الظاهر اذ المكتوب يقبل الزوال وعلمه تعالى ممتنع عن الزوال والثاني ان يكون قوله
كتابا حالا في معنى مكتوبا يعني كل شيء احصيناه حال كونه مكتوبا في اللوح المحفوظ او في صحف
الحفظة ثم قال تعالى **فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا** اعلم انه تع لما شرح احوال العقاب اولا فبالغ

افعالهم نالتنا وان ذلك العقاب كان جزاء وفاقا لئلا يظهر صحة ما ادعاه من ان ذلك
العقاب كان جزاء وفاقا لاجرم اعاد ذكر العقاب وقال فذوقوا والفاء للجزاء فنبه على ان
الامر بالذوق معلل بما تقدم والاعادة يدل على شدة العذاب والمبالغة في التعذيب قال عليه السلام
هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار ولقائل ان يقول انه تع قال في صفة الكفار ولا ينظر
اليهم ولا يكلمهم وقوله تعالى فذوقوا يدل دلالة ظاهرة على انه تع كلمهم الا انا نقول قد مر
من قبل ان المراد من قوله تع لا يكلمهم انه لا يكلمهم بالكلام الطيب النافع ثم اكثر اهل
التفسير اجابوا عنه بان تقدير الآية ويقال لهم فذوقوا غير انه ضعيف جدا فانه لا يليق
بذلك القائل ان يقول فلن نزيدكم الا عذابا واعلم انه تع لما ذكر وعيد الكفار اتبعه بوعد
الاخيار فقال تعالى ان للمتقين مفازا حدائق واعنابا وكواعب اترابا وكاسا دهاقا
اما المتقي فقد تقدم تفسيره مرارا واما قوله مفازا يحتمل ان يكون مصدرا بمعنى فوزا وظفرا
بالبغية ويحتمل ان يكون موضع فوز والفوز يحتمل ان يكون فوزا بالمطلوب وان يكون فوزا بالنجاة
من العذاب وان يكون مجموع الامرين وقد قيل فيه ان الفوز بالمطلوب اقرب لان الله تع فسر المفاز بقوله
حدائق واعنابا الا انه يقال عليه الحدائق والاعناب لا يكون مطلوبا لاهل الاباه كلهم وهم في
طلب رضى الله تع ثم قال حدائق والحدائق جمع حديقة وهي كل بستان محوط عليه من قولهم احدقوا به
اي احاطوا به والتنكير في قوله واعنابا يدل على تعظيم حال تلك الاعناب ثم قال وكواعب اترابا كواعب
جمع كاعب وهي الناهد التي تكعبت ثديها ثم قال وكاسا دهاقا وفي الدهاق اقوال منها
وهو قول الاكثر كالزجاج وغيره دهاقا اي ممتلئة دعا ابن عباس رض غلاما فقال له اسقنا
دهاقا فجاء الغلام بها ملأى فقال ابن عباس هذا هو الدهاق ومنها اي متتابعة وهو
قول ابي هريرة وسعيد بن جبير ومجاهد ومنها وهو قول عكرمة انه قال دهاقا اي
صافية والمراد بالكاس الخمر قال الضحاك كل كاس في القرآن فهو خمر والتقدير وخمرا ذا دهاق
اي عصرت وصفيت بالدهاق ثم قال تع لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا والضمير في قوله

فيها

8

فيها راجع الى الكاس التي يشربونها وذلك لان اهل الجنة اذا شربوا لم يتغير عقلهم ولم يتكلموا
بلغو اصلا وعند قوم انه راجع الى الجنة اي لا يسمعون شيئا يكرهونه واما الكذاب بالتشديد
فانه يفيد المبالغة فوروده في قوله تع وكذبوا بآياتنا كذابا مناسب لانه يفيد المبالغة في وصفهم
بالكذب واما وروده هنا فغير مناسب لانه يفيد انهم لا يسمعون الكذب العظيم ولا يلزم منه
انهم لا يسمعون الكذب والمقصود هذا وقيل ان الكسائي قرا الاول بالتشديد والثاني بالتخفيف
ولعل غرضه ما قررناه وبالجملة انه بالتشديد يفيد المبالغة في الثبوت وبالتخفيف يفيد المبالغة
في النفي ثم انه تع لما عدد اقسام نعيم اهل الجنة قال جزاء من ربك عطاء حسابا وفيه
مباحث قال الزجاج المعنى جازاهم بذلك جزاء وكذلك عطاء لان معنى جازاهم واعطاهم واحد
ولقائل ان يقول كيف هو والشيء الواحد لا يمكن ان يكون جزاء وعطاء اذ الجزاء يستدعي
ثبوت الاستحقاق والعطاء يستدعي عدم الاستحقاق والجواب ان ذلك الاستحقاق انما ثبت بحكم
الوعد لا من حيث ان الفعل يوجب الثواب على الله تع وذلك الثواب بالنظر الى الوعد المرتب على ذلك
الفعل يكون جزاء وبالنظر الى انه لا يجب على الله تع لاحد شيء يكون عطاء الثاني قوله حسابا
فيه وجوه احدها ان يكون بمعنى كافيا ومنه قوله حسبي من سؤالي علمه بحالي اي كفاني من سؤالي
وثانيها انه ماخوذ من حسبت الشيء اذا عددته وقدرته بمعنى بقدر ما وجب له فيما وعده
من الاضعاف لانه تع قدر الاجزاء على ثلاثة اوجه منها على عشرة اضعاف ومنها على سبعمائة ضعف
ومنها على ما لا نهاية له كما في قوله تع انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وثالثها عطاء
حسابا اي كثيرا واحسبت فلانا اي اكثرت له الثالث قرا ابن قطيب حسابا بالتشديد على
ان الحساب بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك هكذا ذكر في الكشاف واعلم انه تع لما بالغ في
وصف وعيد الكفار ووعد المتقين ختم الكلام في ذلك بقوله رب السموات والارض
وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا وفيه مباحث الاول رب السموات والارض
الرحمن فيه ثلاثة اوجه من القراءة الرفع فيهما وهو قراءة ابن كثير ونافع وابي عمرو والجر

فيهما وهي قراءة عاصم وعبد الله بن عامر والجر في الاول مع الرفع في الثاني وهي قراءة حمزة والكسائي
ثم في الرفع وجوه احدها ان يكون رب السموات مبتدأ والرحمن خبره ثم استونف لا يملكون منه
وثانيها رب السموات مبتدأ والرحمن صفة ولا يملكون خبره وثالثها ان يضمر المبتدأ والتقدير
هو رب السموات هو الرحمن ثم استونف لا يملكون ورابعها ان يكون الرحمن ولا يملكون خبرين
واما وجه الجر فعلى البدل من ربك واما وجه جر الاول ورفع الثاني بكونه مبتدأ وخبره لا يملكون
الثاني الضمير في قوله لا يملكون على قول ابن عباس راجع الى المشركين يريد لا يخاطب المشركين الله
واما المؤمنون فيشفعون ويقبل الله ذلك منهم وعلى قول القاضي انه راجع الى المؤمنين والمعنى
ان المؤمنون لا يملكون ان يخاطبوا الله في امر من الامور وهذا هو الاقرب لانه حاضر وناظر
فلا يجنح الى الخطاب وقيل انه راجع لاهل السموات والارض وهذا هو الصواب واما الشفاعة
الواقعة باذنه فغير واردة على هذا الكلام ثم العقل شاهد بان احدا من المخلوقين لا يملكون خطاب
الله وكيف لا وقد علم انه تعالى مالك جميع الخلائق والخلائق كلهم في ملكه وفي تحت تصرفه يفعل
ما يشاء ويحكم ما يريد ولما ذكر ان احدا من الخلق لا يمكنه ان يخاطب الله في شيء او طالبه لشيء قرر
هذا المعنى واكد فقال يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن
وقال صوابا وذلك لان الملائكة اعظم المخلوقات قدرا ورتبة واكثرهم قدرة ومكانة فبين انهم
لا يملكون ان يتكلموا في موقف القيمة اجلالا لربهم وخوفا عنه وخضوعا له فكيف يكون حال غيرهم وفي الاية
مباحث الاول ان الاية تدل على ان الملك افضل من البشر اذ المبالغة في الخضوع وفي تعظيم الحضرة مع
الخوف البالغ يدل على مزيد القربة الثاني اختلفوا في الروح هنا وعن ابن مسعود رضه انه ملك اعظم من
السموات وعن ابن عباس رضه وهو ملك اعظم الملائكة خلقا وعن مجاهد خلق على صورة بني آدم
يأكلون ويشربون وليسوا بناس وعن الحسن وقتادة هم بنو آدم وعلى هذا معناه ذو الروح وعن ابن
عباس رضه ارواح الناس وعن الضحاك والشعبي هو جبريل عليه السلام وهذا هو المختار عند القاضي
رحمه الله اما قوله تعالى صفا فيحتمل ان يكون المعنى ان الروح على الاختلاف الذي ذكرناه وجميع الملائكة

يقومون

يقومون صفا واحدا ويجوز ان يكون المعنى يقومون صفين ويجوز صفوفا والصف في الاصل
مصدر فينبئ عن الواحد والجمع وظاهر قول المفسرين انهم يقومون صفين فيقوم الروح صفا والملائكة
صفا وعن البعض منهم انهم يقومون صفوفا لقوله تعالى وجاء ربك والملك صفا صفا الثالث
الاستثناء يعود الى الروح والملائكة وعلى هذا التقدير الاية دلت على ان الروح والملائكة لا يتكلمون
الا عند حصول شرطين احدهما الاذن من الله تعالى وثانيهما ان يقول صوابا فان قيل لما اذن له
الرحمن في ذلك القول علم ان ذلك القول صواب فما الفائدة في قوله وقال صوابا فنقول الجواب عنه من
وجهين احدهما ان الرحمن اذن في مطلق القول ثم انهم عند حصول ذلك الاذن لا يتكلمون الا بالصواب
الوجه الثاني ان التقدير لا يتكلمون الا في حق من اذن له الرحمن وقال صوابا يعني لا يشفعون الا في حق من يقول
صوابا وقد قيل انه غير عائد الى الملائكة فقط بل الى جميع اهل السموات والارض والاول اولى لان عود
الضمير الى الاقرب اولى ثم انه تعالى لما قرر احوال المكلفين في درجات الثواب والعقاب وقرر عظمة يوم القيمة
قال بعده ذلك اليوم الحق ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره وفي وصف اليوم بانه حق وجوه احدها
انه يحصل فيه كل حق ويندفع كل باطل فلما كان كاملا في هذا المعنى قيل انه حق وثانيها ان الحق
هو الثابت الكائن ويوم القيمة كذلك فيكون حقا وثالثها ان ذلك اليوم هو الذي يستحق ان يقال له هو
يوم لان فيه تبلى السرائر وتنكشف الضمائر بخلاف ايام الدنيا فان احوال الخلق فيها مكنونة والاحوال
فيها غير معلومة قوله تعالى فمن شاء اتخذ الى ربه مابا اي مرجعا والمعتزلة احتجوا به على الاختيار
والمشية واهل السنة نقلوا عن ابن عباس رضه فمن شاء الله به خيرا هداه حتى يتخذ الى ربه مابا
ثم انه تعالى زاد في تخويف الكفار فقال انا انذرناكم عذابا قريبا يعني العذاب في الاخرة وكل ما هو آت قريب
وانما سماه انذارا لان لفظ الانذار يدل على نهاية التخويف ثم قال تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت
يداه وفيه مباحث الاول ما في قوله ما قدمت يداه فيه وجهان احدهما انها استفهامية منصوبة بقدمت
اي ينظر اي شيء قدمت يداه وثانيهما ان يكون بمعنى الذي ويكون منصوبة بينظر والتقدير ينظر
الى الذي قدمته يداه ولقائل ان يقول في هذا القول لو كان كما ذكرتم لوجب ان يقال يوم ينظر المرء الى ما قدمت

وتنظيره قوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه الاية
المعنى انهم لا يتكلمون الا باذن الله
كبير

فكأنه قيل انهم لا ينطقون الا بعد ورود الاذن في الكلام ثم بعد
ورود ذلك الاذن يجتهدون ولا يتكلمون الا بالكلام الذي علموا انه
صدق وصواب فهذا مبالغة في وصفهم بالطاعة والعبودية
تفسير كبير

يداه الا انا نقول يقال نظرته بمعنى نظرت اليه الثاني في الآية ثلاثة اقوال احدها ان المرء عام اذ
المكلف ان كان قدم العمل الصالح فليس له الا الثواب وان كان قدم العمل على خلاف ذلك فليس له الا العقاب
وثانيها ان المرء هنا هو الكافر لان المؤمن كما ينظر الى ما قدمت يداه فكذلك ينظر الى عفو الله تعالى
ورحمته واما الكافر الذي لا يرى الا العذاب فهو لا يرى الا ما قدمت يداه لان ما وصل اليه من العقاب
ليس الا من شؤم معاملته وثالثها وهو قول الحسن رحمه الله المرء هنا هو المؤمن لان المؤمن لما قدم
الخير والشر فهو من الله على خوف ورجاء فينتظر كيف ظهر حاله اما الكافر فانه قاطع بالعقاب فلا ينتظر
الثالث القائلون بان الخير يوجب الثواب والشر يوجب العقاب تمسكوا بهذه الآية وقالوا لولا ان
الامر كذلك والا لم يكن النظر الى الثواب والعقاب على عمله والجواب عنه ان العمل يوجب الثواب والعقاب
لكن بحكم الوعد لا بحكم الذات اما قوله تعالى ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ففيه وجوه احدها
يوم القيمة ينظر المرء الى ما قدمت يداه اما المؤمن فانه يتوقع العفو على ما قال ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء واما الكافر فلا يتوقع العفو على ما قال ان الله لا يغفر ان يشرك به فعند ذلك يقول الكافر
يا ليتني كنت ترابا اي لم يكن حيا مكلفا وثانيها ان البهائم يحشر فيقتص للجماء من القرناء ثم يقال
لها بعد المحاسبة كوني ترابا فيتمنى الكافر عند ذلك ان يكون مثل تلك البهائم ورابعها ما ذكره بعض
الصوفية فقال قوله يا ليتني كنت ترابا معناه يا ليتني كنت متواضعا في طاعة الله ولم اكن متمردا
متكبرا وخامسها ان الكافر ابليس يرى آدم واولاده وثوابهم فيتمنى ان يكون الشيء الذي احتقره
حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين والله اعلم سورة النازعات وهي خمس وست
اربعون آية مكية بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات
سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا فيه مباحث الاول في النظم ذكر في اواخر سورة
النبا احوال القيمة واهوالها وزجر الكفار وعقوباتهم وما انتهت الى مبدا تلك
العقوبات فذكر في اول سورة النازعات ان مبداها هو الموت اول منزل من منازل القيمة والثاني
ان هذه الكلمات الخمس يحتمل ان تكون صفات لشيء واحد ويحتمل ان لا تكون اما على الاول

فقد ذكروا في الآية وجوها احدها انها باسرها صفات الملائكة فقوله والنازعات غرقا هي الملائكة
الذين ينزعون نفوس بني آدم فاذا نزعوا نفوس الكفار نزعوها بشدة وهو ماخوذ من قولهم
نزع في القوس فاغرق والنازعات اغراقا والغرق والاغراق في اللغة بمعنى واحد والناشطات
نشطا هي الملائكة الذين ينزعون ارواح اهل الايمان برفق يقال نشطت الدلو انشطها
نشطا نزعتها برفق فالنزع جذب بشدة والنشط جذب برفق فكذلك النزع للكافر والنشط
للمؤمن فالحاصل ان قوله والنازعات غرقا والناشطات نشطا قسم بملك الموت واعوانه وقوله
والسابحات سبحا فمنهم من خصه ايضا بملائكة قبض الارواح وهو قول ابن عباس ومسروق
ينشطون ارواح المؤمنين نشطا ثم يتركونها حتى تستريح رويدا ثم يستخرجونها بعد ذلك برفق
ولطافة ومنهم من حمله على سائر طوائف الملائكة وقال ان الملائكة ينزلون من السماء مسرعين
فجعل نزولها من السماء كالسباحة وقوله تعالى فالسابقات سبقا فمنهم من فسرها بملائكة قبض
الارواح يسبقون بارواح الكفار الى النار وبارواح اهل الايمان الى الجنة ومنهم من فسرها
بسائر طوائف الملائكة ثم ذكروا في هذا السبق وجوها احدها ان الملائكة سبقت ابن آدم
بالايمان والطاعة ولا شك ان المسابقة في الخير درجة عظيمة قال تعالى والسابقون السابقون
اولئك المقربون وثانيها قال الزجاج والفراء ان الملائكة يسبقون الشياطين بالوحي الى الانبياء
لان الشياطين كانت تسترق السمع وثالثها يحتمل ان يكون المراد انه تعالى وصفهم فقال
لا يسبقونه بالقول يعني قبل الاذن لا يتحركون ولا ينطقون تعظيما لحضرة الله وخوفا من
هيبته وههنا وصفهم بالسبق يعني اذا جاءهم الامر فانهم يتسارعون الى امتثاله ويتباد رون
الى اظهار طاعته وقوله فالمدبرات امرا فاجمعوا على انهم هم الملائكة قال مقاتل يعني جبرئيل
وميكائيل واسرافيل وعزرائيل يدبرون امر الله تعالى في اهل الارض وهم المقسمات امرا
فجبرئيل موكل بالرياح والجنود وميكائيل موكل بالقطر والنبات وعزرائيل موكل بقبض الانفس
واسرافيل يتنزل بالامر عليهم فقوم منهم موكلون بحفظ بني آدم وقوم آخرون بكتبة

اعمالهم ونوعها آخرون بالخسف والمسخ وغير ذلك فان قلت انهم يدبرون امورا فلم قال
امرا قلنا المراد به ما يعم الكل وكونها كذلك لقيام مقام الجمع وكراهة نقوضا بعضا قال تعالى ان الامر
كله لله فكيف اثبت لهم تدبير كل امر والجواب لما كان ذلك الاثبات به كما الامر كله لله فهذا تلخيص
ما قاله المفسرون في هذا الباب ولا يبعد ان يكون فيه وجه آخر كما اشار اليه الامام الفاضل
ان الملائكة لها صفات سلبية وصفات اضافية اما الصفات السلبية فهي انها مبرأة عن
الشهوة والغضب والاخلاق الذميمة والموت والهرم والسقم والتركيب من الاعضاء والاخلاط
والاركان بل هي جواهر روحانية مبرأة عن هذه الاحوال فقوله والنازعات غرقا اشارة الى كونها
منزوعة من هذه الاحوال نزعا كليا من جميع الوجوه وعلى هذا التفسير النازعات هي ذوات النزع
كاللابن والتامر واما قوله والناشطات نشطا اشارة الى ان خروجها عن هذه الاحوال ليس على
اي ذات لبن
سبيل التكلف والمشقة بل هم بمقتضى ماهيتهم خرجوا عنها واما الصفات الاضافية فهي
قسمان احدهما شرح قوتهم العاقلة اي كيف حالهم في معرفة ملك الله تعالى وملكوته والاطلاع على
انوار جلال الحضرة فوصفهم في المقام بوصفين احدهما والسابحات سبحا يعني يسبحون من اول
فطرتهم في بحار جلال الحضرة من غير نهاية بل هم ابدا في تلك السباحة وثانيهما والسابقات
سبقا وهو اشارة الى مراتب الملائكة في تلك السباحة لان مراتبهم متفاوتة كمراتب انواع
الحيوان بحسب المخالفة في الذوات واما قوله فالمدبرات امرا فهو اشارة الى شرح حال قوتهم العاملة
وذلك لان كل حال من احوال العالم السفلي مفوض الى تدبير واحد من الملائكة الذين هم عمار
العالم العلوي وسكان بقاع السموات ولما كان التدبير لا يتم الا بالعلم لا جرم قدم شرح القوة
العاقلة التي لهم على شرح القوة العاملة لهم والله تعالى اعلم بمراده من كلامه ولعل ان ابا مسلم
الاصفهاني طعن في حمل هذه الكلمات على الملائكة وقال واحد النازعات نازعة وهي من لفظ
الاناث وقد نزههم الله تعالى عن التانيث وعابه على قول الكفار حين قال وجعلوا الملائكة الذين هم
عباد الرحمن اناثا وهذا الطعن لا يتوجه على تفسير الامام واما الوجه الثاني في تاويل هذه الكلمات

انها هي النجوم وهو قول الحسن رحمه الله واما وصف النجوم بالنازعات فعلى وجوه احدها
كانها تنزع من تحت الارض فتجذب الى ما فوق الارض فاذا كانت منزوعة كانت ذوات نزع كما مر
وثانيها ان النازعات من قولهم نزع اليه اي ذهب نزوعا فكانها تطلع وتغرب بالنزوع والشوق
وثالثها ان يكون ذلك من قولهم نزعت الخيل اذا جرت فقوله تعالى والنازعات اي الجاريات على السير
المقدر والحد المعين وقوله غرقا يحتمل وجهين احدهما ان يكون في حال الاسم النازعات اي هذه
الكواكب كالغرق في ذلك النزوع والارادة وهو اشارة الى كمال حالها في تلك الارادة لا يقال كيف
هو والافلاك والكواكب ليست احياء ناطقة فان هذا على سبيل التشبيه كقوله تعالى وكل في فلك
يسبحون فان الجمع بالواو والنون يكون للعقلاء ثم انه ذكر في الكواكب على سبيل التشبيه وثانيها
ان يكون بمعنى غرقا يعني بها في افق الغرب فالنازعات اشارة الى طلوعها وغرقا اشارة
الى غروبها وهذا مما ذهب اليه قوم من المفسرين اما قوله تعالى والناشطات نشطا فقال في الكشاف
معناه انها تخرج من برج الى برج من قولك ثور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد وبالجملة والنازعات
غرقا اشارة الى حركتها اليومية والناشطات نشطا الى انتقالها من برج الى برج وهو حركتها
المخصوصة بها في افلاكها الخاصة ولما كانت الحركة اليومية قسرية عبر عنها بالنزع والحركة
المخصوصة بها ليست قسرية بل ملائمة لذواتها عبر عنها بالنشط واما قوله فالسابحات
سبحا فقال الحسن وابو عبيدة رحمهما الله هي النجوم تسبح في الفلك لان مرورها في الجو كالسبح
ولهذا قال وكل في فلك يسبحون واما قوله فالسابقات سبقا فعلى قول الحسن وابي عبيدة هي النجوم
يسبق بعضها بعضا في السير بسبب كون البعض منها اسرع حركة من البعض وبسبب الرجوع
والاستقامة واما قوله فالمدبرات امرا ففيه وجهان احدهما ان بسبب سيرها وحركاتها يتميز
بعض الاوقات عن بعض فيظهر اوقات العبادات على ما قال الله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين
تصبحون وقال يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج ولان بسبب حركة الشمس تختلف
الفصول الاربعة وتختلف بسبب اختلافها احوال العالم في المعاش وثانيها انه

لما ثبت بالدلائل القطعية ان كل جسم محدث ثبت ان الكواكب محدثة والمحدث مفتقر الى محدث
يحدثه ثم ان قدرنا ان ذلك المحدث وهو الله تعالى اودع فيها قوى مؤثرة في احوال هذا العالم فلا فساد
فيه وان قدرنا انه تعالى ما اودع فيها قوى لكن اجرى سنته بانه جعل كل واحد من احوالها المخصوصة
سببا لحدوث حادث مخصوص في هذا العالم كما جعل مساس النار سببا للاحتراق فلا فساد فيه
ايضا ولا يضر في الدين اصلا والله اعلم بحقائق الاشياء. واما الوجه الثالث في تاويل هذه الكلمات
فهو انها هي الارواح وذلك لان نفس الميت تنزع يقال فلان في النزع وفلان ينزع اذا كان في سياق
الموت والانفس نازعات عند السياق ومعنى غرقا اي نزعا شديدا كما مر وكذلك ينشط لان النشط
معناه الخروج ثم ان الارواح البشرية الخالية عن العلائق الجسمانية المشتاقة الى الاتصال
بالعالم العلوي بعد خروجها من ظلمة الاجساد تذهب الى عالم الملائكة ومنازل القدس على احسن
الوجوه في روح وريحان فعبر عن ذهابها على هذه الحالة بالسباحة ثم لا شك ان مراتب الارواح
في النفرة عن الدنيا ومحبة الاتصال بالعالم الاعلى مختلفة فكلما كانت اتم في هذه الاحوال كان سيرها
الى هناك اسبق ولا شك ان الارواح السابقة الى هذه الاحوال اشرف فلا جرم وقع القسم
بها ثم ان هذه الارواح الشريفة العالية لا يبعد ان يكون فيها ما يكون لقوتها وشرفها يظهر
منها اثار في احوال هذا العالم فهي المدبرات امرا اليس ان الانسان قد يرى استاذه في المنام ويسأله
عن مشكلة فيرشده اليها اما سمعت ان جالينوس قال كنت مريضا فعجزت عن علاج نفسي فرايت
في المنام واحدا فارشدني الى كيفية العلاج واما الوجه الرابع في تفسير هذه الكلمات فهو صفات
خيل الغزاة فهي نازعات لانها تنزع في اعنتها نزعا تغرق الاعنة لطول اعناقها لانها
عراب وهي ناشطات لانها تخرج من دار الاسلام الى دار الحرب من قولك ثور ناشط وهي سابحات
لانها تسبح في جريها وهي سابقات لانها تسبق الى الغاية وهي مدبرات لامر الغلبة والظفر واسناد
التدبير اليها مجاز لانها من اسبابه واما الوجه الخامس وهو اختيار ابي مسلم انها صفات الغزاة
النازعات ايدي الغزاة يقال للرامي اغرق في النزع اذا استوفى مد القوس والناشطات السهام وهي

خروجها عن ايدي الرماة والسابحات الخيل وسبحها العدو ويجوز ان يعني به الابل ايضا
والمدبرات مثل المعقبات والمراد انه يأتي في انتهاء هذه الافعال التي نزع السهام وسبح الخيل وسيرها
الامر الذي هو النصر ولفظ التانيث انما كان لان هؤلاء جماعات واما السادس انه يمكن تفسيرها بالحالات
الواقعة في رجوع القلب من غير الله الى الله فالنازعات غرقا هي الارواح التي تنزع الى الله عن العوائق
والمنزوعة هي محبة غير الله والناشطات نشطا هي انها بعد الرجوع عن الجسمانيات تاخذ في المجاهدة
والتخلق باخلاق الله تعالى بنشاط تام وقوة قوية فالسابحات سبحا ثم انها بعد المجاهدة تسبح
في بحار الملكوت فيقع في تلك البحار وتسبح فيها فالسابقات سبقا اشارة الى تفاوت الارواح في
درجات سيرها الى الله تعالى فالمدبرات امرا اشارة الى اخر مراتب البشرية متصلا باول درجات
الملكية فلما انتهت الارواح الى اقصى غاياتها وهي مرتبة السبق اتصلت بعالم الملائكة وهو
المدبرات من قوله فالمدبرات امرا فالاربعة هي المراد من قوله تعالى يكاد زيتها يضيء والخامسة هي النار
في قوله ولو لم تمسسه نار واعلم ان الوجوه المنقولة عن المفسرين غير منقولة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
نصا حتى لا يمكن الزيادة عليها بل انما ذكروها لكون اللفظ محتملا لها وهذه الاحتمالات من اللوازم
ومن اللوازم ايضا ان يقال يحتمل ان يكون المراد هذا اما الجزم فلا سبيل لنا اليه هنا الاحتمال
الثاني وهو ان لا يكون الالفاظ صفات شيء بل لاشياء مختلفة ففيه ايضا وجوه الاول النازعات
غرقا هي القسي والناشطات الاوهاق والسابحات السفن والسابقات الخيل والمدبرات الملائكة رواه احمد عن عطاء
الثاني نقل عن مجاهد في النازعات والناشطات والسابحات انها الموت وفي السابقات والمدبرات انها الملائكة
واضافة النزع والنشط والسبح الى الموت مجاز بمعنى انها حصلت عند حصوله الثالث وعن قتادة
ان الجميع هو النجوم الا المدبرات فانها هي الملائكة الثالث المباحث هو انه تعالى ذكر فالسابقات بالفاء والتي
قبلها بالواو قال صاحب النظم انه على مثال قام فذهب فان القيام سبب الذهاب بخلاف قولنا
قام وذهب فكأنه قال واللاتي سبحن فسبقن وقد طعن فيه الواحدي وقال انه غير مطرد في قوله تعالى
فالمدبرات امرا لانه يبعد ان يجعل السبق سببا للتدبير وفي هذا الطعن نظر ومنهم من اجاب

وقال الابعد ان يقال انهم لما كانوا سابقين في اداء الطاعات متسارعين اليها ظهرت امانتهم
فلهذا فوض الله تعالى اليهم تدبير بعض هذا العالم والوجه الاخر في علة ذكرها بالفاءات
الملائكة قسمان الرؤساء والتلامذة فقوله والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات
سبحا اشارة الى التلامذة الذين هم يباشرون العمل بانفسهم وقوله فالسابقات سبقا فالمدبرات
امرا اشارة الى الرؤساء الذين هم السابقون في الدرجة والشرف وهم المدبرون لتلك الاحوال
والاعمال قوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة ابصارها
خاشعة فيه مباحث الاول جواب القسم المتقدم محذوف او مذكور منهم من قال انه محذوف وذكر عند
الفراء لتبعثن وعند الاخفش والزجاج لتنفخن في الصور نفختين ودل على هذا المحذوف
ذكر الراجفة والرادفة وهما النفختان ومنهم من قال انه مذكور وعلى هذا القول المقسم عليه هو
قوله قلوب يومئذ واجفة ابصارها خاشعة والتقدير والنازعات غرقا ان يوم ترجف
الراجفة يحصل قلوب واجفة وابصارها خاشعة وقيل جواب القسم هل اتيك حديث موسى
اي قد اتاك وقيل الجواب هو قوله ان في ذلك لعبرة لمن يخشى الثاني ذكروا في نصب يوم وجهين
احدهما انه منصوب بالجواب المضمر والتقدير لتبعثن يوم ترجف الراجفة وثانيهما انه
نصب بما دل عليه قلوب يومئذ واجفة اي يوم ترجف وجفت القلوب الثالث الرجف
في اللغة الحركة قال تعالى يوم ترجف الارض والجبال وقيل الهدة المنكرة والصوت الهائل من
قولهم رجف الرعد يرجف رجفا ورجيفا قال تعالى فاخذتهم الرجفة اي الكسرة والزلزلة فعلى هذا الرجفة هي
الصيحة العظيمة الهائلة كالرعد والرادفة هي التي جاءت بعد مجيء غيرها واما القلوب الراجفة
فهي المضطربة الخائفة وفيه ايجاف الدابة وهو حملها على السير الشديد وللمفسرين عبارات كثيرة
في تفسير الراجفة معناها واحد قالوا خائفة وجلة زائلة عن اماكنها قلقة مستوفزة مضطربة
غير ساكنة ابصارها خاشعة اي ابصار اهلها خاشعة ثم اتفقوا على ان هذه الامور احوال
يوم القيامة وزعم ابو مسلم الاصفهاني انه ليس كذلك واما القول الاول وهو المشهور بين الجمهور ان

هذه الامور احوال يوم القيامة فهؤلاء ذكروا وجوها احدها ان الراجفة هي النفخة الاولى سميت به
لان الدنيا تتزلزل وتضطرب عندها والرادفة رجفة اخرى فتضطرب الارض لاحياء الموتى كما اضطربت
في الاولى لموت الاحياء ثم روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بين النفختين اربعين عاما وثانيها
الراجفة هي النفخة الاولى والرادفة قيام الساعة من قوله عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي
تستعجلون اي يوم القيامة وثالثها الراجفة الارض والجبال من قوله يوم ترجف الارض والجبال
والرادفة السماء والكواكب ورابعها الراجفة هي الارض المتزلزلة والرادفة الزلزلة الثانية
تتبع الاولى الى ان تتقطع الارض وتفنى واما القول الثاني وهو قول ابي مسلم ان هذه الاحوال
ليست احوال يوم القيامة وذلك لانه فسر النازعات بنزع القوس والناشطات بخروج السهم والسابحات
بعدو الفرس والسابقات بسبقها والمدبرات بالامور التي يحصل عقيب ذلك الرمي والعدو ثم بنى عليه
ذلك فقال الراجفة هي خيل المشركين وكذلك الرادفة ويراد بذلك طائفتان من المشركين غزوا
رسول الله فسبقت احديهما الاخرى والقلوب الراجفة هي القلقة والابصار الخاشعة هي
ابصار المنافقين كانه قيل لما جاءت خيل العدو واضطربت قلوب المنافقين خوفا وخشعت ابصارهم
جبنا وضعفا ثم قالوا ءانا لمردودون في الحافرة اي نرجع الى الدنيا حتى نتحمل هذا الخوف
لاجلها وقالوا ايضا تلك اذا كرة خاسرة فاول هذا الكلام حكاية حال من غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المشركين واوسطه حكاية حال المنافقين وآخره حكاية كلام المنافقين في انكار الحشر
ثم انه تعالى اجابهم عن كلامهم بقوله فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة هذا كلام ابي مسلم رحمه الله
قوله تعالى قلوب يومئذ واجفة ابصارها خاشعة اعلم انه تعالى لم يقل القلوب يومئذ واجفة
فانه ثبت بالدليل ان اهل الايمان لا يخافون بل المراد به قلوب الكفار يؤكده قوله تعالى ءانا لمردودون
في الحافرة لانه ليس بكلام المؤمنين وقوله ابصارها خاشعة لان الخائف نظره نظر خاشع ذليل
خاضع يتوقع ما ينزل به من الامر العظيم فان قيل كيف يجوز الابتداء بالنكرة فنقول
قلوب مرفوعة بالابتداء وواجفة صفتها وابصارها خاشعة خبرها فهو كقوله ولعبد مؤمن

خير من مشرك وانما صحت اضافة الابصار الى القلوب لان المراد ابصار اصحابها بدليل قوله تعالى
يقولون قوله تعالى ءانا لمردودون في الحافرة يقال رجع فلان في حافرته اي في طريقته جعل
اثر قدميه حفرا وهي في الحقيقة محفورة الا انها سميت حافرة كما قيل عيشة راضية ثم قيل
لمن كان في امر فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرته اي الى طريقته وقرا ابو حيوة في الحفرة
والحفرة بمعنى المحفورة قوله تعالى ءاذا كنا عظاما نخرة وفيه مباحث الاول قرا حمزة وعاصم
ناخرة بالالف والباقون بغير الالف وهما بمعنى واحد وفي كتاب الخليل نخرت الخشبة اذا بليت
فاسترخت وكذلك العظم الناخر ومنهم من قال النخر غير الناخر اما النخر فهو من نخر العظم
فهو نخر مثل عفن يعفن فهو عفن وذلك اذا بلي وصار بحيث لو مسسته لتفتت واما الناخر
العظم الفارغ الذي يحصل من هبوب الريح فيها صوت كالنخير وعلى هذا فالناخر من النخير بمعنى
الصوت كنخير النائم الثاني ءاذا منصوب بمحذوف تقديره اذا كنا عظاما نرد ونبعث الثالث
اعلم ان حاصل هذه الشبهة ان الذي يشير اليه كل احد الى نفسه بقوله انا هو هذا الجسم
المبني بهذه البنية المخصوصة فاذا مات الانسان بطل مزاجه وفسد تركيبه فيمتنع اعادته
لوجوه احدها انه لا يكون الانسان العائد هو الانسان الاول وذلك محال وثانيها ان تلك
الاجزاء تصير ترابا وتتفرق وتختلط باجزاء الارض والماء والهواء فتميز تلك الاجزاء باعيانها
عن هذه الاجزاء محال وثالثها ان الاجزاء الترابية باردة يابسة فتولد الانسان الذي لابد
وان يكون حارا رطبا في مزاجه عنها محال فهذا تمام الكلام منكري البعث بقولهم ءاذا كنا عظاما
نخرة والجواب عن هذه الشبهة من وجوه منها وهو الاقوى لا نسلم بان المشار اليه بقول كل
احد هو هذا الهيكل بل ليس كذلك كما مر من قبل ان هذا الهيكل في التبدل والتغير دون ذلك
ومنها ان الانسان قد يعرف انه هو حال كونه غافلا عن اعضائه الظاهرة والباطنة ثم
هنا ثلث احتمالات احدها ان يكون ذلك الشيء موجودا قائما بنفسه ليس بجسم ولا بجسماني كما يقول
جمهور الفلاسفة وغيرهم من العلماء ايضا وثانيها ان يكون جسما مخالفا بالماهية لهذه الاجسام

القابلة

القابلة للانحلال سارية في تلك الماهية فيها سريان النار في الفحم وسريان الدهن في السمسم فاذن انسد
هذا الهيكل بقيت هي مدركة عاقلة اما في الشقاوة واما في السعادة وثالثها انه جسم مساو
لهذه الاجسام في الماهية الا انه تعالى خصه بالبقاء والاستمرار من اول وجود الشخص الى اخر عمره ويبقى
بعد انفصال تلك الاجزاء المتبدلة اما في الشقاوة واما في السعادة ولما ظهرت هذه الاحتمالات
فلا يكون لصيرورة العظام نخرة بالية متفرقة تاثير في دفع الحشر والنشر ولئن سلمنا على
المسامحة ان الانسان هو مجموع هذا الهيكل فلم قلتم بان الاعادة ممتنعة بل لا يكون ممتنعة
لانه ثبت بالدلائل القطعية ان الله تعالى عالم بجميع الكليات والجزئيات وقادر على جميع الممكنات فيصح
منه تعالى جمعها باعيانها واعادة الحيوة اليها واما قولهم الاجسام اليابسة لا تقبل الحيوة فذلك
ينتقض بالسمندر لانه يعيش في النار وبالنعامة فانها تبتلع الحديدة المحماة ثم في الكلمة
التي حكاها الله تعالى عن منكري البعث هو انهم قالوا تلك اذا كرة خاسرة والمعنى كرتنا هذه
الى الخسران يعني انها ان صحت فنحن اذا خاسرون وانه منهم بطريق الاستهزاء ولما حكى الله تعالى
عنهم هذه الكلمات قال فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة وفيه مباحث الاول فيه حذف
معناه لا تستصعبوها فانما هي زجرة واحدة سهلة هينة في قدرة الله تعالى الثاني قال الزجر البعير اذا
صاح عليها والمراد في هذه الصيحة النفخة الثانية وهي صيحة اسرافيل الثالث الساهرة الارض
البيضاء المستوية وانما سميت بذلك لوجهين احدهما ان سالكها لا ينام خوفا منها و
ثانيها لان السراب يجري فوقها من قولهم عين ساهرة جارية الماء ثم اختلفوا فيها فمنهم من قال
هي ارض الدنيا ومنهم من قال هي ارض الاخرة لانهم عند الزجر والصيحة ينتقلون افواجا
الى ارض الاخرة قوله تعالى هل اتيك حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس
طوى اذهب الى فرعون انه طغى فقل هل لك الى ان تزكى فيه مباحث الاول انه تعالى
حكى عن الكفار اصرارهم على انكار البعث وانتهوا في ذلك الانكار الى حد الاستهزاء في قولهم تلك
اذا كرة خاسرة وكان ذلك يشق على محمد صلى الله عليه وسلم فذكر قصة موسى عليه السلام وتحمله مشاقه

في دعوة فرعون ليكون ذلك كالتسلية له عليه السلام الثاني قوله هل اتيك حديث يحتمل ان يكون
معناه اليس اتيك حديث موسى هذا اذا كان قد اتاه ذلك قبل هذا الكلام اما ان لم يكن فقد يجوز
ان يقال هل اتيك كذا ام انا اخبرك به فان فيه عبرة لمن يخشى الثالث الوادي المقدس
المبارك المطهر وفي قوله طوى وجوه احدها انه اسم واد بالشام وهو عند الطور الذي اقسم
الله تعالى في قوله والطور وكتاب مسطور وثانيها ان معناه يا رجل بالعبرانية فكانه قيل
يا رجل اذهب الى فرعون وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وثالثها قوله طوى اي ناداه طوى
من الليل اذهب الى فرعون لانك تقول جئتك بعد طوى اي بعد ساعة من الليل ورابعها
ان يكون المعنى بالوادي المقدس الذي طوى اي بورك فيه مرتين الرابع قرا نافع وابن كثير
وابو عمرو طوى بضم الطاء غير منون وقرا الباقون بالضم منونا وروي عن ابي عمرو طوى
بكسر الطاء وطوى مثل ثنى وهما اسمان للشيء المثنى قال الفراء طوى واد بين المدينة ومصر
فمن لم يصرفه جعل معدولا كعمر وزفر ثم قال والصرف احب الي اذ لم اجد له في المعدول
نظيرا الخامس تقدير الاية اذ ناداه ربه وقال اذهب الى فرعون وفي قراءة عبد الله ان اذهب
لان في النداء معنى القول والكلام فيه من جملة ما قدمنا في سورة طه نودي يا موسى اني انا ربك
الى قوله لنريك من آياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى السادس ان سائر الايات تدل على
انه تعالى اول ما نادى موسى عليه السلام كان مبعوثا الى فرعون فقط بل الى الكل فكان في ذلك العرض
الا انه خصه بالذكر لان دعوته جارية مجرى دعوة الكل السابع الطغيان مجاوزة الحد ثم انه
تعالى لم يبين انه تعدى في اي شيء فلهذا قال بعض المفسرين معناه انه تكبر على الله وكفر به
ومنهم من قال انه طغى على بني اسرائيل والاولى هو الجمع بين الامرين واعلم انه تعالى لما بعثه الى فرعون
لقنه كلامين ليخاطبه بهما فالاول قوله فقل هل لك الى ان تزكى وفيه مباحث الاول يقال هل لك
في كذا وهل لك الى كذا قال ابو واحد التقدير هل لك الى ان تزكى حاجة قال فهل لكم فيها
الي فانني بصير بما اعيا النطاسي حذيما ولا يبعد ان يكون التقدير هل لك سبيل الى ان

تزكى الثاني الزكي الطاهر من العيوب كلها قال اقتلت نفسا زكية وهذه الكلمة جامعة لكل
ما يدعوه اليه لان المراد هل لك الى ان تفعل ما تصير به زكيا عن كل ما لا ينبغي وذلك يجمع جميع
ما يتصل بالتوحيد والشرايع الثالث فيه قراءتان التشديد على ادغام تاء التفعل في الزاء
لتقاربهما والتخفيف الرابع المعتزلة تمسكوا به في خلق الافعال على ان هذا هو استفهام
على سبيل التقرير اي لك سبيل الى ان تزكى ولو كان ذلك بفعل الله لانقلب الكلام حجة على موسى
عليه السلام والجواب عن امثاله قد مر غير مرة الخامس انه تعالى لما قال لهما فقولا له قولا لينا وكانه تعالى
رتب لهما ذلك الكلام اللين وانه يدل على انه لا بد في الدعوة الى الحضرة باللين والرفق ثم قال
تعالى واهديك الى ربك فتخشى وفيه من المباحث الاول القائلون بان معرفة الله
لا يستفاد الا من الهادي تمسكوا بهذه وقالوا انها صريحة في انه تهديه الى معرفة الله تعالى وما
يدل على ان هذا هو المقصود الاعظم من بعثة الرسل قوله تعالى هل لك الى ان تزكى فانه يتناول
هذه الهداية والجواب لا نزاع في ان التنبيه والارشاد معونة في الكشف عن الحق انما النزاع في
استحالة حصوله الا من المعلم الثاني دلت الاية على ان معرفة الله مقدمة على طاعته لانه تعالى ذكر
الهداية ثم الخشية ونظيره قوله تعالى انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني الثالث دلت الاية على ان
الخشية لا تكون الا بالمعرفة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ودلت على ان الخشية
ملاك الخير وهذا ظاهر قوله تعالى فاراه الآية الكبرى فكذب وعصى ثم ادبر يسعى
فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى وفيه بحثان احدهما ان الفاء معطوف على محذوف
يعني فذهب فاراه كقوله تعالى فاضرب بعصاك الحجر فانفجرت اي فضرب فانفجرت وثانيهما
اختلفوا في الآية الكبرى فعلى قول مقاتل والكلبي هي اليد لقوله تعالى وادخل يدك في
جيبك الى قوله لنريك من آياتنا الكبرى وعلى قول عطا هي العصا لانه ليس في اليد الا انقلاب
لونه الى لون آخر وهذا المعنى حاصل في العصا لما انقلبت حية ثم في العصا امور
لا يكون في اليد على ما عرف وعلى قول مجاهد هي مجموع اليد والعصا لان اول ما اظهر موسى عليه السلام

لفرعون هو العصا ثم اتبعه باليد ثم انه تعالى حكى معاملة فرعون مع موسى عليه السلام وهو
مجموع امور ثلاثة احدها قوله فكذب وعصى وفيه مباحث الاول معنى قوله تعالى فكذب انه كذب
كذب بدلالة تلك المعجزة على صدقه ثم الطعن في دلالة المعجزة على اعتقاد ان ذلك الفعل ليس
فعل الله تعالى بل من الجن او من الملك مثلا وان كان فعل الله تعالى لكنه ما فعله لغرض التصديق وهذه
الآية تدل على ان فرعون انما منع دلالته على الصدق لاعتقاده انه يمكن معارضته بدليل
قوله فحشر فنادى وهو كقوله فارسل فرعون في المدائن حاشرين الثاني من المعلوم ان من كذب
الله تعالى فقد عصى فما الفائدة في قوله فكذب وعصى والجواب كذب بالقلب واللسان وعصى بان
اظهر التمرد والتجبر الثالث هذا الذي وصفه الله تعالى من التكذيب والمعصية مغاير لما
كان حاصلا قبل ذلك لان تكذيبه لموسى عليه السلام وقد دعاه واظهر هذه المعجزة قوى
على ما تقدم من التكذيب في معصيته بترك القبول منه ولحال هذه مخالفة بمعصيته من
قبل ذلك وثانيها قوله ثم ادبر يسعى وفيه وجوه احدها انه لما راى الثعبان ادبر مرعوبا
يسعى يسرع في مشيته وثانيها تولى عن موسى عليه السلام يسعى ويجتهد في مكايدته وثالثها
ان يكون المعنى ثم اقبل يسعى كما تقول فلان اقبل يفعل كذا بمعنى انشا يفعل فوضع ادبر موضع
اقبل لئلا يوصف بالاقبال وثالثها قوله فحشر فنادى فحشر فجمع السحرة كقوله فارسل
فرعون في المدائن حاشرين فنادى في المقام الذي اجتمعوا فيه معه او امر مناديا
فنادى في الناس بذلك وقيل قام فيهم خطيبا فقال تلك الكلمة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
كلمته الاولى ما علمت لكم من اله غيري والاخرة انا ربكم الاعلى واعلم انا بينا في سورة طه
انه لا يجوز ان يعتقد الانسان في نفسه كونه خالق السموات والارضين فان الفساد فيه
ظاهر فقوله انا ربكم بمعنى مربيكم والمحسن اليكم وليس للعالم اله حتى يكون له عليكم امر
ونهي او يبعث اليكم رسولا قال القاضي هذا الكلام لا يليق به بعد جزيه عند انقلاب العصا حية
فدلت هذه الآية على انه في ذلك الوقت صار كالمعتوه الذي لا يدري ما يقول ثم انه تعالى لما حكى

16

عن افعاله واقواله اتبعه بما عامله به وهو قوله فاخذه الله نكال الآخرة والاولى والبحث الاول
فيه قال الزجاج في نصب نكال انه مصدر مؤكد لان معنى اخذه الله نكال الآخرة وقال الفراء يريد
اخذه الله اخذا نكالا للآخرة والاولى والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم والبحث
الثاني فيه انهم ذكروا في الآية وجوها احدها ان الآخرة والاولى صفة لكلمتي فرعون احديهما
ما علمت لكم من اله غيري والاخرى انا ربكم الاعلى قالوا وكان بينهما اربعون سنة وهذا قول سعيد بن
جبير ومجاهد وكثير من المفسرين وعن ابن عباس رض المقصود التنبيه على انه ما اخذه بكلمته
الاولى في الحال بل امهله اربعين سنة فلما ذكر الثانية اخذه بهما وهذا تنبيه على انه تعالى يمهل
ولا يهمل وثانيها وهو قول الحسن وقتادة نكال الآخرة والاولى اي عذبه في الآخرة واغرقه في الدنيا
وثالثها الآخرة هي قوله انا ربكم الاعلى والاولى تكذيبه موسى حين اراه الآية قال القفال رحمه الله
وهذا هو الاظهر لانه تعالى قال فاراه الآية الكبرى والبحث الثالث قال الليث النكال اسم لمن جعله
نكالا لغيره وهو الذي اذا راه او بلغه خاف ان يعمل عمله واصل الكلمة الامتناع ومنه النكول عن
اليمين فالنكال من العقوبة هو الاعظم وفي الوقف يقع على ما يفتضح به صاحبه ثم انه تعالى ختم هذه
القصة بقوله ان في ذلك لعبرة لمن يخشى يعني فيما ذكرناه عبرة لمن يخشى فاعتبروا معاشر
المكذبين لمحمد عليه السلام بما ذكرناه ثم انه تعالى لما ختم هذه القصة رجع الى مخاطبة منكري البعث
فقال ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها وفيه من المباحث الاول في المقصود من هذا الاستدلال
هو التنبيه على امر يعلم بالمشاهدة وذلك لان خلقة الانسان على صغره وضعفه اذا اضيف الى خلق
السماء على عظمها وعظم احوالها يسير فاذا نبه لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس والمعنى
بعد الموت اشد ام خلق السماء عندكم الثاني قال الفراء والكسائي والزجاج هذا الكلام قد تم عند
قوله ءانتم اشد خلقا ام السماء ثم قوله بناها ابتداء كلام آخر وعند ابي حاتم الوقف على قوله
بناها لانه من صلة السماء والتقدير ام السماء التي بناها قال القفال يقال الرجل جاءك عاقل
اي الرجل الذي جاءك عاقل والدليل عليه انه اذا لم يكن صلة كان صفة فقوله بناها صفة ثم قوله

رفع سمكها صفة اخرى فقد توالت صفتان لا تعلق لاحديهما بالاخرى فكان يجب ادخال
العاطفة بينهما كما في قوله واغطش ليلها فقوله بناها صلة للسماء وقوله رفع سمكها ابتداء بذكر
صفته والفراء ان يحتج على قوله بانه لو كان صلة للسماء لكان التقدير ام السماء بناها وهذا يقتضي
وجود بناء ما بناها الله تعالى الثالث والذي يدل على انه تعالى بنى السماء وجوه احدها ان السماء جسم
وكل جسم محدث لما مر انه اذا كان قديما فاما ان يكون متحركا او ساكنا والكل باطل وثانيها ان كل
ما سوى الواجب ممكن وكل ممكن محدث وكل محدث فله صانع وانما قلنا ذلك لانا اذا فرضنا موجودين
واجبين لذاتيهما كانا مشتركين في الوجوب متباينين في غير الوجوب وكان كل واحد منهما مركبا
مما به المشاركة ومما به المباينة وكل مركب مفتقر الى جزئه وجزؤه غيره فيكون مفتقرا الى غيره والمفتقر
الى الغير ممكن فيلزم ان يكون الواجب لذاته ممكنا لذاته وذلك محال فثبت ان ما سوى الواجب ممكن
وكل ممكن محدث على ما عرف وكل محدث فلا بد له من محدث فلا بد للسماء من محدث وهو الباني له
وثالثها ان صريح العقل يشهد بان جرم السماء لا يمتنع ان يكون اكبر مما هو الآن بقدر خردلة
ولا يمتنع ان يكون اصغر بقدر خردلة فاختصاصه بهذا المقدار بالوقوع لا بد وان يكون لمخصص
وذلك المخصص هو الباني للسماء ولا يقال لم لا يمكن ان يكون الباني غيره تعالى ونحن نقول بانه تعالى خلق شيئا
واعطاه قدرة على خلق السماء والارض لانه اذا ثبت ان ذلك كان الباني في الحقيقة هو الله سبحانه فان بناء
الشيء قد يكون بواسطة وقد يكون لا بواسطة ونفي الواسطة واما نفي الواسطة فذلك قد يكون بالسمع
لانه اما ان يقع باحدهما دون الآخر وذلك لا يمكن والا يمكن ترجيح احد المتساويين على الآخر
او بهما معا وذلك لا يمكن ايضا لانه يستغني بكل واحد منهما وعن كل واحد منهما فيكون محتاجا
اليهما معا وغنيا عنهما معا وذلك محال وقد يكون بالعقل وذلك لان ما سوى الله تعالى فهو ممكن والممكن
مفتقر في الوجود الى واجب الوجود لذاته والواجب لذاته قادر على ايجاده ولما كان قادرا على الممكن مطلقا
كان قادرا على كل ممكن فان جميع الممكنات في كون كل واحد منها ممكنا على السواء ولو كان قادرا على الكل
فيتعين ان لا يكون قادرا على البعض منها والا لزم وقوع مقدور واحد بين قادرين من جهة واحدة وذلك

محال

محال فقوله تعالى بناها يدل على ان الباني هو الله تعالى لا غيره واعلم بانا بينا على سبيل الاختصار لما انها
من جملة ما تقدم ثم انه تعالى لما بين في السماء انه بناها بين بعد ذلك انه كيف بناها وشرح تلك
الكيفية من وجوه اولها ما يتعلق بالمكان فقال تعالى رفع سمكها فسويها واغطش ليلها واخرج
ضحيها واعلم ان امتداد الشيء اذا اخذ من اعلاه الى اسفله سمي عمقا وان اخذ من اسفل الشيء
الى اعلاه سمي سمكا فالمراد برفع سمكها شدة علوها وذلك في الغاية وثانيها قوله تعالى فسويها
وفيه وجهان احدهما ان المراد تسوية تاليفها وقيل المراد نفي الشقوق كقوله ما ترى في خلق
الرحمن من تفاوت والذي ذهب اليه الاول قال فسويها عام فلا يجوز تخصيصه بالتسوية في البعض
وحينئذ يلزم ان يكون السماء كرة حقيقية والا لوجد فيه من الخطوط والسطوح والزوايا
وذلك من جملة ما ينافي التسوية الحقيقية وثالثها واغطش ليلها واخرج ضحيها وفيه
مباحث الاول اغطش قد يجيء لازما يقال اغطش الليل اذا صار مظلما وقد يجيء متعديا
يقال اغطشه الله اذا جعله مظلما والغطش الظلمة والاغطش شبه الاعمش ولقائل
ان يقول الليل مظلم فقوله تعالى واغطش ليلها يرجع معناه الى انه جعل المظلم مظلما والجواب ان الظلمة
الحاصلة في الليل انما حصلت بتدبير الله تعالى وتقديره حينئذ لا يبقى الاشكال الثاني اخرج ضحيها
اي اخرج نهارها وانما عبر عن النهار بالضحى لان الضحى اكمل اجزاء النهار في النور والضوء الثالث
اضاف الليل والنهار الى السماء ولانهما يحدثان بسبب غروب الشمس وطلوعها والطلوع والغروب
انما يحصلان بحركة الفلك ثم انه تعالى لما وصف كيفية خلق السماء اتبعه بكيفية خلق الارض وذلك
من وجوه اولها قوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها وفيه مباحث الاول دحيها بسطها
وفي هذه اللفظة لغتان دحوت ودحيت ومثله صغوت وصغيت وقيل اصل الدحو الازالة
للشيء من مكان الى مكان الثاني ظاهر هذه الاية يقتضي كون الارض بعد السماء وقوله ثم استوى
الى السماء يقتضي كون السماء بعد الارض وهذا من جملة ما تقدم في البقرة في تفسير قوله تعالى
ثم استوى الى السماء ولا باس بان يعاد بعض تلك الوجوه احدها انه تعالى خلق الارض اولا ثم خلق

السماء ثانيا ثم دحى الارض اى بسطها ثالثا وثانيها ان لا يكون معنى قوله دحيها مجرد البسط
بل يكون المراد انه بسطها بسطا مهيئا لنبات الاقوات وهذا هو الذى بينه بقوله اخرج منها
ماءها ومرعاها وذلك لان هذا الاستعداد لا يحصل للارض الا بعد وجود السماء فان الارض
كالام والسماء كالاب يتولد منهما المعادن والنبات والحيوان وثالثها ان يكون قوله تع والارض
بعد ذلك دحاها اى مع ذلك كقوله عتل بعد ذلك اى مع ذلك الثالث لما ثبت انه تع خلق الارض
اولا ثم خلق السماء ثانيا ثم دحى الارض بعد ذلك ثالثا ذكروا فى تقدير تلك الازمنة وجوها
روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما خلق الله البيت قبل الارض بالفى سنة ومنه دحيت الارض واعلم
ان الرجوع فى امثال هذه الى كتب الحديث اولى قوله تع اخرج منها ماءها ومرعاها والجبال
ارساها وفيه بحثان الاول ماءها ومرعاها وهو فى الاصل موضع الرعى ونصب الارض والجبال
باضمار دحى وارسى على شريطة التفسير وقرأهما الحسن مرفوعين على الابتداء فان قيل
هلا ادخل حرف العطف على اخرج قلنا لوجهين احدهما ان يكون معنى دحيها بسطها
ومهدها للسكنى ثم فسر التمهيد بما لا بد منه من تسوية امر المشارب والماكل وامكان القرار
عليها باخراج الماء والمرعى وارساء الجبال واثباتها اوتادا لها وثانيهما ان يكون اخرج حالا
والتقدير والارض بعد ذلك دحيها حال ما اخرج منها ماءها ومرعاها الثانى اراد بمرعاها ما
يأكل الناس والانعام ثم استعير الرعى للانسان كما استعير الرتع فى قوله يرتع ويلعب وقرئ نرتع
من الرعى فانظر كيف دل بقوله ماءها ومرعاها على جميع ما اخرجه من الارض قوتا ومتاعا للانام
من العشب والشجر والحب والتمر وغير ذلك ثم الذى يدل على انه تع اراد بالمرعى كل ما يأكله الناس
والانعام قوله تع متاعا لكم ولانعامكم وثالثها قوله تعالى والجبال ارساها والكلام فى شرح
منافع الجبال قد تقدم ثم انه تع لما بين كيفية خلقة الارض وكيفية منافعها قال متاعا لكم و
لانعامكم واحتج به من قال ان افعال الله تع معللة بالاغراض والكلام فى جملة ما قد مر الكلام
فيه غير مرة واعلم انا بينا انه تع انما ذكر كيفية خلقة السماء والارض ليستدل بها على كونه

قادرا

قادرا على الحشر والنشر فلما قرر ذلك اخبر عنه بوقوعه وقال فاذا جاءت الطامة الكبرى
والطامة عند العرب الداهية التى لا تستطاع وفى اشتقاقها وجوه قال المبرد من قولهم طم الفرس
طميما اذا استفرغ جهده فى الجرى وطم الماء اذا ملا النهر كله وقال الليث الطم طم البئر
بالتراب وطم السيل الركية اذا دفنها حتى يسويها ويقال للشىء الذى يكثر حتى يعلو قد طم
والطامة الحادثة التى تطم على ما سواها ثم قيل فوق كل طامة قال القفال اصل الطم الدفن والعلو
وكل ما غلب وقهر واخفاه فقد طمه ومنه الماء الطامى وهو الكثير الزائد والطاغى العاتى
والعادى سواء وهو الخارج عن امر الله المستكبر فالطامة اسم لكل داهية عظيمة ينسى ما قبلها
فى جنبها الثانى قد ظهر مما ذكرنا ان معنى طامة الكبرى الداهية الكبرى واختلفوا فى انها
اى شىء منهم من قال انها يوم القيمة وعن الحسن رحمه الله انها هى النفخة الثانية التى يحشر عندها
الخلايق الى موقف القيمة ومنهم من قال الله تع فسر الطامة بيوم يتذكر الانسان ما سعى
وبرزت الجحيم لمن يرى فالطامة اسم لذلك الوقت فيحتمل ان يكون ذلك الوقت وقت قراءة الكتاب على ما
قال تع ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا ويحتمل ان يكون تلك الساعة التى يساق فيها اهل
الجنة الى الجنة واهل النار الى النار ثم انه تع وصف ذلك اليوم وصفين احدهما قوله تع يوم
يتذكر الانسان ما سعى يعنى اذا راى اعماله مدونة يتذكرها وقد كان نسيها كقوله تع احصاه
الله ونسوه وثانيهما قوله تع وبرزت الجحيم لمن يرى قوله لمن يرى انها تظهر اظهارا مكشوفا
لكل ناظر ذى بصر ثم فيه وجهان احدهما انه استعارة فى كونه منكشفا ظاهرا كقولهم قد بين
الصبح لذى عينين وعلى هذا لا يجب ان يراه كل احد وثانيهما ان يكون المراد انها برزت ليراها
كل من له عين وبصر وهذا يفيد ان الناس كلهم يرونها الا انها مكان الكفار وماويهم والمؤمنون
يمرون عليها قال تع وان منكم الا واردها الثالث قرئ برزت وقرئ لمن راى وهى قراءة ابن مسعود
رضى الله عنهما وقرئ لمن ترى والضمير للجحيم كقوله اذا رأتهم من مكان بعيد وقيل لمن ترى يا محمد
من الكفار الذين يؤذونك ثم انه تع لما وصف حال القيمة فى الجملة قسم المكلفين قسمين الاشقياء

والسعداء فذكر حال الاشقياء فقال تعالى واما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي
المأوى فيه مباحث الاول في جواب قوله فاذا جاءت الطامة الكبرى وجهان احدهما انه محذوف
على تقدير اذا جاءت الطامة دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة وثانيهما ان جوابه قوله تعالى
فان الجحيم هي المأوى فكانه جزاء مركب على شرطين اى اذا جاءت الطامة الكبرى فمن جاء طاغيا
فان الجحيم مأواه الثاني منهم من قال المراد بقوله طغى وآثر الحيوة الدنيا النضر وابو الحارث
فان كان المراد ان هذه الآية نزلت عند صدور بعض المنكر منه فحسن وان كان المراد
تخصيصها به فبعيد لان العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب الثالث قوله طغى اشارة
الى فساد حال القوة النظرية لان من عرف الله عرف حقارة نفسه وعرف استيلاء قدرته
تعالى عليه فلا يكون له طغيان وتكبر وقوله تعالى وآثر الحيوة الدنيا اشارة الى فساد حال القوة
العملية قال عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة الرابع تقدير الآية فان الجحيم هي المأوى
له ثم حذف الصلة لوضوح المعنى ثم ذكر حال السعداء فقال تعالى واما من خاف مقام
ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فهذان الوصفان في مقابلة الوصفين
المذكورين لاهل النار في مقابلة الصفتين ثم الخوف من الله لا بد وان يكون مسبوقا بالعلم بالله
تعالى على ما قال انما يخشى الله من عباده العلماء ولما كان الخوف من الله هو السبب المعين لدفع
الهوى لا جرم قدم العلة على المعلول واعلم انه لما بين بالبراهين العقلية امكان القيمة ثم
اخبر عن وقوعها ثم ذكر احوالها ثم احوال الاشقياء والسعداء فيها قال الله تعالى
يسألونك عن الساعة ايان مرساها فيم انت من ذكراها ثم ان المشركين لما سمعوا اثبات
القيمة واحوالها قالوا على سبيل الاستهزاء ايان مرسيها ويحتمل ان يكون ذكر على سبيل الايهام
لاتباعهم انه لا اصل لذلك ويحتمل انهم كانوا يسألون الرسول عن وقت القيمة استعجالا
كقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ثم في قوله مرسيها قولان احدهما متى ارساها اى اقامتها
اراد والله متى يقيمها الله ويوجدها وثانيهما ايان منتهاها ومستقرها ثم انه تعالى اجاب عنه

فقوله من خاف مقام ربه ضد قوله واما من طغى وقوله ونهى النفس عن الهوى ضد قوله وآثر الحيوة الدنيا كبير

بقوله فيم انت من ذكريها وفيه وجهان احدهما معناه في اى شيء من ان تذكر وقتها لهم على
سبيل الاستعداد وعن عائشة رضي الله عنها وعن ابيها لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الساعة
ويسأل عنها حتى نزلت هذه الآية فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها كأنه قال في اى شغل واهتمام
انت من ذكرها والسؤال عنها ثم قال الى ربك منتهاها اى منتهى علمها لم يؤت علمها احدا
من خلقه وقيل فيم انكار لسؤالهم اى فيم هذا السؤال ثم قيل انت من ذكراها اى ارسالك
وانت خاتم الانبياء وآخر الرسل ذكر من انواع علاماتها وواحد من اقسام اشراطها فكفاهم
بذلك دليلا على دنوها ووجوب الاستعداد لها ولا فائدة في سؤالهم عنها ثم قال تعالى انما انت
منذر من يخشاها يعني انك اذا بعثت للانذار لا يتوقف هذا المعنى على علمك بوقت قيام الساعة
بل الانذار بدون هذا العلم اتم وانما خص من يخشى مع انه منذر للكل لان الذي ينتفع
بذلك الانذار هو الذي يخشى الثاني قرئ منذر بالتنوين وهو الاصل قال الزجاج مفعل و
فاعل اذا كان كل واحد منهما للاستقبال او للحال نونته لانه يكون بدلا من الفعل والفعل لا يكون
الا نكرة ويجوز حذف التنوين للتخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فاذا اريد الماضي
فلا يجوز الا الاضافة ثم قال كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وتفسير هذه
الآية ما مر في قوله تعالى كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار والمعنى ما انكروه سيرونه
حتى كانهم كانوا ابدا فيه وكانهم لم يلبثوا في الدنيا الا ساعة من نهار ثم مضت فان قيل قوله
او ضحاها معناه ضحى العشية وهذا غير معقول لانه ليس للعشية ضحى قلنا الجواب عنه من وجوه
منها وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما الهاء والالف صلة للكلام يريد لم يلبثوا الا عشية او ضحى
ومنها قول الفراء والزجاج المراد باضافة الضحى الى العشية اضافتها الى يوم العشية كانه قيل
الا عشية او ضحى يومها ومنها وهو قول النحويين يكفي في حسن الاضافة ادنى سبب فالضحى المتقدم
على عشية يصح ان يقال انه ضحى تلك العشية ان زمان المحنة قد يعبر عنه بالعشية وزمان الراحة
قد يعبر عنه بالضحى فالذين يحضرون في موقف القيمة يعبرون عن زمان محنتهم بالعشية وعن

زمان احتضارهم بضحى تلك العشية بقولوه كان عمرنا في الدنيا ما كان الا هاتين الساعتين والله
اعلم بمراده سورة عبس مكية وهي احدى واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى
ان جاءه الاعمى وفيه من المسائل الاولى في بيان النظم وذلك ان تلك السورة مشتملة على ذكر
الموت والبعث واهوال واحوالها وافزاعها والانذار بها للكفرة طلبا للاعتراف بتلك الحالة
وعما جاء به الرسول عن الله تع حتى انه عليه السلام كان يشتغل بالدعوة دايما وبالانذار والتخويف
بما يدعوهم الى التصديق بمجازاته واحد بان يومن بالله وعما جاء به الرسول من عند حضرته تع وتقدس
كما هو المذكور في اول هذه السورة وهو الذي تعرض لبيانه الآن الثانية اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابن ام مكتوم وام مكتوم ام ابيه واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني
عامر بن لوي وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس
بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم
غيرهم فقال للنبي عليه السلام اقرئني وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك فكره رسول الله قطعه كلامه
وعبس واعرض فنزلت هذه الآية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن
عاتبني فيه ربي ويقول هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وفي هذا الموضع سوالات الاول
ان ابن ام مكتوم كان يستحق الزجر والتاديب فكيف عتب الله رسوله على ان ادب ابن ام مكتوم وزجره
وانما قلنا انه كان يستحق التاديب لوجوه احدها انه وان كان افقد بصره لا يرى القوم لكنه
لصحة سمعه كان يسمع مخاطبة الرسول اولئك الكفار وكان يسمع اصواتهم ايضا وكان يعرف
بواسطة استماع تلك الكلمات شدة اهتمام النبي عليه السلام لشانهم فكان اقدامه على قطع
كلام النبي والقاءه غرض نفسه في البين قبل تمام غرض النبي ايذاء للنبي عليه السلام وذلك معصية
عظيمة وثانيها انه كان قد اسلم وتعلم ما كان يحتاج اليه من امر الدين اما اولئك الكفار وكان
اسلامهم اهم والاهم مقدم على غيره فالتماس ابن مكتوم كلاما في الدين كان سببا في قطع ذلك
الخير العظيم لغرض قليل وذلك حرام وثالثها انه تع قال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات

اكثرهم لا يعقلون فنهاهم عن مجرد النداء الا في الوقت على الخصوص اذ كان النداء كالصارف للكفار
عن قبول الايمان فان ذلك ذنب عظيم الثاني انه تع لما عاتبه على مجرد انه عبس في وجهه كان ذلك
تعظيما عظيما لابن ام مكتوم ولو كان كذلك فلا يليق للنبي بمثل هذا التعظيم ان يذكره باسم
الاعمى مع ان الذكر بهذا الوصف يقتضي تحقير شانه جدا الثالث الظاهر انه عليه السلام كان ماذونا
في ان يعامل اصحابه على حسب ما يراه مصلحة وانه عليه السلام كثيرا ما كان يودب اصحابه ويزجرهم
عن اشياء وكيف لا يكون كذلك وانه عليه السلام انما بعث لمثل هذا الامر واذا كان كذلك كان ذلك
التعبيس داخلا في اذن الله تع اياه في تاديب اصحابه فكيف وقعت المعاتبة بعد ذلك والجواب عن
الاول ان الامر وان كان على ما ذكرتم الا ان ظاهر الواقعة يوهم تقديم الاغنياء على الفقراء وانكسار
قلوب الفقراء فلهذا السبب وقعت المعاتبة وايضا لعل هذا العتاب لما في قلبه عليه السلام من الميل
اليهم بسبب قرابتهم وعلو منصبهم والجواب عن الثاني ذكر بلفظ الاعمى ليس لتحقير شانه بل كانه
قيل انه بسبب عماه استحق مزيد الرفق والرافة فكيف يليق بك يا محمد ان تخصه بالغلظة الثالث
انه كان ماذونا في تاديب اصحابه لكن هنا لما اوهم تقديم الاغنياء على الفقراء وكان ذلك مما يوهم
ترجيح الدنيا على الدين فلهذا جاءت المعاتبة الثالث القائلون بصدور الذنب على الانبياء تمسكوا
بهذه الآية وقالوا لما عاتبه الله في ذلك الفعل كان ذلك معصية وهذا ضعيف لما بينا ان ذلك كان واجبا
انه يوهم تقديم الاغنياء على الفقراء وذلك لا يليق بصلابة الرسول وكان جاريا مجرى ترك الافضل
فلم يكن ذنبا الرابع اجمع اهل التفسير على ان الذي عبس وتولى هو الرسول وان الاعمى هو ابن ام
مكتوم وقرئ عبس بالتشديد للمبالغة ان جاءه منصوب بتولى او عبس على اختلاف المذهبين في
اعمال الاقرب او الابعد ومعناه عبس لان جاءه واعرض لذلك وقرئ آان جاءه بهمزتين وبالف
بينهما ووقف على عبس وتولى ثم ابتدا على معنى الان جاءه الاعمى والمراد منه الانكار عليه قوله تعالى
وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى اما من استغنى فانت له تصدى
وما عليك الا يزكى فيه قولان احدهما اي شيء يجعلك داريا على هذا الاعمى لعله يتطهر بما يتلقن

من الجهل والاثم او يتعظ فتنفعه الذكرى اي موعظتك ويكون له لطفا في بعض الطاعات
وثانيهما ان الضمير في لعله للكافر يعني انك طمعت في ان تزكى الكافر بالاسلام او يذكر
فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرئ فتنفعه بالرفع عطفا
على يذكر وبالنصب جوابا للعل كقوله فاطلع الى اله موسى وقد مر ثم قال اما من استغنى
قال عطاء يريد عن الايمان وقال الكلبي استغنى عن الله وقال بعضهم استغنى اثرى وهو فاسد هنا
لان اقبال النبي عليه السلام لم يكن لثروتهم ومالهم ولانه قال واما من جاءك يسعى وهو يخشى
ولم يقل وهو فقير ومن قال اما من استغنى بماله فهو صحيح لان المعنى انه استغنى عن الايمان والقرآن
بماله من المال وقوله فانت له تصدى قال الزجاج اي انت تقبل عليه وتتعرض له وتميل اليه
يقال تصدى فلان لفلان اذا تعرض له والاصل فيه تتصدد من الصدد وهو ما استقبلك وقرئ تصّدّى
بالتشديد بادغام التاء في الصاد وقرأ ابو جعفر تصدى بضم التاء اي تعرض ومعناه يدعوك
داع الى التصدي له من الحرص على اسلامه ثم قال وما عليك الا يزكى المعنى لا شيء عليك في ان لا يسلم
من تدعوه الى الاسلام فانه ليس عليك الا البلاغ اي لا يبلغن بك الحرص على اسلامهم الى ان
تعرض عمن اسلم للاشتغال بدعوتهم ثم قال تعالى واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت
عنه تلهى كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة
كرام بررة قوله واما من جاءك يسعى اي يسرع في طلب الخير كقوله فاسعوا الى ذكر الله
وهو يخشى فيه ثلاثة اوجه يخشى الله ويخافه في ان لا يهتم باداء تكاليفه او يخشى
الكفار في اتيانك واذاهم او يخشى الكبوة فانه كان اعمى وما كان له قائد فانت عنه تلهى
اي تتشاغل من لهي عن الشيء والتهى وتلهى وقرأ طلحة بن مصرف وتتلهى وقرأ ابو جعفر
تلهى اي يلهيك شان الصناديد فان قيل فانت له تصدى فانت عنه تلهى كان فيه
اختصاصا قلنا نعم ومعناه انكار التصدي والتلهي عليه اي مثلك خصوصا
لا ينبغي ان يتصدى للغني ويتلهى عن الفقير ثم قال كلا وهو ردع عن المعاتب عليه وعن
اي منع

معاودة

معاودة مثله ثم قال انها تذكرة ولقائل ان يقول كيف هو وقوله انها تذكرة ضمير
المؤنث وقوله فمن شاء ذكره ضمير المذكر والضميران عائدان الى شيء واحد والجواب
انها تذكرة يعني ايات القرآن وهو قول مقاتل وقال الكلبي يعني هذه السورة وهو قول الاخفش
والضمير في قوله فمن شاء ذكره عائد الى التذكرة ايضا لان التذكرة في معنى الذكر والوعظ
وقيل المراد به القرآن هو التذكرة فان قيل كيف اتصال هذه الاية بما قبلها فنقول من
وجهين الاول كانه قيل هذا التاديب الذي اوحيته اليك مسطور في اللوح المحفوظ الذي
قد وكل بحفظه اكابر الملائكة الثاني كانه قيل هذا القرآن قد بلغ في العظمة الى هذا الحد
العظيم فاي حاجة الى ان يقبله هؤلاء الكفار فسواء قبلوه او لم يقبلوه فلا تلتفت اليهم
ولا تشغل قلبك بهم واياك ان تعرض عمن امن به تطييبا لقلب ارباب الدنيا قوله فمن شاء
ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة اعلم انه تعالى وصف تلك التذكرة بامرين احدهما فمن شاء
ذكره اي تذكرة بينة ظاهرة بحيث لو ارادوا فهمها والاتعاظ بها والعمل بموجبها لقدروا عليه
وثانيهما قوله في صحف مكرمة اي تلك التذكرة مودعة في هذه الصحف المكرمة والمراد من
ذلك تعظيم حال القرآن وفي المراد من الصحف قولان احدهما انها صحف منتسخة من اللوح مكرمة
عند الله تعالى مرفوعة في السماء السابعة او مرفوعة المقدار مطهرة من ايدي الشياطين او المراد
مطهرة بسبب انه لا يمسها الا المطهرون وهم الملائكة ثم قال بايدي سفرة كرام بررة وفيه
من المباحث الاول انه تعالى وصف الملائكة بثلاثة انواع من الصفات اولها انهم سفرة وفيه قولان
احدهما وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد ومقاتل وقتادة وهم الكتبة من الملائكة
قال الزجاج السفرة الكتبة واحدها سافر مثل كتبة وكاتب وانما قيل للكتاب سفر وللكاتب
سافر لان معناه انه يبين الشيء ويوضحه يقال سفرت المرأة اذا كشفت عن وجهها وثانيهما
وهو اختيار الفراء ان السفرة هنا هم الملائكة الذين يسفرون بالوحي بين حضرة الله وبين
رسله واحدها سافر وثانيها انهم كرام قال مقاتل كرام على ربهم وثالثها انهم بررة

قال مقاتل مطيعين وهي جمع بار القول الثاني في تفسير الصحف انها هي صحف الانبياء لقوله تعالى ان
هذا لفي الصحف الاولى يعني ان هذه التذكرة مذكورة في صحف الانبياء المتقدمين والسفرة الكرام
البررة وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هم القراء الثاني قوله مطهرة بايدي سفرة
يقتضي ان طهارة تلك الصحف انما حصلت بايدي هؤلاء السفرة قال القفال في تقريره لما كان
لا يمسها الا الملائكة المطهرون اضيف التطهير اليها لطهارة من يمسها قوله تعالى قتل
الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره
ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره فيه مباحث الاول انه تعالى لما ابتدأ بذكر القصة
المشتملة على ترفع صناديد قريش على فقراء المسلمين عجب عباده المؤمنين من ذلك فكانه قيل واي
سبب في هذا الموضع العجب والترفع مع ان اوله نطفة قذرة وآخره جيفة مذرة وفيما بين الوقتين
حامل عذرة فلا جرم ذكر ما يصلح ان يكون علاجا لعجبهم وما يصلح ان يكون علاجا لكفرهم
فان خلقة الانسان تصلح لان يستدل بها على وجود الصانع وعلى البعث والحشر والنشر كذلك
الثاني قال اهل التفسير نزلت هذه الآية في عتبة بن ابي لهب وعن غيرهم المراد بالانسان الذين
اقبل الرسول عليه السلام وترك ابن ام مكتوم بسببهم ومنهم من قال بل المراد ذم كل غني
يترفع على فقير والذي يدل عليه من وجوه احدها هو انه تعالى انما ذمهم لترفعهم ولان حمل اللفظ
على هذا الوجه اكثر فائدة واللفظ محتمل له فوجب حمله عليه وثالثها قوله قتل الانسان
دعاء عليه وهي من اشنع دعواتهم لان القتل غاية شدائد الدنيا وما اكفره تعجب من افراطه
في كفران نعمة الله تعالى فقوله قتل تنبيه على انهم استحقوا اعظم انواع العقاب وقوله ما اكفره تنبيه
على انهم اتصفوا باعظم انواع القبائح فان قيل الدعاء على الانسان انما يليق بالعاجز
فالقادر على الكل كيف يليق ذلك به والتعجب ايضا انما يليق بالجاهل بسبب الشيء فالعالم بالكل
كيف يليق به ذلك والجواب ان ذلك ورد على اسلوب كلام العرب وتحقيقه ما ذكرنا انه تعالى بين
انهم استحقوا اعظم انواع العقاب لاجل انهم اتوا اعظم انواع القبائح واعلم ان لكل حدث

ثلث

ثلث مراتب اوله واوسطه وآخره وانه تعالى ذكر هذه المراتب للانسان اما الاولى فهو قوله من اي شيء
خلقه والغرض من هذا الاستفهام زيادة التقرير في التحقير ثم اجاب عن هذا الاستفهام بقوله
من نطفة خلقه ولا شك ان النطفة شيء حقير والغرض منه ان من كان اصله مثل هذا
الشيء فالتكبر والتجبر لا يليق به ثم قال فقدره وفيه وجوه احدها قال الفراء قدره اطوارا نطفة
ثم علقة الى آخر خلقه ذكرا وانثى وشقيا وسعيدا وثانيها قال الزجاج المعنى قدره على الاستواء
كما قال اكفرت بالذي خلقك من تراب الآية وثالثها يحتمل ان يكون المراد وقدر كل عضو في الكمية
والكيفية بالقدر اللائق بمصلحته قال وخلق كل شيء فقدره تقديرا واما المرتبة المتوسطة
فهي قوله ثم السبيل يسره والبحث الاول فيه ان نصب السبيل باضمار يسره وفسر بيسره
والثاني ذكروا في تفسيره اقوالا احدها قال بعضهم المراد تسهيل خروجه من بطن امه قالوا
انه كان رأس المولود في بطن امه من فوق ورجله من تحت فاذا جاء وقت الخروج انقلب فذلك الا لهام
تسهيل من الله تعالى وثانيها قال ابو مسلم المراد من هذه الآية هو المراد من قوله وهديناه النجد ين
فهو يتناول التمييز بين كل خير وشر يتعلق بالدنيا وبين كل خير وشر يتعلق بالدين اي جعلناه
متمكنا من سلوك الخير والشر وثالثها ان هذا مخصوص بامر الدين لان لفظ السبيل مشعر بان
المقصود من احوال الدنيا امور تحصل في الآخرة واما المرتبة الثالثة فهي قوله ثم اماته فاقبره
ثم اذا شاء انشره واعلم ان هذه المرتبة مشتملة ايضا على ثلث مراتب الاماتة والاقبار والانشار
اما الاماتة فقد ذكرنا منافعها في هذا الكتاب ولا شك انها هي الواسطة بين حال التكليف والمجا زاة
واما الاقبار فقال الفراء جعله الله تعالى مقبورا ولم يجعله ممن يلقى للطير والسباع قال فاقبره
ولم يقل فقبره لان القابر هو الدافن بيده والمقبر هو الله تعالى يقال قبر الميت اذا دفنه واقبر الميت
اذا امر غيره بان يجعله في القبر واما الانشار فهو الاحياء والبعث وانما قال اذا شاء اشعارا
بان وقته غير معلوم واما سائر الاحوال المذكورة من قبل فانه تعلم اوقاتها ببعض الوجوه
قوله تعالى كلا لما يقض ما امره كلا ردع للانسان عن تكبره وترفعه او عن كفره واصراره في

انكار الحشر والنشر وفي قوله لما يقض ما امره وجوه منها وهو قول مجاهد لا يقضي احد جميع ما كان مفروضا عليه ابدا وهو اشارة الى ان الانسان لا ينفك عن تقصير البتة وفي هذا التفسير نظر اذ المذكور السابق هو الانسان في قوله قتل الانسان ما اكفره فكيف يراد به جميع الناس بل يراد به الكافر ومنها ان ذلك المتكبر لم يقض ما امر به من التأمل في دلائل الله والتدبر في عجائب خلقه ومنها ما قاله القاضي ابو بكر بن فورك رح كلا لما يقض الله لهذا الكافر ما امر به من الايمان وترك التكبر بل امر بما لم يقض له به واما طريق الذكر في كتاب الله تعالى فهو انه كلما ذكر الدلائل في الانفس ذكر الدلائل في الافاق فجرى هنا على تلك الطريقة ذكر دلائل الافاق وبدا بما يحتاج الانسان اليه فقال **فلينظر الانسان الى طعامه** الذي يعيش به كيف دبرنا امره ولا شك انه موضع الاعتبار فان الطعام الذي يتناوله الانسان يفتقر في وجوده الى وجود امور كثيرة وكذلك الانتفاع به فانه يفتقر في وجوده الى امور كثيرة في بدن الانسان وهذا من جملة ما قدمر الكلام فيه وقد مر ايضا ان النبت انما يحصل من المطر النازل فذكر في بيان نزول المطر قوله **انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم** قوله انا صببنا الماء صبا والبحث الاول فيه ان المراد منه الغيث ثم انظر كيف حدث الغيث المشتمل على هذه المياه العظيمة وكيف بقي معلقا في جو السماء والثاني قرئ انا بالكسر وهو على هذا الاستيناف وانا بالفتح على البدل من الطعام يعني فلينظر الانسان الى طعامه انا كيف صببنا الماء وقوله ثم شققنا الارض شقا والمراد شق الارض بالنبات ثم انه تعالى ذكر ثمانية انواع من النبات الحب وهو كل ما حصل من نحو الحنطة والشعير وانما قدم ذلك لانه كالاصل في الاغذية ثم العنب وانه غذاء من وجه وفاكهة من وجه ولهذا ذكره عقيب الحب ثم القضب وفيه قولان احدهما انه الرطب وهو الذي اذا يبس سمي بالقت واصله من القطع وذلك لانه تقضب مرة بعد اخرى وكذلك القصيل لانه يفصل اي يقطع وهذا قول ابن عباس رضي الله عنه

وكثير

وكثير من اهل التفسير وثانيهما وهو قول الحسن والمبرد القضب العلف بعينه واصله من انه يقضب اي يقطع ثم الزيتون والنخل وقد تقدم ذكرهما ثم قوله وحدائق غلبا الاصل في الوصف بالغلب الرقاب فالغلب الغلاظ الاعناق الواحد اغلب يقال اسد اغلب ثم ههنا قولان احدهما ان يكون المراد وصف كل حديقة بان اشجارها متكاثفة متقاربة وثانيهما ان يكون المراد وصف كل واحد من الاشجار بالغلظ والعظم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال يريد الشجر العظام وقال الفراء الغلب ما غلظ من النخل ثم قوله وفاكهة وابا وقد استدل قوم بانه تعالى لما ذكر الفاكهة معطوفة على العنب والزيتون والنخل وجب ان لا يدخل هذه الاشياء في الفاكهة وهذا قريب من جهة الظاهر واما الاب فهو المرعى قال رحمه الله في الكشاف لانه يؤب اي يؤم وينتجع الاب والام اخوان وقيل الاب الفاكهة اليابسة لانها تؤب للشتاء ولما ذكر انه تعالى يغتذي به الناس والحيوان قال متاعا لكم ولانعامكم قال الفراء خلقنا منفعة ومتعة لكم ولانعامكم وقال الزجاج هو منصوب لانه مصدر مؤكد ثم انه تعالى لما ذكر هذه الاشياء وكان المقصود منها الدلائل على التوحيد والقدرة وعلى المعاد ايضا وذكر الانواع العظيمة من الاحسان على عبيده اتبع هذه الجملة بما يكون مؤكدا لها وهو شرح احوال القيمة فان الانسان اذا سمعها خاف فيدعوه ذلك الخوف الى التأمل في الدلائل والايمان بها والاعراض عن الكفر ويدعوه ذلك ايضا الى ترك التكبر والى اظهار التواضع فقال **فاذا جاءت الصاخة** قالوا يعني صيحة القيمة وهي النفخة الاخيرة واصل الصخ في اللغة الطعن يقال صخ رأسه بحجر اي شدخه والغراب يصخ بمنقاره في دبر البعير اي كسره قال صاحب الكشاف رحمه الله مثل اصاخ له فوصف النفخة بالصاخة مجاز لان الناس يصخون لها اي يستمعون ثم انه تعالى وصف هول ذلك اليوم بقوله **يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه** وفيه بحثان احدهما ان يكون المراد من الفرار ما يشعر به ظاهره وهو التباعد والاحتراز والسبب في ذلك الفرار الاحتراز عن المطالبة بالتبعات وثانيهما انه يحتمل ان يكون المراد من الفرار ليس هو التباعد والاحتراز

[illegible]

بل المعنى انه يوم يفر المرء من موالاة اخيه لاهتمامه بشانه وهو كقوله اذ تبرء الذين اتبعوا
من الذين اتبعوا واما الفرار من نصرته فهو كقوله يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا واما
ترك السؤال فهو كقوله ولا يسئل حميم حميما وثانيهما المراد ان الذين كان المرء في دار الدنيا
يفر اليهم ويستجير بهم فانه يفر منهم في دار الآخرة ذكر وافي الترتيب كانه قيل يوم يفر
المرء من اخيه بل من ابيه فانهما اقرب من اخويه بل من الصاحبة والولد لان تعلق القلب
بهما اشد من تعلقه بابويه ثم انه تع لما ذكر هذا الفرار اتبعه بذكر سببه فقال لكل امرء
منهم يومئذ شان يغنيه وفي قوله يغنيه وجهان احدهما يغنيه اي يصرفه ويصده
عن قرابته وانشد سيغنيك حرب بني مالك عن الفحش والجهل والمحفل اي سيشغلك وثانيهما
يغنيه اي في كل الهم الذي له سبب خاصة نفسه قد ملأ صدره فلم يبق فيه متسع لهم آخر فصار
شبيها بالغني ثم انه تع لما ذكر حال يوم القيمة في الهول بين ان اول التكليف فيه على قسمين
منهم السعداء ومنهم الاشقياء فوصف السعداء بقوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة
مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة
مسفرة مضيئة من اسفر الصبح اذا اضاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما من قيام الليل لما روى
من كثرت صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء ولا يبعد ان يكون بسبب
الخلاص من علائق الدنيا والاتصال بعالم القدس ضاحكة يعني بالفراغ من الحساب مستبشرة
فرحة بما نال من كرامة الله تع ورضائه والاشقياء بقوله ووجوه يومئذ عليها غبرة ما
يصيب الانسان من الغبار وترهقها اي تدركها عن قريب القترة سواد كالدخان ولا يرى
اوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه وقد جمع الله تع في وجوههم كما جمعوا بين الكفر
والفجور والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب سورة اذا الشمس كورت وهي تسع
وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت واعلم اولا انه تع ذكر في اخر تلك السورة
من احوال القيمة واهوالها وفي احوال اهل السعادة والشقاوة واوصافهما وفي اول

هذه

24

هذه السورة من كيفية تلك الاحوال في اول ذلك اليوم فقال اذا الشمس كورت اشار
اثني عشر شيئا وقال اذا وقعت هذه الاشياء فهنالك علمت نفس ما احضرت فالاول
قوله اذا الشمس كورت والتكوير عند البعض هو التلفيف على جهة الاستدارة كتكوير
العمامة وفي الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور اي من التشتت بعد الالفة والكور
والتكوير واحد فعبر عن ازالة النور عن جرم الشمس وغيبوبتها عن الاعين بالتكوير
فلهذا قال بعضهم كورت اي طمست وقال آخرون انكسفت وقال الحسن محي
ضوؤها وعند البعض التكوير من قولهم كورت الحائط اذا طرحته حتى يسقط قال
الاصمعي يقال طعنه وكوره اذا صرعه فقوله اذا الشمس كورت اي ألقيت ورميت عن الفلك
واما ارتفاع الشمس فعلى الفاعلية رافعها فعل مضمر يفسره كورت لان اذا يطلب الفعل
لما فيه معنى الشرط الثاني قوله واذا النجوم انكدرت اي تناثرت وتساقطت كما قال الله تعالى
واذا الكواكب انتثرت والاصل في الانكدار الانصباب قال الكلبي تمطر السماء يومئذ
نجومها فلا يبقى نجم في السماء الا وقد وقع على وجه الارض وقال عطاء انها في قناديل معلقة
بين السماء والارض ومثل هذه الاقوال بعيد عن العقل والله اعلم بمراده الثالث
واذا الجبال سيرت اي عن وجه الارض كقوله وسيرت الجبال فكانت سرابا او في
الهواء كقوله تمر مر السحاب الرابع قوله تع واذا العشار عطلت والمشهور انه جمع
عشراء كالنفاس في جمع نفساء وهي التي اتى على حملها عشرة اشهر ثم هو اسمها
الى ان يضع لتمام السنة وهي انفس ما يكون عند اهلها واعزها عليهم عطلت قال ابن عباس رضي الله عنهما
اهملها اهلها لما جاءهم من اهوال يوم القيمة وليس شيء احب الى العرب من النوق الحوامل
وخوطب العرب بامر العشار لان اكثر مالها وعيشها من الابل وقيل ان العشار كناية
عن السحاب تعطلت عما فيها من الماء وهذا هو الاقرب وايضا فالعرب تشبه السحاب
بالحامل قال تع فالحاملات وقرا المحبس واذا الوحوش حشرت اي جمعت من كل ناحية

قال قتادة يحشر كل حي حتى الذباب للقصاص وقالت المعتزلة انه تعالى يحشر الحيوانات كلها في ذلك
اليوم ليعوضها على آلامها التي وصلت اليها في الدنيا بالموت والقتل وغير ذلك واما اهل
السنة فقالوا ان الله لا يجب عليه شيء ولكنه تعالى يحشر الوحوش كلها فيقتص للجماء من القرناء
ثم يقال لها موتي فتموت والغرض من ذكر هذه القصة هنا وجوه منها انه تعالى اذا كان يحشر
كل الحيوانات اظهارا للعدل فكيف يجوز مع هذا ان لا يحشر المكلفين من الانس والجن والثاني
انها تجمع في موقف القيامة مع شدة نفرتها عن الناس في الدنيا وتبددها في الصحارى فدل هذا على
اجتماعها الى الناس ليس الا من هول ذلك اليوم والثالث ان هذه الحيوانات لا يعوض بعضها بعضا
وما ذاك الا لشدة هول ذلك اليوم وفي الآية قول آخر لابن عباس رضي الله عنه وهو ان حشر الوحوش
عبارة عن موتها وقرئ حشرت بالتشديد السادس **واذا البحار سجرت** قرئ بالتشديد
والتخفيف وفيه وجوه احدها ان اصل الكلمة من سجرت التنور اذا اوقدتها والشيء اذا وقد
فيه نشف ما فيه من الرطوبة فحينئذ لا يبقى في البحار شيء من المياه البتة ثم ان الجبال قد سيرت
على ما قال وسيرت الجبال وحينئذ تصير البحار والارض شيئا واحدا في غاية الحرارة و
الاحراق ويحتمل ان يكون الارض لما نشفت مياه البحار ربت فارتفعت فاستوت برؤوس
الجبال ويحتمل ان الجبال لما اندكت وصارت كالتراب وقع ذلك التراب في اسفل البحار فصارت
الارض مستوية مع البحار وتصير الكل بحرا مسجورا وثانيها ان يكون سجرت بمعنى فجرت وذلك
لان بين البحار حاجزا على ما قال مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان واذا رفع ذلك
الحاجز فاض البعض في البعض وصارت البحار بحرا واحدا وهو قول الكلبي وثالثها سجرت اي
اوقدت قال القفال وهذا التأويل يحتمل وجوها منها ان جهنم في قعور البحار فهي الآن
غير مسجرة لقوام الدنيا فاذا انتهت المدة يظهر تأثير تلك النيران الى البحار فصارت بالكلية
مسجورة ومنها انه تعالى يلقي الشمس والقمر وسائر الكواكب في البحار فتصير البحار مسجورة
بسبب ذلك ومنها ان يخلق الله تعالى تحت البحار نيرانا عظيمة حتى تصير البحار مسجورة ثم هذه

الوجوه

25

الوجوه من جملة ما لا احتياج الى شيء منها لان القادر على اقامة القيامة قادر على ان يفعل بالبحار
ما شاء من تسجير مياهها وغير ذلك واعلم ان هذه العلامات يمكن وقوعها قبل يوم القيامة
بقريب ويمكن ان يكون بعدها وليس في اللفظ ما يدل على احدهما على التعيين اما الستة
الباقية فانها مختصة بالقيامة السابع **واذا النفوس زوجت** اي قرنت الارواح
بالاجساد وقال الحسن رحمه الله يصيرون فيها ثلاثة ازواج كما قال وكنتم ازواجا ثلاثة فاصحاب
الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة والسابقون السابقون
وعن بعضهم انه يضم الى كل صنف من كان طبيعته من الرجال والنساء فيضم البر في
الطاعة الى مثله والمتوسط الى مثله واهل المعصية الى مثله فالتزويج ان يقرن الشيء بمثله
والمعنى ان يضم كل واحد الى طبقته في الخير والشر وعن بعضهم يضم كل رجل الى من كان يلزمه
من ملك وسلطان كما قال تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وعن ابن عباس رضي زوجت
نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين وقيل قرن كل امرئ بشيعته
اليهودي باليهودي والنصراني بالنصراني وقد ورد فيه خبر مرفوع وعن الزجاج قرنت النفوس
باعمالها واعلم انك اذا تأملت في الاقوال التي ذكرناها امكنك ان تزيد عليها ما تشاء الثامن
واذا الموؤدة سئلت باي ذنب قتلت وفيه مباحث الاول وأد يئد مقلوب من
آد يؤود اذا اثقل قال الله تعالى ولا يؤوده حفظهما لانه اثقال بالتراب كان الرجل اذا ولدت
له بنت فاراد بقاء حياتها البسها جبة من صوف او شعر ترعى له الابل والغنم في البادية
وان اراد قتلها تركها حتى اذا بلغت ستة اشبار فيقول لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب
بها الى احمائها وقد حفر لها بئرا في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها
من خلفها ويهيل عليها التراب حتى يستوي البئر بالارض وقيل كانت الحوامل اذا قربت
حفرت حفرة فتمخضت على راس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة وان ولدت ابنا
امسكته ما الذي حملهم على هذا هو الخوف من لحوق العار بهم او الخوف من الاملاق

كما قال تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق وكانوا يقولون إن الملائكة بنات الله فألحقوا
البنات بالملائكة **ولقائل** أن يقول ما معنى سؤال الموؤدة عن ذنبها الذي قتلت به وهلا سئل
الوائد عن موجب قتله لها **والجواب** أن سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها وهو كتبكيت النصارى
في قوله لعيسى عليه السلام أأنت قلت للناس اتخذوني إلى قوله ما ليس لي بحق [أي الزام] الثاني قرئ سألت أي
خاصمت عن نفسها وقرئ قتلت بالتشديد **فإن قيل** اللفظ المطابق أن يقول سئلت
بأي ذنب قتلت فما الجواب في القراءة المشهورة **قلنا** الجواب من وجهين الأول تقدير الآية
وإذا الموؤدة سئل عن الوائد أحوالها بأي ذنب قتلت والثاني أن الإنسان قد يسأل حاله عنه
ونفسه بلفظ المغايبة كما إذا أردت أن تسأل زيدا عن حال من أحواله فتقول ماذا فعل زيد
في ذلك المعنى ويكون زيد هو المسؤول عنه فكذا هنا التاسع **وإذا الصحف نشرت** قرئ بالتشديد
والتخفيف يريد صحف الأعمال تطوى صحيفة الإنسان عند موته ثم تنشر إذا حوسب ولا يبعد أن
يراد نشرت بين أصحابها أي فرقت بينهم العاشر **وإذا السماء كشطت** أي كشفت وأزيلت
عما فوقها وهو الجنة وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه قشطت واعتقاب القاف والكاف كثير الحادي عشر
وإذا الجحيم سعرت أي أوقدت إيقادا شديدا وقرئ سعرت بالتشديد للمبالغة قيل سعرها
غضب الله وخطايا بني آدم الثاني عشر **وإذا الجنة أزلفت** أي أدنيت من المتقين كقوله تعالى
وأزلفت الجنة للمتقين ولما ذكر الله تعالى هذه الأمور ذكر الجزاء المرتب على الشرط الذي هو مجموع
هذه الأشياء وقال **علمت نفس ما أحضرت** ومن المعلوم أن العمل لا يمكن إحضاره فالمراد إذن
ما أحضرته في صحائفها أو ما أحضرته عند المحاسبة وعند الميزان من آثار تلك الأعمال والمراد ما
أحضرت من استحقاق الجنة والنار **فإن قيل** كل نفس تعلم ما أحضرت كقوله يوم تجد كل نفس
ما عملت من خير محضرا فما معنى قوله علمت نفس **فنقول** لعل الكفار يتعبون أنفسهم في الأشياء
التي يعتقدونها طاعة ثم بدا لهم يوم القيامة خلاف ذلك فهو المراد من هذه الآية قوله تعالى **فلا أقسم
بالخنس الجوار الكنس** الكلام في قوله لا أقسم قد تقدم في قوله لا أقسم بيوم القيامة وأما

الخنس

26

الخنس الجوار الكنس فالمشهور أنها النجوم الخنس جمع خانس والخنوس الانقباض والاختفاء
والكنس جمع كانس وكانسة يقال كنس إذا دخل الكناس وهو بقر الوحش ثم اختلفوا في خنوس
النجوم وكنوسها على ثلاثة أوجه أحدها أنه إشارة إلى رجوع الكواكب الخمسة السيارة واستقامتها
فرجوعها هو الخنوس وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس ولا شك أن هذه حالة عجيبة
وفيها أسرار عظيمة وثانيها أنها هي جميع الكواكب وخنوسها عبارة عن الغيبوبة في النهار و
كنوسها عن ظهورها للبصر في الليل وثالثها أن السبعة السيارة تختلف مطالعها ومغاربها
على ما قال تعالى رب المشارق والمغارب على ما عرف فخنوسها عبارة عن التباعد عن سمت الرأس
وكنوسها عن العود إليه والقول الثاني في الخنس الجوار الكنس وهو قول ابن مسعود والنخعي
أنها بقر الوحش وقال سعيد بن جبير هي الظباء وعلى هذا الخنس [في الخنس] وهو تقعير الأنف فإن البقر والظباء
أنوفها على هذه الصفة والقول الأول أقرب بدليل قوله تعالى والليل إذا عسعس فإن هذا بالنجوم
أليق ولأن محل القسم كلما كان أعظم وأعلى كان أولى قوله تعالى **والليل إذا عسعس والصبح
إذا تنفس** ذكر أهل اللغة أن عسعس من الأضداد يقال عسعس الليل إذا أقبل وعسعس إذا أدبر
ثم منهم من قال المراد هنا أقبل الليل لأن على هذا التقدير يكون القسم واقعا بإقبال الليل و
بإدباره أيضا وهو قوله والصبح إذا تنفس ومنهم من قال بل المراد هنا أدبر الليل وقوله والصبح
إذا تنفس أي إذا امتد ضوؤه وتكامل والليل إذا عسعس إشارة إلى أول طلوع الصبح والصبح
إذا تنفس إشارة إلى تكامل طلوع الصبح كما في قوله والليل إذ أدبر والصبح إذا أسفر وقد قيل
في كيفية هذا المجاز أنه إذا أقبل الصبح أقبل بإقباله النسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز وقيل إنه
شبه الليل المظلم بالمكروب المحزون الذي خنس بحيث لا يتحرك اجتمع الحزن في قلبه فإذا تنفس
وجد راحة فإذا طلع الصبح فكأنه تخلص من ذلك الحزن والأولى أن يقال التنفس في الحيوان عبارة
عن فعل يشتمل على الانكشاف والانبساط وطلوع الصبح يشبه هذه الصفة فجعل مجازا لذلك ثم
إنه تعالى لما ذكر المقسم به أتبعه بذكر المقسم عليه فقال **إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند**

ذي العرش مكين مطاع ثم امين قوله انه لقول رسول كريم وفيه قولان احدهما وهو المشهور
ان القران نزل به جبريل عليه السلام ولقائل ان يقول عليه اشكال قوي وهو حاصله انه قول جبريل
ولو كان كذلك لوجب علينا ان نصدقه في ذلك فان لم نقطع بذلك فلا اقل من الاحتمال فيحتمل ان
يكون هذا الكلام كلام جبريل وعلى هذا التقدير لا يلزم ان يكون معجزا ولا يقال كيف لا يلزم وقد
كان جبريل معصوما لان العلم بعصمة جبريل مستفاد من صدق النبي عليه السلام على كون
القران معجزا من عصمة جبريل فيلزم الدور فالجواب الذين قالوا بان القران معجز للصرف وقد ذهبوا
الى ذلك المذهب فرارا من هذا السؤال لان الاعجاز على ذلك القول ليس في الفصاحة بل في سلب تلك
العلوم والدواعي عن القلوب وذلك مما لا يقدر عليه احد الا الله وثانيهما ان هذا الذي اخبر كرب به
محمد من امر الساعة على ما ذكر في هذه السورة ليس بكهانة ولا ظن ولا افتعال انما هو قول جبريل عليه السلام
اتاه به وحيا من الله تع ثم انه تع وصف جبريل بستة اوصاف اولها انه رسول وهذا ظاهر فانه
رسول الله الى الانبياء فهو رسول [illegible] وثانيها انه كريم ومن كرمه انه يعطي افضل العطايا وهو
المعرفة والهداية والارشاد وثالثها قوله ذي قوة ثم منهم من حمله على الشدة وزيادة القوة
في افعاله ومنهم من حمله على القوة في اداء طاعة الله تع وترك الاخلال بها من اول الخلق الى زمان
التكليف وعلى القوة في معرفة الله تع وفي مطالعة جلال حضرة الله تع وتقدس ورابعها قوله
عند ذي العرش مكين وهذه العندية ليست عندية مكانية بل عندية الاكرام والتشريف واما
المكين فهو ذو الجاه الذي تمكنه ان يعطي ما يسأله وخامسها قوله مطاع ثم اعلم ان قوله
ثم اشارة الى الظرف المذكور اعني ذي العرش والمعنى انه عند الله تع مطاع في ملائكته المقربون
يصدرون عن امره ويرجعون الى رأيه وقرئ ثم تعظيما للامانة وبيانا انها افضل الصفات
المعدودة وسادسها قوله امين اي هو امين على وحي الله تع ورسالاته ثم قال وما صاحبكم
بمجنون فان من نظر في التفاوت بين قوله انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين
مطاع ثم امين وبين قوله وما صاحبكم بمجنون ظهر عليه انه افضل من قوله تع ولقد رآه

وصدق النبي ع م

بالافق المبين يعني حيث تطلع الشمس في قول الجميع والكلام فيه قد مر في سورة النجم وما
هو على الغيب بظنين اي وما محمد على الغيب بظنين والغيب هنا القران وما فيه من الانباء
والقصص والظنين المتهم يقال ظننت زيدا في معنى اتهمت وليس من الظن الذي يتعدى
الى مفعولين والمعنى ما محمد على القران بمتهم ومن قرأ بالضاد فهو من البخل والمعنى انه ليس يبخل
بما انزل الله قال ابو علي الفارسي رحمه الله المعنى انه يخبر بالغيب فيبينه ولا يكتمه واختار ابو
عبيد رحمه الله القراءة الاولى لوجهين احدهما ان الكفار لم يبخلوه وانما اتهموه فنفي التهمة
اولى من نفي البخل وثانيهما قوله على الغيب فانه اذا كان المراد البخل لقال بالغيب لانه يقال فلان
ضنين بكذا وقلما يقال على كذا ثم قال وما هو بقول شيطان رجيم كان اهل مكة يقولون
ان هذا القران يجيء به شيطان فيلقيه على لسانه فنفى الله ذلك ثم قال فاين تذهبون وهذا
استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا اين تذهب ثم بين القران ما هو فقال ان هو
الا ذكر للعالمين اي هو بيان وهداية للخلق اجمعين ثم قال لمن شاء منكم ان يستقيم
وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين قوله لمن شاء منكم ان يستقيم بدل من
العالمين والتقدير ان هو الا ذكر لمن شاء منكم ان يستقيم والمعنى ان القران انما ينتفع به من
يشاء ان يستقيم ثم بين ان مشية الاستقامة موقوفة على ان يشاء الله ان يعطيه فظهر من
مجموع هذه الايات ان فعل الاستقامة موقوف على ارادة الاستقامة وهذه الارادة موقوفة على ارادة الله تع ان
يعطيه تلك الارادة والله اعلم بالصواب. سورة الانفطار مكية وهي تسع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم
اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت واذا البحار فجرت واذا القبور بعثرت
علمت نفس ما قدمت واخرت واعلم ان المراد انه اذا وقعت هذه الاشياء التي هي اشراط
الساعة فهناك يحصل الحشر والنشر واما اتصال هذه السورة بما قبلها فظاهر على الخصوص اولها
باخرها فانه على مثال ما مر في آخر سورة المدثر واول سورة القيمة ثم في تفسير هذه الآية مقامات المقام
الاول في تفسير كل واحد من هذه الاشياء وهي اربعة اثنان منها تتعلق بالعلويات واثنان

فانه العادة في طرفي ثبوتها وانتفائها موقوفة
على مشية الله تع وهذا قول اصحابنا كبير

اخوان ما يتعلق بالسفليات الاول قوله اذا السماء انفطرت اي انشقت وهو كقوله يوم تشقق
السماء بالغمام الثاني قوله واذا الكواكب انتثرت والمعنى ظاهر لان انتقاض تركيب السماء
لابد من انتثار الكواكب على الارض واعلم انا بينا من قبل ان الفلاسفة ينكرون امكان الخرق
والالتيام على الافلاك والدليل على امكان ذلك ان الاجسام متماثلة في كونها اجساما فوجب ان
يصح على كل واحد منها ما يصح على الآخر وانما قلنا انها متماثلة وذلك لانه يصح تقسيمها الى السماوية
والارضية ومورد التقسيم مشترك بين القسمين فالعلويات والسفليات مشتركة في انها اجسام
وجب ان يصح على العلويات كما يصح على السفليات لان المتماثلات حكمها واحد الثالث قوله واذا
البحار سجرت وفيه وجوه منها انه ينفذ بعض البحار في بعض بارتفاع الحاجز الذي هو البرزخ
وحينئذ يصير الكل بحرا واحدا وانما يرتفع ذلك الحاجز لتزلزل الارض وتصدعها ومنها ان مياه
البحار الآن راكدة مجتمعة فاذا فجرت تفرقت البحار وذهب ماؤها ومنها وهو قول الحسن
فجرت اي يبست وبالجملة فالمراد تغير البحار عن صورتها الاصلية وصفتها وهو كما
انه تتغير الارض عن صفتها في قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وتغير الجبال عن صفتها
في قوله تعالى فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا ومنها انه قرا بعضهم فجرت
بالتخفيف وقرا مجاهد فجرت على البناء للفاعل والتخفيف بمعنى بغت لزوال البرزخ اذ البغي
والفجور اخوان الرابع قوله واذا القبور بعثرت واعلم ان بعثرت وبحثرت بمعنى واحد وهما
مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة اليهما والمعنى اثيرت وقلبت فجعل اعلاها
وباطنها ظاهرها وفيه وجهان احدهما ان القبور تبعثر بان تخرج ما فيها من الموتى احياء
كما قال تعالى واخرجت الارض اثقالها وثانيهما انها تبعثر لاخراج ما فيها من الذهب والفضة
والاول اقرب لان دلالة القبور على الاول اتم المقام الثاني فائدة هذا الترتيب اعلم ان المراد
من هذه الآيات في فناء الدنيا وانقطاع التكاليف ثم السماء كالسقف والارض كالبناء
وتخريب الدار اولا بتخريب السقف وهو قوله اذا السماء انفطرت ثم يلزم من تخريب السماء

يقال بعثر الرجل متاعه وبحثره اذا فرقه وبدده وقلب بعضه على بعض صح

انتثار

انتثار الكواكب وذلك قوله واذا الكواكب انتثرت ثم انه تعالى بعد تخريب السماء والكواكب
يخرب كل ما على وجه الارض وهو قوله واذا البحار فجرت ثم يخرب آخر الامر الارض التي هي
البناء وذلك هو قوله واذا القبور بعثرت المقام الثالث تفسير قوله علمت نفس ما قدمت
واخرت وفيه احتمالان الاول ان المراد بهذه الامور ذكر يوم القيمة وفيه وجوه احدها
وهو الاصح ان المقصود منه الزجر عن المعصية والترغيب في الطاعة لان كل احد يعلم في
هذا اليوم ما قدم فلم يقصر فيه وما اخر فقصر فيه لان قوله ما قدمت يقتضي فعلا وما
اخرت يقتضي تركا فهذا الكلام يقتضي فعلا وتركا وتقصيرا وتوفيرا وان كان قدم الكبائر
واخر العمل الصالح فمأواه النار وان كان قدم العمل الصالح واخر الكبائر فمأواه الجنة
وثانيها وهو قول الضحاك ما قدمت من الفرائض وما اخرت اي ما ضيعت وثالثها وهو قول
ابي مسلم ما قدمت من الاعمال في اول عمرها وما اخرت في آخر عمرها الاحتمال الثاني ان يكون المراد
قبل قيام القيمة بل عند ظهور اشراط الساعة وانقطاع التكاليف وحين لا ينفع العمل بعد ذلك كما
قال لا ينفع نفسا ايمانها الآية فيكون ما عمله الانسان الى تلك الغاية هو اول اعماله وآخرها لانه لا عمل
له بعد ذلك وهذا هو قول القفال قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك
فسواك فعدلك في اي صورة ما شاء ركبك اعلم انه تعالى لما اخبر في الآية الاولى ما يكون عند الحشر
والنشر ذكر في هذه الآية ما يدل عقلا على امكانه او على وقوعه وذلك من وجهين احدهما ان
الاله الكريم الذي لا يجوز من كرمه ان يقطع مواد نعمه عن المذنبين كيف يجوز في كرمه ان لا ينتقم
للمظلوم من الظالم وثانيهما ان القادر الذي خلق هذه البنية الانسانية ثم سواها وعدلها
لا يمكن ان يقال انه خلقها لا لحكمة اذ ذاك عبث وذلك لا يليق بالحكيم بل خلقها لحكمة وتلك
الحكمة عائدة الى العبد لا محالة فانه تعالى عن الاستكمال بالغير وظهور تلك الحكمة لا يمكن ان يكون
في الدنيا اذ الدنيا دار البلاء والابتلاء لا دار الثواب والجزاء بل يكون في دار الاخرى وهي دار الآخرة
فثبت ان الاعتراف بوجود الاله الكريم الذي خلقك فسواك يوجب على العاقل ان يقطع بانه

سبحانه يبعث الموتى ويحشرهم **فان قيل** بناء هذا الاستدلال على انه تع حكيم وكان يجب ان يقول ما غرك بربك الحكيم والجواب ان الكريم يجب ان يكون حكيما لان ايصال النعمة الى الغير لو لم يكن مبنيا على داعية الحكمة لكان ذلك تبذيرا لا كرما اذا كان هذا فنقول كونه كريما يدل على الحشر والنشر من وجهين كما قررناه اما كونه حكيما فانه يدل على وقوع الحشر والنشر من هذا الوجه هذا هو تمام الكلام في كيفية النظم ولنرجع الى التفسير اما قوله يا ايها الانسان ففيه قولان احدهما انه الكافر لقوله تع بل تكذبون بالدين وقال عطاء عن ابن عباس رضه انها نزلت في الوليد بن المغيرة وقال الكلبي ومقاتل في اسد بن كلدة بن اسيد وذلك انه ضرب النبي عليه السلام فلم يعاقبه الله تع وانزل هذه الاية وثانيهما انه يتناول جميع العصاة وهو الاقرب لان خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ اما قوله تع ما غرك بربك الكريم فالمراد ما الذي خدعك وسول لك الباطل حتى تركت الواجبات واتيت المحرمات والمعنى ما الذي امنك من عقابه وهو كقوله تع ولا يغرنكم بالله الغرور هذا اذا حملناه على جميع العصاة فاما اذا حملناه على الكافر فالمعنى ما الذي دعاك الى الكفر وجحد الرسول وانكار الحشر والنشر وههنا سؤالات الاول ان كونه تع كريما يقتضي ان يغتر الانسان بكرمه سلمنا ان الجود افادة ما ينبغي لا لعوض فلما كان الحق جوادا مطلقا استوى عنده طاعة العبد ومعصيته وهذا يوجب الاغترار فان من البعيد ان يقدم الغني على ايلام الفقير الضعيف من غير فائدة اصلا والجواب عنه ان معنى الاية من وجوه الاول ان معنى الاية انك لما كنت ترى حكم الله تع عن خلقه ظننت ان ذلك لانه لا حساب ولا دار الا هذه فما الذي دعاك الى هذا الاغترار وجراك على انكار الحشر والنشر فان ربك كريم فهو لكونه لا يعاجل بالعقوبة بسطا في مدة التوبة وتاخير للجزاء الى ان يجمع الناس في دار الجزاء فالحاصل ان ترك العقوبة في الدنيا لاجل الكرم وذلك لا يقتضي الاغترار بانه لا دار بعد هذه الدار والجواب الاخر عنه ان كمال الكرم يوجب الجد والاجتهاد في الخدمة والاستحياء من الاغترار والتواني ومنهم من قال انما قال بربك الكريم ليكون ذلك جوابا عن ذلك السؤال حتى يقول غرني كرمك ولولا كرمك لما فعلت وهذا الجواب انما

واما المنقول فما روي عن علي رضي الله عنه انه دعا غلاما مرات فلم يجبه فنظر فاذا هو بالباب فقال له لم لم تجبني فقال لثقتي بحلمك وامني من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه وقالوا ايضا من كرم الرجل سوء ادب غلمانه ولا تنس ان كرمه يقتضي الاغترار به فكيف جعله ههنا مانعا من الاغترار به

يصح اذا كان المراد من قوله يا ايها الانسان غير الكافر الثاني ما السبب عند اهل التفسير في هذا الاغترار فنقول عند الحسن جهله وعند قتادة تسويل الشيطان وعند مقاتل عفو الله تعالى الثالث ما معنى قراءة سعيد بن جبير ما اغرك قلنا اما على التعجب واما على الاستفهام اما قوله تعالى الذي خلقك فسواك فعدلك فاعلم انه تع لما وصف نفسه بالكريم ذكر هذه الامور الثلاثة لتكون كالدلالة على تحقق ذلك الكرم فاولها الخلق وهو قوله خلقك ولا شك انه كرم وجود لان الوجود خير من العدم وثانيها فسواك وانه هو كرم لما انه تع جعلك سويا سالم الاعضاء من سمع وبصر وغير ذلك وهو كقوله اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا وقال ذو النون سواك اي سخر لك المكونات اجمع وما جعلك مسخرا لشيء منها ثم انطق لسانك بالذكر وقلبك بالعقل وروحك بالمعرفة وسرك بالايمان وشرفك بالامر والنهي وفضلك على كثير من خلقه تفضيلا وثالثها قوله فعدلك وفيه بحثان البحث الاول قال مقاتل يريد عدل خلقك في العينين والاذنين واليدين والرجلين فلم يجعل احدى اليدين اطول ولا احدى العينين اوسع ونقدر ما ينبغي في علم التشريح انه تع ركب جانبي هذه الجثة على التساوي حتى انه لا تفاوت بين نصفيه لا في العظام ولا في غيرها وعن ابن عباس انه تع جعلك قائما معتدلا حسن الصورة لا كالبهيمة المنحنية وعن ابي علي الفارسي عدل خلقك في احسن تقويم وبسبب ذلك الاعتدال جعلك مستعدا لقبول العقل والقدرة على الفكر البحث الثاني قرا الكوفيون بالتخفيف وعن ابي علي الفارسي ان يكون المعنى عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت وعن الفراء فعدلك اي فصرفك الى اي صورة شاء وانهما اي بالتشديد والتخفيف بمعنى واحد على قول القفال اما قوله في اي صورة ما شاء ركبك ففيه مباحث الاول ان كلمة ما في معنى الشرط والجزاء فيكون المعنى في اي صورة ما شاء ان يركبك فيها ركبك وبناء على هذا الوجه قال ابو صالح ومقاتل المعنى ان شاء ركبك في غير صورة الانسان من صورة كلب او صورة حمار او خنزير او قرد وقيل انها صلة مؤكدة والمعنى في اي صورة يقتضيها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة واختلاف

الصور بوجوه كثيرة كما ان الصور تختلف باختلاف الصفات والصفات كثيرة بحسب الكم والكيف
وغير ذلك من الصفات المحسوسة فلما اختلف الآثار والصفات دل ذلك الاختلاف على ان المدبر
هو القادر المختار وقال الواسطي المراد صورة المطيعين والعصاة ومنهم من قال الاشارة
الى صفاء الارواح وظلمتها والله اعلم بمراده قوله تعالى كلا بل تكذبون بالدين اعلم
انه سبحانه لما بين بالدلائل العقلية صحة القول بالبعث والنشور على الجملة فرع عليها
شرح تفاصيل الاحوال المتعلقة به وذلك على انواع النوع الاول انه تعالى زجرهم
عن ذلك الاغترار بقوله كلا وبل حرف وضع في اللغة لنفي شيء قد تقدم وتحقيق غيره
فلا جرم ذكروا في تفسير كلا وجوها الاول قال القاضي معناه انكم لا تستقيمون على توجيه
نعمي عليكم وارشادي لكم بل تكذبون بيوم الدين الثاني كلا اي ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله تعالى
ثم كانه قال وانهم لا يرتدعون عن ذلك بل يكذبون بالدين الثالث قال القفال اي ليس الامر كما
تقولون من انه لا بعث ولا نشور لان ذلك يوجب انه تعالى خلق الخلق عبثا وحاشاه من ذلك
ثم كانه قال وانهم لا ينتفعون بهذا البيان بل يكذبون بالدين وفي قوله تكذبون بالدين وجهان
احدهما ان يكون المراد من الدين الاسلام والمعنى انكم تكذبون بالجزاء على الدين والاسلام
وثانيهما ان يكون المراد من الدين الحساب والمعنى انكم تكذبون بيوم الحساب النوع الثاني قوله تعالى
وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون والمعنى التعجيب من حالهم
كانه سبحانه قال انكم تكذبون بيوم الدين وهو يوم الحساب والجزاء وملائكة الله موكلون بكم
يكتبون اعمالكم حتى تحاسبوا بها يوم القيمة قال تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد الآية ثم
في هذا الموضع من المباحث الاول ان من الناس من طعن في حضور الكرام الكاتبين بوجوه
منها ان هذا الاستكتاب ان كان خاليا عن الفوائد فهو عبث وذلك غير جائز على الله
سبحانه وان لم يكن خاليا بل فيه من الفوائد اما ان يكون عائدا الى الله وذلك محال لانه تعالى
غني عن النفع والضرر او الى العبد وذلك محال ايضا لان اقصى ما في الباب ان يقال

فائدة

فائدة هذا الاستكتاب ان يكونوا شهودا على الناس حجة عليهم يوم القيمة وانه ضعيف لان
الانسان الذي علم انه تعالى بريء عن الجور والظلم فلا حاجة في حقه الى اثبات هذه الحجة والذي
لا يعلم ذلك فلا ينتفع بهذه الحجة لاحتمال انه تعالى امرهم بان يكتبوا ان ذلك الانسان عليه ظلما ومنها
ان افعال القلوب غير مرئية وللمحسوسة فيكون هي من باب المغيبات والغيب لا يعلمه الا الله على ما قال وعنده
مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو والآية تقتضي ان يكونوا كاتبين علينا جميع الافعال والجواب عن الاول
انه تعالى انما اجرى اموره مع عباده على ما يتعاملون به فيما بينهم لان ذلك ابلغ في تقرير المعنى عندهم
ولما كان الابلغ عندهم في المحاسبة اخراج الكتاب للشهود وخوطبوا بمثل هذا فيما يحاسبون
به يوم القيمة والله اعلم بحقيقة ذلك والجواب عن الثاني انه غاية ما في الباب تخصيص هذا
العموم بافعال الجوارح وذلك غير ممتنع الثاني من المباحث قوله تعالى وان عليكم لحافظين انه
وان كان خطاب مشافهة الا ان الامة مجمعة على ان هذا الحكم عام في حق جميع المكلفين ثم يحتمل
ان يكون هناك جمع من الحافظين وذلك الجمع حفظوا الجميع بني آدم من غير ان يختص واحد
الملائكة بواحد من بني آدم ويحتمل ان يختص واحد بواحد لانه تعالى قابل الجمع بالجمع ومقابلة
الجمع بالجمع يقتضي انقسام الآحاد على الآحاد ويحتمل ان يكون الموكل بكل واحد منهم جمعا من
الملائكة كما قيل اثنان بالليل واثنان بالنهار او كما قيل انهم خمسة والثالث منها انه تعالى
وصف هؤلاء الملائكة بصفات اولها كونهم حافظين وثانيها كونهم كراما وثالثها كونهم
كاتبين ورابعها يعلمون ما تفعلون وفيه وجهان احدهما انهم يعلمون تلك الافعال حتى يمكنهم
ان يكتبوها والثاني انهم يكتبونها حتى يكونوا عالمين بها عند اداء الشهادة واعلم ان وصف الله
اياهم بهذه الصفات يدل على انه تعالى اثنى عليهم وعظم شانهم النوع الثالث من تفاريع مسئلة
الحشر قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين
وما هم عنها بغائبين وما ادريك ما يوم الدين ثم ما ادريك ما يوم الدين
يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله اعلم انه تعالى بعد ان وصف الكرام الكاتبين

لاعمال العباد ذكر احوال العاملين فقال ان الابرار لفي نعيم وهو نعيم الجنة وان الفجار لفي
جحيم وهي النار وفيه من المباحث الاول ان القاطعين بوعيد اصحاب الكباير تمسكوا بهذه
الاية فقالوا صاحب الكبيرة فاجر والفاجر كلهم في الجحيم لان الجمع المعرف باللام يفيد الاستغراق
وقد مر الكلام في هذه المسئلة غير مرة ثم انهم وهم الوعيدية قالوا ان هذه الاية تدل على دوام
الوعيد لوجوه احدها قوله تع يصلونها يوم الدين ويوم الدين يوم الجزاء ولا وقت الا ويدخل فيه
كما تقول يوم الدنيا ويوم الاخرة وثانيها قال الجبائي اذا خصصنا قوله وان الفجار لفي جحيم
كان بعض الفجار يصيرون الى الجنة ولو صاروا اليها لكانوا من الابرار وهذا يقتضي ان لا يتميز
الفجار عن الابرار وذلك باطل لانه تع ميز بين الامرين فاوجب ان لا يدخل الفجار الجنة كما لا يدخل
الابرار النار وثالثها انه تع قال وما هم عنها بغائبين وهو كقوله وما هم بخارجين منها وان لم
يكن هناك موت ولا غيبة فليس بعدها الا الخلود في النار ابد الابدين ولما كان اسم الفاجر يتناول الكافر والمسلم
صاحب الكبيرة ثبت بقاء اصحاب الكباير ابدا في النار وثبت ان الشفاعة للمطيعين لا لاهل الكباير والجواب
لاهل السنة ان دلالة اللفظ العام على الاستغراق دلالة ظنية ضعيفة والمسئلة قطعية والتمسك
بالدليل الظني في المطلب القطعي غير جائز بل يدل ههنا على قولنا ان استعمال الجمع المعرف باللام قد لا
كما يكون لاستغراق الجنس فكذلك يكون للعهد السابق فيحتمل ان يكون اللفظ هنا عائدا الى الكافرين
الذين تقدم ذكرهم من المكذبين بيوم الدين ولئن سلمنا ذلك لكن لم قلتم بان صاحب الكبيرة فاجر
بل ليس كذلك لقوله تع في حق الكفار اولئك هم الكفرة الفجرة وانه مما يقتضي الحصر فيكون الكفار هم
الفجرة لا غيرهم ثبت ان صاحب الكبيرة ليس بفاجر ولئن سلمنا ان الفجار يدخل تحته الكافر والمسلم لكن
قوله وما هم عنها بغائبين معناه ان جميع الكفار لا يكونون غائبين ونحن نقول بموجبه فان احد نوعي
الفجار وهم الكفار لا يغيبون او نقول قوله وما هم عنها بغائبين يقتضي كونهم في الحال اصحاب
الجحيم وذلك كذب فلا بد من صرفه عن الظاهر فنحمله على انهم بعد الدخول في الجحيم يصدق عليهم قوله
وما هم عنها بغائبين ونحن نحمل ذلك على انهم في الحال ما كانوا غائبين عن استحقاق الكون في الجحيم الا ان

ثبوت

والمرجع ليعم ... ودليلنا ... جميع العصاة ... والاية تحتمل ... بعض ... فلا يلزمنا ... حجة ... ودليلنا الابد ... مقابل على العامة

ثبوت الاستحقاق لا ينافي العفو ولئن سلمنا ذلك لكنه معارض بالدلائل الدالة على العفو وعلى ثبوت
الشفاعة لاهل الكباير كما مر الثاني فيه تهديد عظيم للعصاة والعصاة هم الفجار ثم حكي ان
سليمان بن عبد الملك مر بالمدينة وهو يريد مكة فقال لابي حازم كيف القدوم على الله غدا قال
اما المحسن فكالغائب يقدم على اهله واما المسيء فكالابق يقدم على مولاه قال فبكى ثم قال ليت شعري
ما لنا عند الله فقال ابو حازم اعرض عملك على كتاب الله قال في اي مكان قال ان الابرار لفي نعيم وان
الفجار لفي جحيم وقال جعفر الصادق رحمه الله النعيم المعرفة والمشاهدة والجحيم ظلمات الشهوات وقال
بعضهم النعيم التوكل والجحيم الحرص وقيل النعيم الاشتغال بالله والجحيم الاشتغال بغير الله النوع الرابع
من تفاريع اثبات الحشر تعظيم يوم القيمة وهو قوله تع وما ادريك ما يوم الدين الى اخر الاية وفيه
مباحث الاول اختلفوا في قوله وما ادريك فقال بعضهم هو خطاب الكافر على وجه الزجر وعند الاكثر
انه خطاب الرسول وانما خاطبه بذلك الاية ما كان عالما بذلك قبل الوحي الثاني التكرير عند الجمهور
لتعظيم ذلك اليوم وقال الجبائي بل هو لفائدة اخرى وهي ان المراد بالاول اهل النار وبالثاني اهل
الجنة كانه قال وما ادريك ما يعامل به الفجار في يوم الدين ثم ما ادريك ما يعامل به الابرار وكرر
يوم الدين تعظيما لما يفعله تع من الامرين بهذين الفريقين الثالث في يوم لا تملك الرفع والنصب
اما الرفع ففيه وجهان احدهما على البدل من يوم الدين والثاني ان يكون باضمار هو فيكون المعنى
يوم لا تملك واما النصب ففيه وجوه احدها باضمار يدانون لان الدين يدل عليه وثانيها باضمار
اذكروا وثالثها ما ذكره الزجاج يجوز ان يكون في موضع رفع الا انه يبنى على الفتح لاضافته
الى قوله لا تملك وما اضيف الى غير المتمكن قد يبنى على الفتح كما قال لم يمنع الشرب منهم غير ان
نطقت حمامة في غصون ذات اوقال فبنى غير على الفتح لاضافته الى قوله ان نطقت قال الواحدي
البناء على الفتح انما يجوز اذا كان مضافا الى الفعل الماضي اما مع الفعل المستقبل فلا يجوز البناء
عند الخليل وسيبويه ويجوز ذلك في قول الكوفيين والكلام فيه قد مر في قوله تع يوم ينفع الصادقين
الرابع تمسكوا في نفي الشفاعة بهذه الاية اذ هي قوله واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا والكلام

جمع وقل وهو شجر المقل

فيه قد تقدم في سورة البقرة المخاطبات يوم القيمة تبطل رياسة البعض وحمايتهم فلا يغني احد عن
احد ولا يتوكل احد على احد بل الامر يومئذ لله ونظيره قوله تعالى والملك يومئذ لله قال الواحدي
والمعنى ان الله تعالى لم يملك في ذلك اليوم احدا شيئا من الامور كما ملكهم في دار الدنيا وقال الواسطي
في قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا اشارة الى فناء غير الله وهناك يذهب الرسوم والعادات فمن والكلمات ح
كانا صفة في الدنيا كذلك كانت دنياه آخرته واما قوله والامر يومئذ لله فهو اشارة الى ان البقاء
والوجود لله والامر كذلك في الازل وفي الدنيا وفي الآخرة ولم يتغير من حال الى حال فالتفاوت عائد الى
احوال الناظر لا الى احوال المنظور اليه فالكاملون لا تتفاوت احوالهم بحسب تفاوت الاوقات كما
قال علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وكما انه لما اخبر بحضرة النبي عليه السلام
حيث يقول كاني انظر وكاني وكاني والله اعلم بالصواب. سورة المطففين مختلف فيها وهي ست كشاف
وثلثون آية بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس
يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيمة
يوم يقوم الناس لرب العالمين واعلم بان اتصال هذه السورة بتلك السورة ظاهر على
الخصوص اولها بآخرها لما انه تعالى بين في آخر تلك السورة ان يوم القيمة يوم من صفته انه
لا تملك نفس لنفس شيئا والامر كله لله وفيه من التهديد للعصاة فلهذا اتبعه بقوله ويل
للمطففين والمراد الزجر عن التطفيف وهو البخس في المكيال والميزان بالشيء القليل على سبيل
الخفية وفيه مباحث الاول الويل كلمة يذكر عند وقوع البلاء يقال ويل لك وويل عليك الثاني
في المطفف قولان احدهما ان طف الشيء هو جانبه وحرفه يقال هذا طف المكيال وطفافه
اذا قاربه ملاه لكنه بعد لم يمتلئ ولهذا قيل للذي ينقص الكيل ولا يوفيه مطفف الثاني وهو
قول الزجاج انما قيل للذي ينقص المكيال والميزان مطفف لانه لا يكون الذي يسرق في
المكيال والميزان الا الشيء اليسير الطفيف وفي هذا الموضع سؤالات الاول ان الاكتيال الاخذ
بالكيل كالاتزان الاخذ بالوزن ثم ان اللغة المعتادة يقال اكتلت من فلان ولا يقال

اكتلت

اكتلت على فلان فما الوجه هاهنا الجواب قال الفراء المراد اكتالوا من الناس ومن وعلى في هذا
الموضع يعتقبان لانه حق عليهم فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك واذا قال
اكتلت منك فهو كقوله استوفيت منك السؤال الثاني هو ان اللغة المعتادة ان يقال كالوا لهم او وزنوا لهم فما الوجه في قوله تعالى واذا كالوهم او وزنوهم والجواب عنه ان المراد من قولهم كالوا لهم صح
او وزنوا لهم وعند الفراء هذا من كلام اهل الحجاز ومن جاورهم يقولون زنّي كذا وكلني كذا
وقد قيل في الجواب انه على طريق حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والتقدير واذا كالوا
مكيلهم او وزنوا موزونهم السؤال الثالث ما السبب في انه قال اولا ويل للمطففين الذين
اذا اكتالوا ولم يقل وزنوا ثم قال واذا كالوهم او وزنوهم فجمع بينهما الجواب ان الكيل والوزن
بهما الشراء والبيع فاحدهما يدل على الآخر السؤال الرابع اللغة المعتادة ان يقال خسرته
فما الوجه في اخسرته والجواب قال الزجاج خسرته واخسرته سواء اي نقصته وقيل
يخسرون ينقصون بلغة قريش الثالث من المباحث عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال لما قدم النبي المدينة كانوا من اخبث الناس كيلا فانزل الله تعالى هذه الآية فاحسنوا بعد
ذلك وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة قيل يا رسول الله وما خمس بخمس ؟
فنزلت هذه الآية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس قال ما نقض قوم العهد
الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهر
فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين
ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر الرابع منها ان الذم انما لحق بمجموع انهم يأخذون
زائدا ويدفعون ناقصا ثم اختلف العلماء فقال بعضهم هذه الآية تدل على الوعيد فلا يتناول
الا اذا بلغ التطفيف حد الكبير وهو نصاب السرقة وقال الباقون بل ما يصغر ويكثر فانه
يدخل تحت الوعيد وهذا هو الاقرب احتج اصحاب الوعيد بعموم هذه الآية لما انها واردة
في اهل الصلوة عندهم لا في الكفار لوجهين احدهما انه لو كان كافرا لكان ذلك الكفر اولى
باقتضاء هذا الويل من التطفيف فلم يكن التطفيف اثر في هذا الويل لكن الآية تدل على انه

للتطفيف وثانيها انه تعالى قال للمخاطبين بهذه الآية ألا يظن أولئك انهم مبعوثون
ليوم عظيم والتهديد بهما لا يحصل الا مع المؤمن والجواب ما مر غير مرة ومن لواحق هذه
المسألة ان هذا الوعيد يتناول من يفعل ذلك ومن يعزم عليه اذ العزم عليه ايضا من الكبائر
واعلم ان امر المكيال والميزان امر عظيم وكيف لا وذلك لان عامة الخلق محتاجون الى المعاملات
وهي مبنية على امر المكيال والميزان فلهذا السبب عظم الله امره وقال والسماء رفعها
ووضع الميزان قوله تعالى ألا يظن أولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب
العالمين وهذا هو التوبيخ لهؤلاء المطففين واليوم العظيم هو يوم القيمة وفي الظن
هنا قولان احدهما ان المراد منه العلم وعلى هذا التقدير يحتمل ان يكون المخاطبون بهذا
الخطاب من جملة المصدقين بالبعث وقد روي ان المسلمين من اهل المدينة وهم الاوس
والخزرج كانوا كذلك وحين ورد النبي عليه السلام كان ذلك شايعا فيهم وكانوا مصدقين بالبعث
والنشور ويحتمل ان يكون الخطاب مع المنكرين للبعث الا انهم كانوا متمكنين من الاستدلال عليه
لما في العقول من ايصال الجزاء الى المحسن والمسيء وامكان ذلك ان لم يثبت وجوبه والمعنى
لا يتفكرون حتى يعلموا انهم مبعوثون ولكنهم قد اعرضوا عن التفكر واراحوا انفسهم
من متاعبه ومشاقه وثانيهما ان المراد من الظن هنا هو الظن نفسه لا العلم والمعنى ان هؤلاء
المطففين هب انهم لا يجزمون بالبعث ولكن لا اقل من الظن فان اللايق بحكمة الله تعالى ورحمته
ورعاية مصالح خلقه ان لا يهمل امرهم بعد الموت بالكلية وهذا الظن يكفي في حصول
الخوف فكانه سبحانه وتعالى يقول هب ان هؤلاء لا يقطعون به افلا يظنونه ايضا اما قوله تعالى
يوم يقوم الناس لرب العالمين ففيه مباحث الاول قرئ يوم بالنصب والجر اما النصب فعند
الزجاج بقوله مبعوثون والمعنى الا يظنون انهم يبعثون يوم القيمة واما الجر فلكونه بدلا
من يوم عظيم الثاني هذا القيام له صفات منها بحسب السبب وفيه وجوه احدها وهو الاصح
ان الناس يقومون لمحاسبة رب العالمين فيظهر هنالك هذا التطفيف ويعرف انه كبير لا حقير

وثانيها

وثانيها انه تعالى يرد الارواح الى اجسادها فيقوم تلك الاجسام من مراقدها وهو المراد من قوله
يقوم الناس لرب العالمين وثالثها وهو قول ابي مسلم هو كقوله وقوموا لله قانتين اي لعبادته
فقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين اي لمحض امره وطاعته لا لشيء آخر ومنها بحسب الكيفية
روي عن النبي عليه السلام انه قال يقوم احدكم في رشحه الى انصاف اذنيه وعن ابن عمر رضي الله عنهما
انه قرا هذه السورة فلما بلغ يوم يقوم الناس لرب العالمين بكى نحيبا حتى عجز عن قراءة
ما بعده ومنها بحسب الكمية روي عن النبي عليه السلام انه قال يوم يقوم الناس مقدار ثلثمائة
سنة من الدنيا لا يؤمر فيهم بامر وعن ابن مسعود يمكثون اربعين عاما ثم يخاطبون قال
ابن عباس رضي الله عنهما وهو في حق المؤمنين كقدر انصرافهم من الصلوة واعلم انه تعالى جمع في هذه الآية
انواعا من التهديد فقال اولا ويل للمطففين وهذه الكلمة تذكر عند نزول البلاء وثانيا
ألا يظن اولئك وهو استفهام بمعنى الانكار وثالثا ليوم عظيم وكل ما استعظمه الله تعالى فهو في
غاية العظمة ورابعها يوم يقوم الناس لرب العالمين وفيه نوعان من التهديد احدهما كونهم
قائمين مع غاية الخضوع ونهاية الذلة وثانيهما انه تعالى وصف نفسه بكونه ربا للعالمين ولا يبعد
ان يخطر ببال احد كيف يليق بعظمة الحضرة ان يهيئ هذا المحفل العظيم لاجل الشيء الحقير الطفيف
فكانه سبحانه يجيب فيقول عظمة الحضرة بالعظمة في القدرة والعظمة في الحكمة فعظمة القدرة ظهرت
بكونه ربا للعالمين لكن عظمة الحكمة لا يظهر الا بان انتصف للمظلوم من الظالم بالشيء الحقير فان
الشيء كلما كان احقر كان العلم الواصل به اعظم واتم فلاجل اظهار العظمة في الحكمة احضر
الخلايق في محفل القيمة وحاسب المطفف لاجل ذلك القدر الطفيف قوله تعالى كلا ان كتاب
الفجار لفي سجين وما ادريك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين الذين
يكذبون بيوم الدين وما يكذب به الا كل معتد اثيم اذا تتلى عليه اياتنا قال
اساطير الاولين كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم
يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون

اعلم انه سبحانه لما بين هذا الذنب اتبعه بذكر لواحقه واحكامه فاوّلها كلّا وفيه وجوه منها
انه ردع وتنبيه اى ليس الامر على ما هم عليه من التطفيف والغفلة عن ذكر البعث والحساب
فليرتدعوا قال ابو حاتم كلا ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقا ان كتاب الفجار لفي سجين وهو
قول الحسن رح ومنها انه تع وصف كتاب الفجار بالخسة والحقارة على سبيل الاستخفاف بهم واما
السجين فعند الجمهور هو اسم علم لشيء معين ثم اختلفوا فيه فعند الاكثر هو الارض السابعة
وهو قول ابن عباس في رواية عطاء وقتادة ومجاهد والضحاك وقال الكلبي ومجاهد انه صخرة تحت
الارض وروى عن النبي عليه السلام انه جب في جهنم ومنهم من قال انه مشتق فعيل من السجن وهو
الحبس وهو قول ابي عبيدة والمبرد والزجاج وقال في الكشاف والصحيح ان السجين فعيل
من السجن اذا عرفت هذا فنقول قد ذكرنا انه تع اجرى امورا مع عباده على ما تعارفوا من
التوصل فيما بينهم وبين عظمائهم فالجنة موصوفة بالعلو والصفاء والفسحة وحضور الملائكة
المقربين والسجين موصوفة بالسفل فلما وصف الكفرة وكتابهم بالذلة قال ان كتاب الفجار لفي
سجين ولما وصف كتاب الابرار بالعزة قال ان كتاب الابرار لفي عليين ويشهده الملائكة المقربون
ثم لقائل ان يقول انه تع اخبر عن كتاب الفجار بانه في سجين ثم فسر السجين بكتاب مرقوم فكانه
قيل ان كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه اجاب القفال عنه فقال كتاب مرقوم ليس تفسير السجين
بل التقدير كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وان كتاب الفجار كتاب مرقوم فيكون هذا وصفا للكتاب
بوصفين احدهما انه في سجين والثاني انه مرقوم ووقع قوله وما ادريك ما سجين فيما بين
الوصفين معترضا والله اعلم والوجه الاخر فيه هو ان يكون المراد من الكتاب الكتابة فيكون المعنى
كتابة الفجار لفي سجين اى كتابة اعمالهم في سجين ثم وصف السجين بانه كتاب مرقوم جميع اعمال
الفجار واما قوله تع كتاب مرقوم ففيه وجوه منها مرقوم اى مكتوب اعمالهم فيه ومنها
وهو قول قتادة رقم لهم بسوء اى كتب لهم بايجاب النار ومنها وهو قول القفال يحتمل ان يكون
المراد انه جعل ذلك الكتاب مرقوما كما يرقم التاجر ثوبه علامة لقيمته فكذلك الفاجر يرقم علامة

لشقاوته

لشقاوته ومنها المرقوم هنا المختوم وهو صحيح لان الختم هو العلامة ومنها ان المعنى كتاب
مثبت عليهم كالرقم في الثوب لا ينمحي اما قوله تع ويل يومئذ للمكذبين ففيه وجهان احدهما
انه متصل بقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين لمن كذب باخبار الله تع وثانيهما مرقوم معناه
مرقوم برقم يدل على الشقاوة يوم القيمة ثم قال ويل يومئذ للمكذبين في ذكر اليوم من ذلك الكتاب
ثم انه تع اخبر في صفة من يكذب بيوم الدين فقال وما يكذب به الا كل معتد اثيم اذا تتلى عليه
اياتنا قال اساطير الاولين والمعنى انه لا يكذب بيوم الدين الا من كان موصوفا بهذه الصفات
الثلث كونه معتدا وكونه اثيما وهو للمبالغة في ارتكاب الاثم واعلم بان الانسان له قوتان علمية
وكمالها في ان يعرف الحق لذاته وعملية وكمالها في ان يعرف الخير لاجل العمل وضد العلمية هو ان
يصف الله تع بما لا يجوز وصفه به وذلك هو الاعتداء ولا شك في انه لعدم علمه يتعلق علم الله
تع بجميع المعلومات من الممكنات والكليات والجزئيات وضد العملية هو اشتغاله بالشهوة والغضب وصاحبه
هو الاثيم والصفة الثالثة قوله تع اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين والمعنى اذا تتلى عليه القرآن
قالوا اساطير الاولين اى اكاذيب الاولين وفيه بحث اخر وهو ان هذه الصفات الثلثة متعلقة
لشخص معين ام لا فعلى قول [illegible] وليد بن المغيرة وعلى قول غيره هو النضر بن الحارث ومنهم
من قال انه عام في جميع الموصوفين بهذه الصفات اما قوله تع كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون فالمعنى ليس الامر كما تقوله من ذلك اساطير الاولين بل افعالهم الماضية صارت
سببا لحصول الرين في قلوبهم ولاهل اللغة في لفظ الرين وجوه قال ابو عبيدة ران على
قلوبهم اى غلب عليها وقال ابو معاذ النحوي الرين ان يسود القلب من الذنوب وقال الزجاج
ران على قلوبهم بمعنى غطى على قلوبهم والرين كالصدأ وعند اهل التفسير فيه وجوه ايضا فقيل قول
الحسن ومجاهد هو الذنب على الذنب حتى يحيط الذنوب بالقلب فتغشاه فيموت القلب وعن
مجاهد القلب كالكف فاذا اذنب الذنب انقبض واذا اذنب ذنبا اخر انقبض ثم يطبع عليه
وهو الرين ومنهم من قال وهو قول الكلبي اذا اذنب الانسان حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود

الغالب كاله روى هذا مرفوعا في حديث ابي هريرة ولا اشكال ان تكرر الافعال سبب لحصول ملكة نفسانية وبالجملة فالذنوب كلها ظلمة وسواد ومراتب الملكة في الشدة والضعف مختلفة فمراتب هذه الظلمة مختلفة كذلك فبعضها يكون رينا وبعضها طبعا وهو اشد من الرين وبعضها قفلا وهو اشد من الطبع اما قوله تع كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون انهم ذكروا في كلا وجوها احدها قال صاحب الكشاف ردع عن الكسب الراين على قلوبهم وثانيها وهو قول القفال كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون اي ليس الامر كما يقولون من ان لهم في الاخرة حسنى بل هم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وثالثها ان يكون ذلك تكريرا ويكون كلا هذه هي المذكورة في قوله كلا بل ران واما قوله تع انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقد احتج اهل السنة به على ان اهل الايمان يرونه تعالى والا لم يكن للتخصيص فائدة ولانه تع ذكر هذا الحجاب في معرض التهديد للكفار وما يكون وعيدا وتهديدا في حق الكفار فلا يجوز حصوله في حق المؤمن اجاب المعتزلة عن هذا بوجوه قال الجبائي المراد انهم عن رحمة ربهم لمحجوبون اي ممنوعون وقال ابو مسلم لمحجوبون اي غير مقربين والحجاب الرد والمعنى هؤلاء المنكرون للبعث غير مقبولين عند الله تع وقال القاضي الحجاب ليس عبارة عن عدم الرؤية فانه قد يقال حجب فلان عن الامير وان كان قد راه من البعيد وقال صاحب الكشاف كونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم في اهانتهم ثم الكلام في هذه المسالة قد مر من قبل فلا حاجة الى الاعادة واما قول المقاتل في معنى الاية هو انهم بعد العرض والحساب لا يرون ربهم وعلى قول الكلبي هو انهم عن النظر الى رؤية ربهم لمحجوبون والمؤمن لا يحجب عن رؤية ربه واما قوله تع ثم انهم لصالوا الجحيم فالمعنى انهم لما صاروا محجوبين في عرصة القيمة اما عن رؤية الله تع على قول اهل السنة او عن رحمة الله وكرامته على قول المعتزلة فعند ذلك يؤمر بهم الى النار ثم اذا دخلوا النار قيل لهم هذا الذي كنتم به تكذبون في الدنيا قوله تع **كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادريك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون** انه تع لما ذكر حال الفجار المطففين اتبعه بذكر حال الابرار الذين لا يطففون وقال كلا اي ليس الامر كما توهمه اولئك الفجار ثم في لفظة عليين لاهل اللغة اقوال قال ابو الفتح الموصلي عليين جمع علي وهو فعيل من العلو

وقال

35

وقال الزجاج اعراب هذا الاسم كاعراب الجمع لانه على لفظ الجمع كما تقول هذه قنسرون ورايت قنسرين وكذلك لاهل التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما انها السماء الرابعة وفي رواية اخرى السماء السابعة وعن قتادة ومقاتل هي قائمة العرش اليمنى فوق السماء السابعة وقال الضحاك سدرة المنتهى وقال الفراء يعني ارتفاعا بعد ارتفاع لا غاية له وقال الزجاج اعلى الامكنة وقيل هي مراتب عالية قد عظمها الله تع واعلى وقيل عند كتاب اعمال الملائكة وظاهر القران يشهد بهذا القول فانه بين بقوله كتاب مرقوم يشهده المقربون ان كتابهم في هذا الكتاب المرقوم الذي يشهده المقربون من الملائكة فكانه تع كما وكلهم باللوح المحفوظ فكذلك وكلهم بحفظ كتب الابرار في جملة ذلك الكتاب الذي هو ام الكتاب على الاعظام له ولا يمتنع ان الحفظة اذا صعدت بكتب الابرار فانهم يسلمونها الى هؤلاء المقربين فيحفظونه كما يحفظون كتب انفسهم وقد مر في تفسير هذه الاية ان العلو والضياء والصفا من علامات السعادة واضدادها من علامات الشقاوة فلما كان المقصود من وضع كتاب الفجار في اسفل السافلين اذلال الفجار فكذلك وضع كتاب الابرار في اعلى عليين اجلال الابرار وفي الاية وجه اخر وهو ان المراد من الكتاب الكتابة كما مر في تفسير كتاب الفجار اما قوله تع كتاب مرقوم ففيه قولان احدهما ان المراد منه كتاب اعمالهم وثانيهما كتاب موضوع في عليين كتب فيه ما اعد الله لهم من الكرامة والثواب قوله تع **ان الابرار لفي نعيم على الارائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون** انه تع لما عظم كتابهم في الاية المتقدمة عظم بهذه الاية منزلتهم فقال ان الابرار لفي نعيم وصف كيفية ذلك النعيم بامور ثلثة اولها قوله على الارائك ينظرون قال القفال الارائك الاسرة في الحجال ولا تسمى اريكة فيما زعموا الا اذا كان كذلك اما قوله تع ينظرون ففيه ثلثة اوجه احدها ينظرون الى انواع نعيم في الجنة وثانيها وهو قول مقاتل ينظرون الى عدوهم حين يعذبون وثالثها انهم اذا اشتهوا اشياء نظروا اليه فيحضرهم ذلك الشيء في الحال ولا يبعد ان يحمل اللفظ على الكل وثانيها قوله تع تعرف في وجوههم نضرة النعيم والبحث الاول فيه ان المعنى اذا رايتهم عرفت

وفيه وجه رابع اشرف من الكل وهو النظر الى وجه الله تع كتبه

انهم اهل النعمة وتفسير النضرة قد تقدم في قوله ناضرة لما في وجوههم من القرائن الدالة على ذلك والثاني
قرئ تعرف على البناء للمفعول ونضرة النعيم بالرفع وثالثها قوله تع يسقون من رحيق والبحث الاول
فيه بيان ان الرحيق ما هو قال الليث الرحيق الخمر وانشد يردى يصفق بالرحيق السلسل
وقال ابو عبيدة والزجاج الرحيق من الخمر لا غش فيه ولا شئ يفسده ولعله هو الخمر الذي وصفه الله تع
بقوله لا فيها غول والثاني وصف الله تع هذا الرحيق بصفات الاولى مختوم وفيه من الاقاويل الاول قال
القفال ان هو لا يسقون من شراب مختوم قد ختم عليه تكريما له بالصيانة على ما جرت به العادة في
هو الكرم مما يجرى في الانهار كما قال وانهار من خمر لذة للشاربين الثاني قال ابو عبيدة والمبرد
والزجاج المختوم الذي له ختام اي عاقبة الثالث روي عن عبد الله في مختوم انه ممزوج قال الواحدي
الختم لا يفسر بالمزج ولكن كانت له عاقبة هي ريح المسك فسره بالممزوج لانه اذا لم يمزج بالمسك
لما جعل فيه ريح المسك الرابع قال مجاهد مختوم مطين والمراد من الختم بالطين هو ان لا تمسه
يد الى ان يفك ختمه للابرار والاقرب منها هو الاول الثانية ختامه مسك وفيه وجوه الاول
قال القفال المعنى ان قارورة الرحيم يختم بالمسك كالطين الثاني المراد من ختام المسك اي عاقبته
المسك يعني من شربه كان ختم شربه على ريح المسك وهذا قول علقمة والضحاك وسعيد بن جبير ومقاتل
وقتادة وما بو بكر قراة علي واختيار الكسائي فانه يقرا خاتمه مسك اي آخره قال الفراء هما متقاربان
في المعنى الا ان الخاتم اسم والختام مصدر الثالث معناه خلطه مسك وذكروا فيه تطيبا
لطعمه وقيل بل الرائحة وقد قيل لعل المراد الخمر الممزوج بهذه الافاويه الحارة مما يعين على
الهضم والشهوة فالمراد منه الاشارة الى قوة شهوتهم وصحة ابدانهم وهذا القول رواه سعيد
بن جبير عن الكوثر عايشة رضي الله عنها وعن ابيها قال ابو الدردا هو شراب ابيض مثل الفضة يختمون
به آخر شربهم الثالث قوله تع وفي ذلك فليتنافس المتنافسون قال الواحدي نفست عليه الشي
انفسه نفاسة اذا ضننت به ولم تحب ان يصير اليه والتنافس تفاعل منه والمعنى وفي ذلك فليرغب
الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله تع واما مبالغة الله في الترغيب فيه فانه يدل على علو شانه

وفيه

وفيه اشارة الى ان التنافس يجب ان يكون في مثل ذلك النعم العظيمة الدائمة لا في النعيم الذي هو مع
الفناء الرابعة قوله ومزاجه من تسنيم فيه مباحث الاول تسنيم علم بعين بعينها في الجنة
سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه اما لانها ارفع شراب في الجنة واما لانها يأتيهم من
فوق على ما روي انها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في اوانيهم اولانها عند الجري يرى فيه ارتفاع
وانخفاض واما اقوال اهل التفسير فروى ميمون بن مهران ان ابن عباس رضي الله عنه سئل عن تسنيم
فقال هذا مما يقول الله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ونقريب منه ما قال الحسن رضي الله
وهو انه امر اخفاه الله تع لاهل الجنة وعلى هذا لا يعرف له اشتقاق وعن عكرمة من تسنيم من تشريف
الثاني انه تع ذكر ان تسنيم عين يشرب بها المقربون قال ابن عباس رضي الله عنه اشرف شراب اهل الجنة هو
تسنيم لانه يشربه المقربون صرفا ويمزج لاصحاب اليمين ثم انه تع بين كرامة المذكورين في هذه
السورة بانه يمزج شرابهم من عين يشرب بها المقربون علمنا ان المذكورين في هذا الموضع هم اصحاب اليمين
فانه يدل على ان الانهار متفاوتة في الفضيلة فتسنيم افضل انهار الجنة والمقربون افضل اهل الجنة
والتسنيم في الجنة الروحانية هو معرفة الله والرحيق هو الابتهاج بمطالعة عالم الموجودات فالمقربون
لا يشربون الا من التسنيم واصحاب اليمين يكون شرابهم ممزوجا فتارة يكون نظرهم اليه وتارة الى
مخلوقاته الثالث عينا نصب على المدح قال الزجاج نصب على الحال وقوله يشرب بها عباد الله وقد
مر قوله تع ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا
الى اهلهم انقلبوا فكهين واذا راوهم قالوا ان هولاء لضالون وما ارسلوا عليهم
حافظين فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هل ثوب
الكفار ما كانوا يفعلون انه تع لما وصف كرامة الابرار في الآخرة ذكر بعد ذلك قبح معاملة الكفار
في الدنيا في استهزائهم وضحكهم ثم بين ان ذلك سينقلب على الكفار في الآخرة والمقصود منه تسلية
اهل الايمان وتقوية قلوبهم وفيه مباحث الاول ذكروا في سبب النزول وجهين الاول المراد من
قوله ان الذين اجرموا اكابر المشركين كابي جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمي كانوا

المقربون لقوله يشرب بها ع

يضحكون من عمار وصهيب وغيرهم من فقراء الصحابة ويستهزؤن بهم الثاني جاء علي في نفر
من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى اصحابهم فقالوا رأينا
اليوم الاصلع فضحكوا منه فنزلت هذه الآية الثاني من المباحث انه تعالى حكى عنهم اربعة اشياء
من المعاملات القبيحة اولها قوله ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون اي يستهزؤن
بهم وثانيها قوله واذا مروا بهم يتغامزون اي يتفاعلون من الغمز وهو الاشارة بالجفن والحاجب
وثالثها قوله تعالى واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين معجبين بما هم فيه من الشرك والمعصية
والتنعم في الدنيا قرأ عاصم في رواية حفص فكهين بغير الف في هذا الموضع وحده وغيره فاكهين
اي متنعمين وفكهين معجبين ورابعها قوله تعالى واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون اي
هم على ضلال في تركهم التنعم الحاضر لطلب ثواب لا يدري هل له وجود ام لا ثم قال تعالى وما ارسلوا
عليهم حافظين يعني انه تعالى لم يبعث هؤلاء الكفار رقيبا على المؤمنين يحفظون عليهم اعمالهم
يتفقدون ما يصنعونه من حق او باطل فيعيبون عليهم ما يعتقدونه ضلالا بل انما امروا
باصلاح انفسهم ثم قال تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون ففيه بحثان الاول المعنى
ان في هذا اليوم الذي هو يوم المحاسبة يضحك المؤمنون على الكفار كما ان الكفار يضحكون على
المؤمنين بسبب ما هم فيه من انواع العذاب الثاني قوله على الارائك ينظرون حال من يضحكون
اي يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر ثم قال هل
ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ثوب بمعنى اثيب قال ساجزيك او يجزيك عني مثوب اي الله المثيب
قال المبرد هو فعل من الثواب وهو ما يثوب اي يرجع جزاء ما عمله من خير او شر والثواب مستعمل
في المكافاة قال الا ابلغ ابا حسن رسولا فما لك لا تجيء الا ثواب والمعنى كانه تعالى يقول للمؤمنين هل
جازينا هؤلاء الكفار على اعمالهم التي كان من جملتها الضحك والاستهزاء بكم ام لا والمقصود منها
شرح احوال القيامة سورة الانشقاق وهي خمس وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم
اذا السماء انشقت واذنت لربها وحقت واذا الارض مدت والقت ما فيها

وتخلت

وتخلت واذنت لربها وحقت اما الاتصال فظاهر فان في اخر تلك السورة بيان جزاء
الكفرة في يوم الجزاء ويوم الجزاء يوم انشقاق السماء اما انشقاق السماء فقد مر شرحه عن
من وعن علي رضي الله عنه انها تنشق من المجرة اما قوله واذنت لربها فالمعنى اذن له استمع له ومنه
قوله عليه السلام ما اذن الله تعالى لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقران وانشد ابو عبيدة والمبرد و
الزجاج قول قعنب صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا
والمعنى انه لم يوجد في جرم السماء ما يمنع من تاثير قدرة الله تعالى في شقها وتفريق اجزائها فكانت
في قبولها ذلك التاثير كالعبد الطائع اذا ورد عليه الامر من جهة المالك انصت له واذعن فقوله
قالتا اتينا طائعين يدل على نفوذ القدرة في الايجاد والابداع وقوله تعالى واذنت يدل على نفوذ القدرة
في التفريق والاعدام واما قوله تعالى وحقت فهو من قولك محقوق بكذا وحقيق به وذلك لانه جسم
وكل جسم ممكن وكل ممكن فكان وجوده وعدمه بالنسبة اليه على السواء فكان ترجيح احدهما على
الآخر بتاثير واجب الوجود لذاته فيكون تاثير قدرته في ايجاده واعدامه نافذا ساريا من غير ممانعة
اصلا واما الممكن فليس له الا القبول والاستعداد ومثل هذا الشيء حقيق بان يكون قابلا للوجود
تارة والعدم اخرى اما قوله واذا الارض مدت ففيه وجهان احدهما انه ماخوذ من مد الشيء فامتد
عن ابن عباس رضي الله عنه مدت مد الاديم العكاظي فانه اذا مد زال كل انثناء فيه واستوى وثانيها
انه ماخوذ من مدة بمعنى امده اي يزاد في سعتها يوم القيامة لوقوف الخلائق عليها للحساب واعلم
انه لابد من الزيادة في وجه الارض سواء كان ذلك بالتمديد او بالامداد لما ان خلق الاولين والآخرين
واقفين عليها يوم القيامة اما قوله والقت ما فيها فالمعنى انها لما مدت رمت بما في جوفها من الموتى
والكنوز وهو كقوله واخرجت الارض اثقالها واما قوله وتخلت فالمعنى وخلت غاية الخلو
كانها تكلفت في الخلو كما يقال تكرم الكريم وترحم الرحيم اذا تكلف فوق ما في طبعه او هذه الصفة
لها على سبيل التوسع اذ المخرج في الحقيقة هو الله تعالى واما قوله واذنت لربها وحقت فقد تقدم
تفسير الاول في السماء وهذا في الارض واذا اختلف وجه الكلام لم يكن تكرارا قوله تعالى

يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه اعلم أن قوله تعالى إذا السماء انشقت
إلى قوله يا أيها الإنسان شرط لا بد له من جزاء واختلفوا فيه على وجوه أحدها قال صاحب
الكشاف حذف جوابه ليذهب الوهم إلى كل شيء فيكون أدخل في التهويل وثانيها قال الفراء
إنما ترك الجواب لأن هذا المعنى معروف قد تردد في القرآن وثالثها وهو قول بعض المحققين أن الجواب
هو قوله فملاقيه وقوله يا أيها الإنسان معترض وهو كقول القائل إذا كان كذا وكذا يا أيها الإنسان ترى
عند ذلك ما عملت ورابعها أن فيه التقديم والتأخير يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا
فملاقيه إذا السماء انشقت وخامسها وهو قول الكسائي أن الجواب في قوله فأما من أوتي
كتابه والمعنى إذا السماء انشقت وكان كذا وكذا فمن أوتي كتابه بيمينه فهو كذا ومن أوتي كتابه وراء
ظهره فهو كذا وسادسها وهو قول القاضي أن الجواب ما دل عليه قوله إنك كادح فكأنه تعالى قال يا أيها
الإنسان ترون ما عملتم فاكدحوا لذلك اليوم يا أيها الإنسان لتفوزوا بالنعيم أما قوله يا أيها الإنسان
ففيه قولان أحدهما المراد جنس الناس كما يقال يا أيها الرجل وكلكم ذلك الرجل قال القفال وهو أبلغ
من العموم لأنه خطاب خص به كل واحد من الناس فردا فردا وثانيهما أن المراد منه رجل بعينه وفيه
قولان أيضا أحدهما أن المراد منه محمد عليه السلام والمعنى إنك تكدح في إبلاغ رسالات الله وإرشاد عباده
فابشر فإنه غير ضائع عنده وثانيهما قال ابن عباس رضي هو أبي بن خلف وكدحه جده واجتهاده في
طلب الدنيا وإيذاء الرسول والإصرار على الكفر والأقرب أنه محمول على الجنس فإن فيه النوعين من أوتي
كتابه بيمينه ومن أوتي كتابه وراء ظهره أما قوله إنك كادح فالكدح جهد النفس في العمل والكد فيه
حتى يؤثر فيها من كدح جلده إذا خدشه أما قوله إلى ربك ففيه ثلاثة أوجه أحدها إنك كادح إلى لقاء
ربك وهو الموت أي هذا الكدح يستمر ويبقى إلى هذا الزمان وفي هذا التفسير دقيقة وهي أن كلمة
إلى لانتهاء الغاية فهي تدل على انتهاء الكدح والتعب بانتهاء هذه الحياة وثانيها قول القفال
التقدير إنك كادح في دنياك كدحا تصير به إلى ربك وثالثها يحتمل أن يكون دخول إلى على معنى أن الكدح
هو السعي أما قوله تعالى فملاقيه ففيه قولان أحدهما قال الزجاج فملاق ربك أي ملاق حكمه

لا مفر لكم منه وثانيهما أن الضمير عائد إلى الكدح إلا أن الكدح عمل وهو عرض لا يبقى فملاقاته ممتنعة
فيكون المراد ملاقاة الكتاب الذي فيه بيان تلك الأعمال ويتأكد هذا بقوله تعالى فأما من أوتي كتابه بيمينه أما
قوله تعالى فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا
فالمعنى من أعطي كتابه بيمينه وهو وعد الله واجب فيجب أن يكون هذا الحساب اليسير وهو أن يعرض
عليه أعماله حتى يعرف أن الطاعة منها هذه والمعصية هذه ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا
هو الحساب اليسير لأنه لا شدة على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر فيه
ولا بالحجة عليه فإنه متى طولب بذلك لم يجد عذرا فيفتضح ثم إنه عند هذا الحساب اليسير يرجع إلى أهله مسرورا
فائزا بالثواب آمنا من العذاب فدلت الآية على أنه سبحانه أعد له ولأهله في الجنة ما يليق به من الثواب
ثم المحاسبة تكون بين اثنين لا محالة فهي هاهنا بين العبد وربه فالعبد يعين الطاعة والرب يعين
المعصية ومثل هذه المحاسبة للمطيعين فإنه تعالى خص في حق الكفار بأنه لا يكلمهم قوله تعالى
وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا إنه كان في أهله
مسرورا إنه ظن أن لن يحور بلى إن ربه كان به بصيرا أما قوله وأما من أوتي كتابه
وراء ظهره ففيه وجوه أحدها قال الكلبي السبب فيه أن يمينه مغلولة إلى عنقه ويده اليسرى
خلف ظهره وثانيها قال مجاهد تخلع يده فيجعل من وراء ظهره وثالثها قول قوم يتحول وجهه
في قفاه فيقرأ كتابه كذلك ورابعها أنه يؤتى كتابه بشماله وراء ظهره فإن قيل أليس أنه تعالى قال في
سورة الحاقة وأما من أوتي كتابه بشماله ولم يذكر الظهر نقول يحتمل أن يكون كما قال الكلبي ويحتمل
أن يكون بعضهم يعطى بشماله وبعضهم وراء ظهره أما قوله فسوف يدعو ثبورا فالثبور هو الهلاك
والمعنى أنه لما أوتي كتابه من غير يمينه علم أنه من أهل النار وقال القفال إنه يشتق من المثابرة على
الشيء وهو المواظبة عليه فسمي هلاك الآخرة ثبورا لأنه لازم لا يزول كما قال إن عذابها كان غراما
وأصل الغرام هو اللزوم أما قوله ويصلى سعيرا فقال أصلي الكافر النار قال تعالى وسيصلون سعيرا وقال
ونصليه جهنم والمعنى أنه إذا أعطي كتابه بشماله من وراء ظهره فإنه يدعو الثبور ثم يدخل النار

وهو في النار ايضا يدعوا ثبورا كما قال دعوا هنالك ثبورا والبحث الثاني قرا عاصم وحمزة وابو عمرو
يصلى بضم الياء والتخفيف وقرا ابن عامر ونافع والكسائي بضم الياء والتثقيل اما قوله تع انه
[illegible] اهله مسرورا قال القفال انه كان في اهله مسرورا اي منعما مستريحا من التعب باداء ما يجب
[illegible] اما قوله انه ظن ان لن يحور بلى واعلم ان المحور هو الرجوع والمحار المرجع والمصير وعن
ابن [illegible] رضي الله عنه ما كنت ادري ما معنى يحور حتى سمعت اعرابية تقول لابنتها حوري اي ارجعي
[illegible] انه نقل عن بعضهم ان المحور هو الرجوع الى خلاف ما كان عليه المرء كما قالوا نعوذ بالله من
الحور بعد [illegible]ر فعلى القول الاول المعنى ظن ان لن يرجع وعلى الثاني ظن ان لن يرجع الى خلاف ما هو عليه
في الدنيا من [illegible]سرور ثم قال تع بلى اي لتبعثن وعلى الثاني ان يكون المعنى بلى ليحورن ثم لا ينقطع ولا
لا ينتهي و[illegible] اما قوله تع ان ربه كان به بصيرا فقال الكلبي كان بصيرا به من يوم خلقه الى ان بعثه
وقال عطاء بصيرا بما سبق عليه في ام الكتاب وقال الزجاج كان عالما بانه مرجعه اليه ولا فائدة في هذه
الاقوال [illegible] الفائدة فيما قاله القفال ان ربه كان عالما بانه سيجازيه وقال ايضا ان ربه كان
عالما [illegible] من الكفر والمعاصي لا يجوز في حكمته ان يهمله فلا يعاقبه على سوء اعماله وهذا زجر
لاهل التكليف عن جميع المعاصي قوله تع فلا اقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق
لتركبن طبقا عن طبق فما لهم لا يؤمنون قوله فلا اقسم بالشفق فيه مباحث الاول ان هذا
قسم واما حرف لا فقد تكلمنا فيه في قوله لا اقسم بيوم القيمة ومن جملة المذكور هناك ان لا نفي
ورد لكلام قبل القسم وتوجيه هذا الوجه ظاهر لانه تع حكى عن المشرك انه ظن ان لن يحور
فقوله لا رد لذلك القول وابطال لذلك الظن ثم قال بعده اقسم بالشفق الثاني اختلفوا في ان القسم
واقع بهذه الاشياء او بخالقها فعند اهل الكلام انه واقع برب الشفق وان كان محذوفا لان ذلك معلوم
من حيث ورد الحظر بان يقسم الانسان بغير الله الثالث لفظ الشفق في اصل اللغة لرقة الشيء ومنه
يقال شيء شفق لا تماسك له لرقته ومنه الشفقة وهي رقة القلب ثم اتفق العلماء على انه
اسم للاثر الباقي من الشمس في الافق بعد غروبها الا ما نقل عن مجاهد انه هو النهار ولعله انما ذهب

الى هذا لانه تع عطف عليه الليل فالقسم على هذا الوجه قسم بالليل والنهار فان بهما قوام امور
العالم ثم اختلفوا بعد ذلك فذهب عامة العلماء الى انه هو الحمرة وهو قول ابن عباس و[illegible]
وقال في الكشاف الا ما يروى عن ابي حنيفة رح في احدى الروايتين انه هو البياض وا[illegible]
والليل وما وسق فقال اهل اللغة وسق اي جمع ومنه الوسق وهو الطعام المجتمع الذي
يوزن ثم صار اسما للحمل واستوسقت الابل اذا اجتمعت وانضمت قال في الكشاف يقال وس[illegible] نسق
واستوسق واما المعنى فقال القفال مجموع اقاويل المفسرين يدل على انهم فسروا قوله [illegible] وسق
على جميع ما يجمعه الليل من النجوم ورجوع الحيوان عن الانتشار وتحرك ما يتحرك [illegible] الهوام
ثم هذا يحتمل ان يكون اشارة الى الاشياء كلها لاجتماع الليل عليها فكانه تع اقسم [illegible] المخلوقات
كما في قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون وعن القفال يحتمل ان يكون ذكر [illegible] تهجد العباد فقد
مدح الله المستغفرين بالاسحار اما قوله والقمر اذا اتسق واعلم ان اصل الكلمة [illegible] الاجتماع يقال
وسقته فاتسق كما يقال جمعته فاجتمع وقال ابن عباس اذا اتسق اي استوى واج[illegible] وتكامل
وتم واستدار وذلك ليلة ثلثة عشر الى ستة عشر ثم انه تع بعد ذكر ما فيه اقسم واتبعه بذ[illegible] ما عليه
اقسم فقال لتركبن طبقا عن طبق وفيه مباحث الاول قرئ لتركبن على خطاب الانسان [illegible] يا ايها
الانسان ولتركبن بالضم على خطاب الجنس لان النداء في قوله يا ايها الانسان للجنس ولتركبن بالكسر على خطاب
النفس وليركبن بالياء على المغايبة الثاني الطبق ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق كذا اي لا يطابقه
ومنه قيل للغطاء الطبق فقوله تع طبقا عن طبق اي حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لاختها
في الشدة والهول ويجوز ان يكون جمع طبقة وهي المرتبة من قولهم هو على طبقات والمعنى لتركبن
احوالا بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض واما اقوال المفسرين فنقول
اما القراءة برفع الباء ففيه وجوه احدها ان يكون المعنى لتركبن ايها الانسان امورا واحوالا
امرا بعد امر وحالا بعد حال ومنزلا بعد منزل الى ان يستقر الامر على ما يقضي به على الانسان
وله جنة او نار ففي يحصل الدوام والخلود وثانيها ان معنى الاية ان الناس يلقون يوم القيمة

احوالا وشدائد حالا بعد حال وشدة بعد شدة كانهم لما انكروا البعث اقسم الله تعالى ان البعث
كائن وان الناس يلقون فيها الشدائد والاهوال وهو كقوله تعالى بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن
بما عملتم وثالثها ان يكون المعنى ان الناس ينتقل احوالهم يوم القيمة عما كانوا عليه في الدنيا فمن
كان وضيعا في الدنيا يصير رفيعا في الآخرة ومن رفيع يوضع ومن متنعم يشقى ومن شقي يتنعم وهو كقوله
خافضة رافعة وهذا التأويل مناسب لما قبل هذه الآية ورابعها ان يكون المعنى لتركبن سنة
الاولين ممن كان قبلكم في التكذيب بالنبوة والقيمة واما القراءة بنصب الباء ففيه قولان الاول انه خطاب
مع محمد عليه السلام وانه على وجهين احدهما ان يكون ذلك بشارة له بالظفر والغلبة على المشركين
المكذبين بالبعث وثانيهما ان يكون بشارة له عليه السلام لصعوده الى السموات المشاهدة ملكوتها
واجلال الملائكة اياه منها والمعنى لتركبن يا محمد السموات طبقا عن طبق فقال تعالى سبع سموات
طباقا وهذا الوجه مروي عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ولا يبعد ان يقال لتركبن درجة بعد
درجة ورتبة بعد رتبة في القرب من الله تعالى واما القول الثاني ان هذه الآية في السموات وتغيرها من حال
الى حال والمعنى لتركبن السماء يوم القيمة حالة بعد حالة نحو الانشقاق والانفطار وصيرورتها
وردة كالدهان وغير ذلك كما في الآيات وهذا الوجه مروي عن ابن مسعود رضي الله عنه الثاني قوله تعالى عن طبق
اي بعد طبق والوجه فيه ان عن يفيد البعد والمجاوزة وبعد لا يخلو عن البعد والمجاوزة فهما متقاربان
اذن اما قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون اي لا يؤمنون بصحة البعث وانه استفهام بمعنى الانكار وهذا انما
يحسن عند ظهور الحجة وزوال الشبهات والامر هنا كذلك فانه تعالى اقسم بتغيرات واقعة في الافلاك
والعناصر وانه يدل على حقية القول بالبعث لان القادر على تغير الاجسام السفلية والعلوية لابد
ان يكون قادرا على جميع الممكنات عالما بجميع المعلومات وكان قادرا على الحشر والنشر والقيمة واحوالها
ولما مر من قبل ما يدل على صحة البعث فقال على سبيل الاستبعاد فما لهم لا يؤمنون قوله تعالى واذا قرئ
عليهم القرآن لا يسجدون بل الذين كفروا يكذبون والله اعلم بما يوعون فبشرهم
بعذاب اليم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون اما قوله تعالى واذا قرئ

عليهم القرآن لا يسجدون ففيه من المباحث الاول انهم ارباب الفصاحة والبلاغة فعند سماعهم القرآن
لا بد ان يعلموا كونه معجزا واذا علموا ذلك علموا صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلهذا استبعد الله منهم عند السماع
ترك السجود والطاعة الثاني قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن رضي الله عنه المراد في السجود الصلوة قال ابو مسلم المراد
الخضوع والاستكانة ومنهم من قال بل المراد نفس السجود الثالث روى انه عليه السلام قرأ ذات يوم واسجد واقترب
فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت واحتج ابو حنيفة رح
بهذا على وجوب السجدة بوجهين احدهما ان فعله عليه السلام يقتضي الوجوب لقوله تعالى فاتبعوه
وثانيهما ان الذم عند الترك يدل على الوجوب الرابع مذهب ابن عباس انه ليس في المفصل سجدة وعن
ابي هريرة انه سجد هنا وعن الحسن انها غير واجبة اما قوله تعالى بل الذين كفروا يكذبون فالمعنى ان الدلائل
الموجبة للايمان وان كانت جلية ظاهرة لكن الكفار يكذبون بها اما لتقليد الاسلاف واما للحسد واما
للخوف من فوت المناصب وبالجملة فبالجهل اما قوله تعالى والله اعلم بما يوعون فاصل الكلمة
الوعاء فيقال اوعيت الشيء اذا جعلته في الوعاء كما قال وجمع فاوعى والمعنى بما يجمعون في صدورهم من
السوء والتكذيب والله اعلم بمراده ثم قال تعالى فبشرهم بعذاب اليم المحقق على تكذيبهم وكفرهم اما
قوله تعالى الا الذين امنوا ففيه قولان الاول في الكشاف الاستثناء منقطع وعند الاكثر معناه والا من تاب منهم
فانهم وان كانوا كافرين في الحال فاذا تابوا وامنوا وعملوا الصالحات فلهم اجرهم وهو الثواب العظيم وفي
معنى غير ممنون وجوه منها ان ذلك الثواب يصل اليهم بلا من ولا اذى ومنها غير انقطاع ومنها
من غير نقصان والاولى ان يحمل على الكل فانه ترغيب في العبادة كما ان الذي تقدم زجر عن المعاصي
والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب والمقصود من هذه السورة تسلية النبي عليه السلام واصحاب
رضي الله عنهم بايذاء الكفار وكيفية تلك التسلية هي انه تعالى بين ان سائر الامم السالفة كانوا كذلك مثل اصحاب
الاخدود ومثل فرعون وثمود وان الكفار كانوا في التكذيب كذلك ثم ختم بقوله بل هو قرآن مجيد في
لوح محفوظ واما اتصال هذه السورة بتلك على الخصوص بآخرها فظاهر لاشتمال كل واحدة منهما
على انكار الكفرة واصرارهم والقسم على ما وعد للمؤمنين وعلى ما اوعد للكافرين من الثواب العظيم الذي

صفير قريش او تكرار صدا [illegible]

لا ينقطع العذاب الاليم الذى **سورة البروج مكية وهى ثنتان وعشرون آية** بسم الله الرحمن الرحيم
والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود اما البروج ففيه ثلثة اقوال
احدها انها هى البروج الاثنى عشر على الفلك البروج وانما حسن القسم بها لما فيها من
عجيب الحكمة كما مر وذلك يدل على وجود الصانع الحكيم وثانيها البروج وهى منازل القمر وانما حسن
القسم فى سير القمر وحركته من الاثار العجيبة وثالثها ان البروج هى عظام الكواكب سميت بروجا
لظهورها واما اليوم الموعود فهو يوم القيمة قال القفال يحتمل ان يكون المراد منه اليوم الموعود
لانشقاق السماء وبطلان بروجها واما الشاهد والمشهود فقد اضطربت اقاويل المفسرين
فيه قال القفال الشاهد يقع على شيئين احدهما الشاهد الذى يثبت به الدعاوى والحقوق وثانيهما
هو بمعنى الحاضر كما قال عالم الغيب والشهادة يقال فلان شاهد وفلان غائب والحمل على هذا اولى فان الصلة
من اللوازم لو كان المراد هو الاول فيقال مشهود عليه او مشهود به هذا هو الظ ولا يبعد ان يكون المراد
هو المشهود عليه تحذف الصلة كما فى قوله ان العهد كان مسؤلا اى عنه اذا عرفت هذا فنقول اذا حملنا المشهود
على الحضور احتملت الاية وجوها احدها ان المشهود هو يوم القيمة والشاهد هو الجمع الذين يحضرون
فيه وهو مروى عن ابن عباس رضى الله عنه والضحاك رح ويدل عليه قوله تع فى صفة يوم القيمة بكونه مشهودا
فويل للذين ظلموا من مشهد يوم عظيم وقوله يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وثانيها ان يفسر
اليوم الموعود وهو يوم القيمة وثالثها انه لا حضور اعظم من ذلك الحضور وصرف اللفظ الى الاكمل
اولى وانما حسن القسم بيوم القيمة للتنبيه على القدرة اذا كان هو يوم الفصل والجزاء وهو اختيار
ابن عباس رضى الله عنهما وكثير من المفسرين كمجاهد والضحاك والنخعى والثورى وغيرهم رحمهم الله الثانى ان يفسر
المشهود بيوم الجمعة وهو قول ابن عمر وابن مسعود وابن الزبير يدل عليه قوله عليه السلام اكثروا
على الصلوة يوم الجمعة فانه يوم مشهود يشهده الملائكة والثالث ان يفسر المشهود بيوم عرفة والشاهد
من يحضره من الحاج وحسن القسم به تعظيما لامر الحج والرابع ان يكون المشهود يوم النحر وذلك
لانه اعظم المشاهد فى الدنيا والقسم به لتعظيم امر الحج الخامس ان يكون المشهود مجموع هذه الايام

يوم

يوم الجمعة ويوم عرفة ويوم النحر جميعا ولعل الاية عامة لكل يوم عظيم فى ايام الدنيا ولكل مقام جليل
من مقاماتها وليوم القيمة ايضا فانه يوم عظيم يقوم الناس لرب العالمين ويدل على هذا الوجه التنكير
فى الشاهد والمشهود واما ان يحمل الشاهد على من يثبت به الدعوى ففيه من الوجوه ايضا احدها
ان الشاهد هو الله تع لقوله شهد الله انه لا اله الا هو وقوله قل اى شئ اكبر شهادة قل
الله وثانيها ان الشاهد محمد عليه السلام والمشهود عليه سائر الانبياء لقوله تع فكيف اذا جئنا
من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وثالثها ان الشاهد هو الانبياء والمشهود عليه
هو الامم لقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد ورابعها ان يكون الشاهد جميع
الممكنات والمشهود عليه واجب الوجود لذاته وهذا هو الاقرب والقسم على هذا التقدير واقع بالخلق
والخالق والصنع والصانع وخامسها ان يكون الشاهد هو الملك والمشهود عليه هو الانسان الذى

> يشهد عليه جوارحه يوم القيمة قال تع يوم تشهد عليهم الاية وبالجملة ففيه من الروايات كما قيل [illegible]

الشاهد هو الله تع والمشهود هو القيمة وقيل ان الشاهد هو الانسان والمشهود هو التوحيد
لقوله تع واشهدهم على انفسهم وقيل ان الشاهد هو الانسان والمشهود هو القيمة اما ان
الشاهد هو الانسان فلقوله تع قالوا بلى شهدنا واما المشهود فلقوله ان يقولوا يوم القيمة قوله تع
**قتل اصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين
شهود** واعلم ان القسم لا بد من جواب واختلفوا فيه على وجوه احدها ان الجواب ما ذكره
الاخفش قوله قتل اصحاب الاخدود واللام مضمرة فيه كما فى قوله والشمس وضحاها قد افلح من زكيها
يريد لقد افلح وان شئت على التقديم كانه قيل قتل اصحاب الاخدود والسماء ذات البروج وثانيها هو قوله
ان بطش ربك لشديد وهو قول ابن مسعود والزجاج وقتادة رضى الله عنهم وثالثها قوله ان الذين فتنوا
المؤمنين الاية ورابعها ما ذهب اليه جماعة من المتقدمين ان جواب القسم محذوف وهو اختيار صاحب
الكشاف الا ان ذكر المحذوف هو ان الامر حق فى الجزاء على الاعمال وعند صاحب الكشاف هذا الذى يدل عليه
قوله قتل اصحاب الاخدود كانه قيل اقسم بهذه الاشياء ان كفار قريش ملعونون كما لعن اصحاب
الاخدود وذلك ان السورة وردت فى تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على اذى اهل مكة وتذكيرهم بما

جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان اما قوله قتل اصحاب الاخدود ففيه من المباحث الاول انهم ذكروا
في قصة اصحاب الاخدود على طرق متشابهة وروايات مختلفة ونحن نذكر منها ما هو الاقرب وذلك
ما روي عن علي رضي الله عنه انهم حين اختلفوا في احكام المجوس قال هم اهل الكتاب وكانوا متمسكين بكتابهم و
كانت الخمر قد احلت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على اخته فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت
له المخرج ان تخطب الناس فتقول ان الله تعالى احل نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك وتقول ان الله حرمه
فخطب فلم يقبلوا منه ذلك فقالت له ابسط فيهم السوط فلم يقبلوا فقالت له ابسط فيهم السيف
فلم يقبلوا فامرته بالاخاديد وايقاد النيران وطرح من ابى فيها فهم الذين ارادهم الله بقوله قتل
اصحاب الاخدود فان قيل اذا كانت الروايات مختلفة متعارضة فالتعارض يدل على كذبها فنقول
منهم من قال ان هذا كان في ثلث طوائف ثلث كرات مرة باليمن ومرة بالعراق ومرة بالشام ولفظ الاخدود
وان كان واحدا الا ان المراد هو الجمع قال القفال رحمه الله ذكروا في قصة اصحاب الاخدود روايات مختلفة
وليس في شيء منها ما يصح الا انها متفقة انهم قوم من المؤمنين خالفوا قومهم او ملكا كافرا كان
حاكما عليهم فالقاهم في اخدود وحفره لهم ثم قال واظن تلك الواقعة كانت مشهورة عند
قريش فذكر الله تعالى ذلك لاصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم تنبيها لهم على ما يلزمهم من الصبر على دينهم و
احتمال المكاره فيه فقد كانوا مشركوا قريش يؤذون المؤمنين على حسب ما اشتهرت به الاخبار
من مبالغتهم في ايذاء عمار وبلال الثاني الاخدود في الارض يحفر مستطيلا وجمعه الاخاديد ومصدره
الخد هو الشق يقال خد في الارض وتخدد لحمه اذا صار فيه طرق كالشقوق الثالث يمكن ان يكون
المراد باصحاب الاخدود القاتلين ويمكن ان يكون المراد بهم المقتولين والرواية المشهورة ان المقتولين
هم المؤمنون وروي ايضا ان المقتولين هم الجبابرة لانهم لما القوا المؤمنين في النار عادت النار
عليهم وهم الكفرة فاحرقتهم ونجى الله المؤمنين منها سالمين والى هذا القول ذهب الربيع بن انس
والواقدي وتاولوا قوله فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق اي لهم عذاب جهنم في الاخرة ولهم
عذاب الحريق في الدنيا الرابع قرئ قتل بالتشديد اما قوله النار ذات الوقود ففيه من المباحث

الاول

42

الاول النار انما تكون عظيمة اذا كان هناك شيء يحترق بها اما حطب او غيره فالوقود لذلك الشيء
كقوله تعالى وقودها الناس والحجارة والمعنى ذات الوقود تعظيم لامرها كانه قيل في ذلك الاخدود من الحطب الكثير
الثاني قال ابو علي هذا من بدل الاشتمال اذ الاخدود مشتمل على النار الثالث قرئ الوقود بالضم اما
قوله اذ هم عليها قعود ففيه من المباحث ايضا الاول العامل في اذ قتل والمعنى لعنوا في ذلك الوقت الذي
هم فيه قعود عند الاخدود يعذبون المؤمنين ولقائل ان يقول هم ضمير عائد الى اصحاب الاخدود لان ذلك
اقرب المذكور والضمير في قوله عليها عائد الى النار فهذا يقتضي ان اصحاب الاخدود كانوا قاعدين على النار
ومعلوم انه لم يكن كذلك فنقول الجواب عنه من وجوه احدها ان الضمير في هم عائد الى اصحاب الاخدود
لكن المراد ههنا من اصحاب الاخدود المقتولون فيكون المعنى اذ المؤمنون قعود على النار يحترقون مطرحون
على النار وثانيها ان يجعل الضمير في عليها عائدا الى طرف النار وشفيرها والمواضع التي يمكن الجلوس فيها
ولفظة على مشعر بذلك وثالثها هب انا سلمنا ان الضمير في هم عائد الى اصحاب الاخدود وهم القاتلون والضمير
في عليها عائد الى النار فلم لا يجوز ان يقال ان اولئك القاتلين كانوا قاعدين على النار يمكن انهم لما القوا المؤمنين
في النار ارتفعت النار اليهم فهلكوا بنفس ما فعلوه ورابعها على بمعنى عند كما في قوله تعالى ولهم علي ذنب اي عندي
اما قوله تعالى وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود فالشهود ان كان بمعنى الحضور فالمعنى ان اولئك الجبابرة
كانوا حاضرين عند ذلك العمل وذلك يدل على اتصافهم بقسوة القلب وعلى اتصافهم بالجد في تقرير كفرهم
وباطلهم حيث حضروا الى تلك المواطن المنفرة والافعال الموحشة وعلى اتصاف المؤمنين بالجد في الدين
والاصرار عليه ولا يقال اذا كان الشهود بهذا المعنى يجب ان يقال وهم لما يفعلون شهود ولا يقال وهم على
ما يفعلون شهود قلنا انما ذكر فيه لفظة على بمعنى انهم على قبح فعلهم بهؤلاء المؤمنين كانوا حاضرين
شاهدين لتلك الافعال القبيحة واما اذا كان الشهود بمعنى الشهادة التي تثبت بها الدعوى ففيه وجوه احدها
انهم جعلوا شهودا يشهد بعضهم لبعض عند الملك ان احدا منهم لم يفرط فيما امر به وثانيها انهم شهود
على ما فعلوه بالمؤمنين يؤدون شهادتهم يوم القيمة وثالثها ان هؤلاء الكفار شاهدوه ولما يفعل بالمؤمنين
من الاحراق بالنار قوله تعالى وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات

والأرض والله على كل شيء شهيد والمعنى ما عابوا منهم وما أنكروا إلا الإيمان كقوله ولا عيب
فيهم غير أن سيوفهم ونظر قوله هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وإنما قال إلا أن يؤمنوا لأن التعذيب
إنما كان واقعا على الإيمان في المستقبل ولو كفروا في المستقبل لم يعذبوا على ما مضى فكأنه قيل إلا أن يدوموا
على إيمانهم وقد قرئ نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح ثم إنه ذكر الأوصاف التي بها يستحق الإله أن يؤمن
به ويعبد أولها العزيز وهو القادر الذي لا يغلب والقاهر الذي لا يدفع وهو إشارة إلى القدرة
التامة وثانيها الحميد وهو الذي يستحق الحمد والثناء والله إشارة إلى العلم التام لأن من لا يكون عالما بعواقب
الأمور لا يمكنه أن يفعل الأفعال الحميدة وثالثها الذي له ملك السموات والأرض هو ما والقيم بهما
ولو شاء لأفناهما وهو إشارة إلى الملك التام وإنما أخر هذه الصفة عن الأوليين لأن الملك التام لا يحصل إلا عند حصول
الكمال في القدرة والعلم واعلم أنه تعالى أشار بقوله العزيز إلى أنه لو شاء لمنع أولئك الجبابرة وأشار بقوله
الحميد إلى أن المعتبر عنده من الأعمال عواقبها فهو وإن كان قد أمهل لكنه ما أهمل فإنه تعالى يوصل الثواب إلى أهل
الإيمان والعقاب إلى أهل الكفر ولهذا السبب قال والله على كل شيء شهيد قوله تعالى إن الذين فتنوا
المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق اعلم أنه تعالى لما ذكر قصة
أصحاب الأخدود أتبعها بما يتفرع عليها من أحكام الثواب والعقاب فقال إن الذين فتنوا المؤمنين
وفيه مباحث الأول يحتمل أن يكون المراد منه أصحاب الأخدود فقط ويحتمل أن يكون المراد كل من فعل
ذلك وأنه أولى إذ اللفظ عام الثاني أصل الفتنة الابتلاء والامتحان وذلك لأن أولئك الكفار امتحنوا
أولئك المؤمنين وعن بعضهم الفتنة هي الإحراق بالنار قال الزجاج يقال فتنت الشيء أي أحرقته
والفتين أحجار سود كأنها محرقة قال تعالى يوم هم على النار يفتنون الثالث قوله تعالى ثم لم يتوبوا
يدل على أنهم لو تابوا لخرجوا عن هذا الوعيد الرابع في قوله تعالى لهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق قولان
الأول عذاب جهنم هو العذاب الحاصل بسبب كفرهم وعذاب الحريق هو العذاب الزائد على عذاب
الكفر بسبب أنهم أحرقوا المؤمنين ولا يبعد أن يكون الأول عذاب برد والثاني عذاب حر والثاني
أن عذاب جهنم إشارة إلى عذاب الآخرة وعذاب الحريق إشارة إلى ما مر ذكره أن الكفار ارتفعت عليهم

نار الأخدود فأحرقتهم قوله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من
تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير اعلم أنه تعالى لما ذكر وعيد الكفار أتبعه بالوعد للمؤمنين وفيه
مباحث الأول إنما قال ذلك الفوز ولم يقل تلك الفوز لدقيقة وهي أن قوله ذلك إشارة إلى إخبار
الله بحصول هذه الجنات وقوله تلك إشارة إلى الجنات وإخباره تعالى عن ذلك يدل على كونه راضيا والفوز
الكبير هو رضى الله تعالى لا حصول الجنة قوله تعالى إن بطش ربك لشديد إنه هو يبدئ ويعيد
وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد اعلم أنه تعالى ذكر وعيد الذين فتنوا ووعد
وعد الذين آمنوا ثانيا أردف كل واحد منهما بالتأكيد فقال لتأكيد الوعيد إن بطش ربك لشديد
والبطش هو الأخذ بالعنف فإذا وصف بالشدة فقد تضاعف فنظيره إن أخذه أليم شديد ثم إنه
القادر لا يكون إمهاله لأجل الإهمال لكن لأجل أنه حكيم إما بحكم المشيئة وإما بحكم المصلحة فلهذا قال
إنه هو يبدئ ويعيد أي يخلق خلقه ثم يفنيهم ثم يعيدهم قال ابن عباس رضي الله عنهما إن أهل جهنم تأكلهم
النار حتى يصيروا فحما ثم يعيدهم خلقا جديدا فذلك هو المراد من قوله إنه هو يبدئ ويعيد ثم
قال تعالى لتأكيد الوعد وهو الغفور الودود فذكر من صفات كبريائه خمسة أولها الغفور وعند المعتزلة
لمن تاب وعند أهل السنة مطلقا كما مر وثانيها الودود وهو المحب عند الأكثر وعند الكلبي هو
المتودد إلى أوليائه بالمغفرة وعند الأزهري فعول بمعنى مفعول كركوب وحلوب والمعنى أن الصالحين
من عباده يودونه ويحبونه لما عرفوا من كماله في ذاته تعالى وصفاته وأفعاله وعن القفال إنه قال
الودود قد يكون بمعنى الحكيم من قولهم دابة ودود وهي المطيعة التي كيف عطفها انعطفت
وثالثها ذو العرش قال القفال أي ذو الملك كما يقال فلان على سرير ملكه وإن لم يكن على السرير
ورابعها المجيد وفيه قراءتان بالرفع فهو صفة لله حينئذ وهو المختار عند الأكثر لأن المجد
من صفات الجلال وذلك لا يليق إلا بالله سبحانه وبالخفض وهو قراءة حمزة والكسائي فهو
صفة العرش ولا يمتنع أن يوصف به غيره كما قال بل هو قرآن مجيد إلا أن مجد الله تعالى إذا كان
بحسب الوجوب الذاتي وكمال القدرة فلا يوصف به غيره بطريق الحقيقة وخامسها فعال لما

الحين

يريد وفيه مباحث الاول فعال خبر مبتدا محذوف ثم من النحاة من قال وهو الغفور الودود خبران
لمبتدا واحد وذلك ضعيف لان المقصود من الاسناد اما ان يكون مجموعهما وحينئذ يكون الخبر
واحدا واما ان يكون كل واحد منهما وحينئذ يكون القضية ليست بواحدة الثاني احتج اهل السنة بهذه
الاية في خلق الافعال وانه من جملة ما قد مر الكلام فيه غير مرة الثالث قال القفال فعال لما يريد اي
يفعل ما يريد على ما يراه يدخل اولياءه الجنة ولا مانع يمنعه ويدخل اعداءه النار ولا ناصر لهم ينصرهم
منه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قوله تعالى هل اتيك حديث الجنود فرعون وثمود بل
الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط بل هو قران مجيد في لوح محفوظ انه تعالى
لما بين حال اصحاب الاخدود بين ان الذين كانوا ايضا كذلك واعلم ان فرعون وثمود بدل من الجنود
واراد بفرعون اياه وقومه وثمود كانوا في بلاد العرب وقصتهم مشهورة عندهم فذكر تعالى من المتاخرين
فرعون ومن المتقدمين ثمود وهذا هو المراد من قوله بل الذين كفروا في تكذيب ولما طيب قلب
الرسول بحكاية الاولين طيب قلبه بطريق آخر وهو قوله والله من ورائهم محيط وفيه وجوه احدها
ان المراد وصف اقتداره عليهم وثانيها ان المراد به قرب هلاكهم كما في قوله تعالى واذ قلنا لك ان
ربك احاط بالناس وثالثها ان قوله والله محيط باعمالهم اي عالم بها وقادر على عقابهم عليها
ثم انه تعالى طيب قلبه بطريق ثالث وهو قوله بل هو قران مجيد وفيه مباحث الاول تعلق هذا بما
قبله هو ان هذا قران مجيد مصون عن التبديل والتغيير فلما حكم بشقاوة قوم وسعادة قوم امتنع
تغييره وتبديله فوجب الرضا به الثاني قراءة مجيد بالاضافة اي قران رب مجيد وقرئ
في لوح واللوح الهواء يعني اللوح فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح وقرئ محفوظ
بالرفع صفة للقران الثالث انه تعالى قال في هذا الموضع بل هو قران مجيد في لوح محفوظ وقال
في موضع انه لقران كريم في كتاب مكنون فيحتمل ان يكون اللوح المحفوظ والكتاب المكنون واحدا
ثم كونه محفوظا يحتمل ان يكون محفوظا عن اطلاع الخلق عليه سوى الملائكة ويحتمل ان يكون
محفوظا عن التغيير والتبديل ويحتمل ان يكون محفوظا عن كل واحد منهما الرابع قال بعض المتكلمين

ان اللوح شيء يلوح للملائكة فيقرؤنه ولما كانت الاخبار والاثار واردة بذلك وجب التصديق
والله اعلم بسم الله الرحمن الرحيم سورة الطارق وهي سبع آية والسماء والطارق وما ادريك
ما الطارق النجم الثاقب ان كل نفس لما عليها حافظ واما اتصال هذه السورة
بما قبلها فظاهر لان تلك السورة مشتملة على قبائح افعال الكفرة وهذه السورة على يوم فيه ظهور
قبائحهم عليهم في جزاء سيئاتهم على حسب استحقاقهم كذلك ثم في آخر تلك السورة ذكر اللوح المحفوظ
وما فيه وفي اول هذه السورة ذكر ما يتعلق بذلك من الملائكة وغيرها واعلم انه تعالى اكثر في كتابه ذكر
السماء والشمس والقمر لما ان احوالها غريبة عجيبة اما الطارق فهو كل ما اتاك ليلا كوكبا كان او
غيره ولا يكون الطارق نهارا ولهذا قول المسلمين في دعائهم نعوذ بالله من شر طوارق الليل ثم انه
تعالى لما قال والطارق كان هذا مما لا يستغني سامعه عن معرفة المراد فقال وما ادريك ما الطارق وقد مر
من قبل ان ما ادريك في القران عبارة عما اخبر به الرسول وما يدريك عما لم يخبره به ثم قال النجم الثاقب
اي هو طارق عظيم الشان رفيع القدر وهو النجم الذي يهتدى به في ظلمات البر والبحر وفيه مباحث
الاول انما وصف النجم بكونه ثاقبا لوجوه منها انه يثقب الظلام بضوئه ومنها انه يطلع من المشرق
نافذا في الهواء كالذي يثقب ومنها انه يرمى به الشيطان فيثقبه اي ينفذ فيه ويحرقه الثاني انما
وصف النجم بكونه طارقا لانه يبدو بالليل او لانه يطرق الجني اي يصكه الثالث اختلفوا في
النجم الثاقب قال بعضهم اشير به الى جماعة النجوم فقيل الطارق كما قيل ان الانسان لفي خسر وقال بعضهم
انه نجم بعينه فعند ابن زيد انه الثريا وعند الفراء انه زحل وعند غيرهم هو الشهاب يرجم به الشياطين
كقوله تعالى فاتبعه شهاب ثاقب الرابع روي ان ابا طالب اتى النبي عليه السلام فاتحفه بخبز ولبن فبينا
هو جالس ياكل اذ انحط نجم فامتلا ماء ثم نارا ففزع ابو طالب وقال اي شيء هذا فقال هذا نجم رمي به
وهو آية الله فعجب ابو طالب ونزلت السورة ثم انه تعالى لما ذكر المقسم به اتبعه بذكر المقسم عليه فقال
ان كل نفس لما عليها حافظ وفيه مباحث الاول في لما قراءتان احديهما قراءة ابن كثير وابي عمرو
ونافع والكسائي وهي تخفيف الميم والثانية قراءة عاصم وحمزة والنخعي بتشديد الميم ومنهم من

قال يستعمل لما بمعنى الا عن الاخفش والكسائي وابي عبيدة انهم قالوا لم يوجد لما بمعنى الا في كلام العرب
الثاني ليس في الآية بيان ان هذا الحافظ من هو ومنهم من قال الحافظ هو الله تعالى وهذا ظاهر فانه
بقاء كل شيء بابقائه وانه تعالى بين هذا المعنى في السموات والارض على العموم في قوله ان الله يمسك السموات
والارض ان تزولا ومنهم من قال الحافظ هم الملائكة كما قال ويرسل عليكم حفظة وقال وان
عليكم لحافظين كراما كاتبين الثالث ليس في الآية ايضا بيان ما الذي يحفظه هذا الحافظ منهم
من قال ان هؤلاء الحفظة يكتبون عليه جميع اعماله ومنهم من قال انه كل نفس لما عليها حافظ يحفظ
عملها ورزقها واجلها ومنهم من قال كل نفس لما عليها حافظ يحفظها من المعاطب والمهالك
فلا يصيبها الا ما قدر الله تعالى عليها وعن الفراء كل نفس عليها حافظ يحفظها حتى يسلمها الى
المقابر وهذا قول الكلبي ثم انه تعالى لما اقسم على ان لكل نفس حافظا الزمها وحث لكل احد
ان يجتهد ويسعى وتحصيل اهم المهمات وقد تطابقت الشرائع والعقول على ان اهم المهمات معرفة
المبدأ ومعرفة المعاد فلهذا بدأ الله تعالى بعد ذلك بما يدل على المبدأ فقال تعالى **فلينظر الانسان مم
خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر
يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر** الاول الدفق صب الماء يقال دفقت الماء
اي صببته وهو مدفوق اي مصبوب ومندفق اي منصب ولما كان هذا الماء مدفوقا اختلفوا
في انه لم وصف بانه دافق قال الزجاج معناه ذو اندفاق كما يقال دارع وفارس اي ذو درع وفرس
وذكر ان هذا مذهب سيبويه ومنهم من قال انهم يجعلون الفاعل مفعولا اذا كان في مذهب النعت
كقولهم سر كاتم وهم ناصب وليل نائم قال تعالى في عيشة راضية اي مرضية وذكر الخليل في الكتاب
المنسوب اليه دفق الماء دفقا ودفوقا اذا انصب بمرة واندفق الكوز اذا انصب بمرة الثاني في
الصلب بفتحتين وفيه اربع لغات صلب وصلب بضمتين وصلب وصالب الثالث ترائب المرأة
عظام صدرها حيث يكون القلادة وكل عظم من ذلك تريبة قال امرؤ القيس ترائبها مصقولة
كالسجنجل الرابع في الآية قولان احدهما ان الولد مخلوق من الماء الذي يخرج من صلب الرجل وترائب

المرأة وثانيهما انه مخلوق من الماء الذي يخرج من صلب الرجل وترائبه ثم انهم احتجوا على القول
الثاني بان ماء الرجل خارج من الصلب فقط وماء المرأة من الترائب فقط وعلى هذا التقدير لا يحصل
هناك ماء خارج من بين الصلب والترائب وهذا ضعيف جدا فانه يصح ان للشيئين المتباينين
انه يخرج من بين هذين الشيئين خير كثير ولان الرجل والمرأة عند اجتماعهما كالشيء الواحد
فيحسن هذا اللفظ هناك فاحتجوا عليه ايضا بانه تعالى بين ان الانسان مخلوق من ماء دافق والماء
الدافق هو ماء الرجل وانه ضعيف ايضا لانه لا يبعد ان يكون الدافق مشروطا بشرط كونه
خارجا من البدن ومنهم من اجاب عن هذا بانه من باب اطلاق اسم البعض على الكل وذكر فاسد
فان اطلاق اسم البعض على الكل لا يصح اصلا وثم من الناس من قال في معنى هذه الآية انه مشكل و
ذلك لان المراد من قوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب ان المني انما ينفصل من تلك المواضع فليس
الامر كذلك لانه انما يتولد من فضلة الهضم الرابع وينفصل عن جميع اجزاء البدن حتى يأخذ من كل
عضو طبيعته وخاصيته فيصير مستعدا لان يتولد منه مثل تلك الاعضاء ولذلك فان المفرط
في الجماع يستولي الضعف على جميع اعضائه وان كان المراد ان معظم المني يتولد هناك فهو ضعيف
بل معظم اجزائه انما يتولد في الدماغ ولهذا يظهر الضعف اولا في عينيه وان كان المراد ان مستقر المني
هناك فهو ضعيف كذلك لان مستقر المني هو اوعية المني وهي عروق يلتف بعضها بالبعض عند البيضتين
وان كان المراد ان مخرج في تولد المني هو الدماغ وللدماغ خليفة وهي النخاع وهو في الصلب وله
شعب كثيرة نازلة الى مقدم البدن وهو التريبة فلهذا خصص الله تعالى هذين العضوين بالذكر الخامس
قد مر من قبل ان دلالة تولد الانسان عن النطفة على وجود الصانع المختار من اظهر الدلائل لان التركيب
العجيبة في بدن الانسان اكثر فيكون تولده عن اعادة البسيطة ادل على القادر المختار وكما انه تعالى على
وجود الصانع المختار الحكيم فلذلك يدل على صحة البعث والحشر والنشر وذلك لان حدوث الانسان
بسبب اجتماع اجزاء كانت متفرقة في اعضاء الوالدين ولما قدر على جمع تلك الاجزاء فقدر على جمع
غيرها من الاجزاء ولهذا السر لما بين دلالته على المبدأ فرع عليه دلالته على صحة المعاد فقال انه

على رجعه لقادر وفيه مباحث الاول الضمير في انه للخالق مع انه لم يتقدم ذكره والسبب فيه هو انه
ان لم يتقدم ذكره لفظا لكن تقدم ذكر ما يدل عليه سبحانه وقد تقرر في بداية العقول ان القادر
على هذه التصرفات هو الله سبحانه فلما كان ذلك في غاية الظهور كان كالمذكور الثاني الرجع مصدر رجعت
الشيء اذا رددته والكناية في قوله على رجعه الى اي شيء يرجع فيه وجهان احدهما وهو الاقرب انه
راجع الى الانسان والمعنى ان الذي قدر على خلق الانسان ابتداء وجب ان يقدر بعد موته على رده حيا
وهو كقوله قل يحييها الذي انشاها اول مرة وثانيهما ان الضمير غير عائد الى الانسان ثم قال مجاهد
قادر على ان يرد الماء في الاحليل وقال الضحاك قادر على ان يرد الماء في الصلب ثم انه تعالى لما اقام الدلالة
على صحة القول بالبعث وصف حاله في ذلك اليوم فقال تعالى يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر وفيه
مباحث الاول يوم منصوب برجعه ومن جعل الضمير في رجعه للماء وفسره برجعه الى مخرجه من الصلب والترائب
او الى الحالة الاولى نصب الظرف بقوله فما له من قوة اي ما له من قوة ذلك اليوم والثاني تبلى اي
تختبر والسرائر ما اسر في القلوب من العقائد والنيات وما اخفي من الاعمال وفي كيفية الابتلاء
والاختبار ههنا اقوال احدها ما ذكره القفال يعني الاختبار ههنا ان اعمال الانسان يوم يعرض عليه
وينظر ايضا في الصحيفة التي كتبت الملائكة فيها تفاصيل اعمالهم وثانيها ان الافعال انما يستحق
عليها الثواب والعقاب لوجوهها فرب فعل يكون ظاهره حسنا وباطنه قبيحا وربما كان بالعكس
فاختبارها ما يعتبر بين تلك الوجوه المتعارضة وثالثها وهو قول ابي مسلم بلوت يقع على اظهار
الشيء ويقع على امتحانه ونبلوا اخباركم والسرائر عند الكل التي تكون بين الله تعالى وبين العبد
تختبر يوم القيامة حتى يظهر خيرها من شرها الثالث دلت الاية على انه لا قوة للعبد ذلك اليوم لان قوة
الانسان اما ان تكون لذاته واما ان تكون من غيره والاول منفي بقوله فما له من قوة والثاني منفي بقوله ولا ناصر
ولا شك انه زجر عظيم الثالث ان يتمسك هذه الاية في نفي الشفاعة كقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس
عن نفس شيئا الاية والكلام فيه قد تقدم قوله تعالى **والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع**
انه لقول فصل وما هو بالهزل انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا فمهل الكافرين امهلهم

رويدا

46

رويدا انه تعالى لما اشار الى دلالة التوحيد والمعاد اقسم قسما آخر اما قوله والسماء ذات الرجع
قال الزجاج الرجع المطر لانه يجيء ويتكرر وهذا بطريق المجاز ولحسن هذا المجاز قال القفال كانه
من ترجيع الصوت وهو اعادته ووصل الحروف به وقيل ان العرب يزعمون ان السحاب يحمل الماء من
بحار الارض ثم يرجعه الى الارض وقيل انهم ارادوا التفاؤل فسموه رجعا ليرجع ثم لاهل التفسير فيه
اقوال قال ابن عباس والسماء ذات الرجع اي ذات المطر يرجع المطر بعد مطر وقال ابن زيد هو انها ترد و
ترجع شمسها وقمرها بعد مغيبها اما قوله والارض ذات الصدع فاعلم ان الصدع هو الشق قال تعالى
يومئذ يصدعون اي يتفرقون وفيه من الاقوال قال ابن عباس رضي الله عنه تنشق بالنبات والاشجار وقال
مجاهد الجبال لان بينهما شقا وطرقا نافذة كما قال تعالى وجعلنا فيها فجاجا سبلا وقال الليث الصدع
نبات الارض لانه يصدع الارض سمي صدعا لانه صادع ثم انه تعالى كما جعل كيفية خلقة الحيوان دليلا
على معرفة المبدأ والمعاد جعل كيفية خلقة النبات دليلا فالسماء ذات الرجع كالاب والارض ذات الصدع
كالام وكلاهما منهم من النعم العظام كما تقدم ثم انه تعالى اردف هذا القسم بالمقسم عليه فقال انه لقول فصل
والبحث الاول وهو ان الضمير في انه راجع الى ان ما اخبركم به من قدرته على الاحياء في يوم تبلى السرائر
فيه قول فصل وحق وهو قول القفال وقيل انه عائد الى القرآن اذ القرآن فاصل بين الحق والباطل
والبحث الثاني فيه قول فصل اي حكم ينفصل به الحق عن الباطل يقال هذا قول فصل اي قاطع وقيل
معناه انه جد لقوله وما هو بالهزل اي باللعب ثم قال انهم يكيدون كيدا وذكر الكيد على وجوه
منها بالقاء الشبهات كقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا ومنها بالطعن فيه بكونه ساحرا ومنها بالقصد لقتله
كما قال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك ثم قال تعالى واكيد كيدا واعلم ان الكيد في حقه تعالى
محمول على وجوه منها دفعه كيد الكفرة بنصرة النبي عليه السلام واعلاء درجته ومنها هو امهاله اياهم
على كفرهم ثم قال فمهل الكافرين اي لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل ثم انه تعالى لما امره بامهالهم بين ان ذلك
قليل فقال امهلهم رويدا ورويد في كلام العرب على ثلاثة اوجه منها ان يكون اسما للامر كقولك
رويد زيدا تريد ارود زيدا اي خله ودعه وارفق به ومنها ان يكون بمنزلة سائر المصادر فيضاف

الى ما بعده كما يضاف المصدر تقول رويد زيد ومنها ان يكون نعتا منصوبا كقولك ساروا سيرا رويدا
ويقال ساروا رويدا بحذف المنعوت والذي في الآية هو هذا الثالث لانه يجوز ان يكون نعتا للمصدر
كانه قال امهالا رويدا ويجوز ان يكون للحال اي امهلهم غير مستعجل سورة سبح مكية وهي تسع
عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر
فهدى والذي اخرج المرعى فجعله غثاء احوى اما نظم هذه السورة بما قبلها فظاهر لانه
تع امر نبيه بالعمل في آخر تلك السورة فقال امهلهم رويدا ثم امر بالعمل وهو التسبيح فقال سبح اسم
ربك فكانه تع قال امهلهم فلتدروكن على التسبيح فانهم اعرضوا عنه اما قوله تع سبح اسم ربك الاعلى
ففيه مباحث الاول في اسم ربك قولان احدهما ان المراد هو الامر بتنزيه اسم الله سبحانه وتقدس
وثانيهما ان الاسم صلة والمراد الامر بتنزيه الله سبحانه اما على الاول ففي اللفظ احتمالات احدها
المراد نزه اسم ربك عن ان يسمى به غيره فيكون ذلك نهيا عن ان يدعى غيره باسمه وثانيها ان لا يفسر
اسماءه بما لا يصح ثبوته في حقه تع فلا يجوز ان يفسر الاعلى بالعلو في المكان والاستواء بالاستقرار بل
يفسر العلو بالقهر والاقتدار والاستواء بالاستيلاء وثالثها ان يصان عن الابتذال والذكر لا على وجه
الخضوع والخشوع والتعظيم ورابعها ان يكون المراد سبح اسم ربك اي مجده بالاسماء التي انزلتها
عليك كما في قوله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن والمقصود من هذا التأويل ان يكون سبح اسم ربك
اي قل باسم ربك قال الفراء لا فرق بين سبح اسم ربك وبين سبح باسم ربك ومنهم من فرق بينهما فان
التسبيح باسم ربك هو التنزيه بذكر اسمه وتسبيح الاسم هو تنزيه الاسم عن السوء وخامسها في قول ابي مسلم المراد
بالاسم هنا الصفة وكذا في قوله تع ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها واما على الوجه الثاني وهو ان يكون
الاسم صلة ويكون المعنى سبح ربك وهو اختيار اهل التحقيق لانه لا معنى لتنزيه الاسم من حيث هو
الاسم لكن المذكور اذا كان في غاية العظمة لا يذكر هو بل يذكر اسمه فيقال سبح اسمه ومجد ذكره
والمعنى هو تنزيه الله تع عن جميع ما لا يليق به في ذاته وفي صفاته وفي افعاله وفي اسمائه وفي احكامه اما
في الذات فان يعتقد انها ليست من الجواهر والاعراض واما في الصفات فان يعتقد انها ليست محدثة

ولا متناهية واما في الافعال فان يعتقد انه مالك مطلق فلا اعتراض لاحد عليه البتة واما
في الاسماء ان لا يذكر الله سبحانه الا بالاسماء التي ورد التوقيف بها الثاني من الناس من تمسك بهذه الآية
في ان الاسم نفس المسمى وهذا من جملة ما يفتقر الى تحرير البحث بان الاسم ما هو والمسمى ما هو فان
ما يكون مشهورا من الاسم والمسمى فذلك من جملة ما يذهب اليه العاقل ان هذا غير ذلك ثم هنا
دقيقة وهي لفظ الاسم اسم لما يدل على معنى غير مقترن بزمان والاسم كذلك فيكون الاسم اسما لنفسه
فح يكون الاسم نفس المسمى فلعل السلف ذكروا ذلك فاشتبه الامر على من هو بعدهم الثالث روى
عن عقبة بن عامر انه لما نزل قوله تع فسبح باسم ربك العظيم قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها
في ركوعكم ولما نزل قوله تع سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وانه يدل على ان المراد من
قوله تع سبح اسم ربك اي صل باسم ربك الرابع قرا علي وابن عمر رضي الله عنهما سبحان ربي الاعلى الذي
خلق فسوى الخامس تمسك المجسمة في اثبات العلو بقوله ربك الاعلى وقد مر من قبل ان العلو بالجهة
على الله سبحانه محال فلا نعيده مرة اخرى ومما يؤكد ذلك ان ما قبل هذه الآية وما بعده ينافي ان يكون
المراد هو العلو بالجهة اما ما قبل الآية فلان العلو عبارة عن كونه في غاية البعد عن العالم وهذا لا يناسب
استحقاق التسبيح والثناء والتعظيم واما ما بعد الآية فلانه اردف قوله الاعلى بقوله الذي خلق فسوى
والخالقية يناسب العلو بحسب القدرة لا العلو بحسب الجهة السادس لا يقال الآية تدل على انه
اعلى من رب آخر فان الآية لا تدل على انه سبحانه وتعالى اعلى من رب آخر وهذا هو المانع من ذلك
وهو انه اعلى من رب آخر والدال على الاعم لا يكون دالا على الاخص ثم فيه من التأويلات احدها انه اعلى
واجل واعظم من جميع ما يصفه الواصفون ويذكره الذاكرون وثانيها ان قوله الاعلى تنبيه على
انه تع يستحق التنزيه من كل نقص وثالثها ان يكون المراد بالاعلى هو العالي السابع روي انه
عليه السلام كان يحب هذه السورة ويقول لو علم الناس علم سبح اسم ربك الاعلى لرددها احدهم
ست عشرة مرة والله اعلم قوله تعالى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى انه تع لما امر بالتسبيح
فكان قائلا قال الاشتغال بالتسبيح انما يكون بعد المعرفة فما الدليل على وجود الرب فقال الذي خلق

فسوّى والذي قدر فهدى واعلم بان الاستدلال بالخلق والهداية هو الطريق المعتمد عند
اكابر الانبياء الا انه تع حكى عن ابراهيم عليه السلام انه قال الذي خلقني فهو يهدين ثم موسى عليه السلام
في جواب من ربكما انه قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ثم فيه مباحث الاول قوله تعالى
خلق فسوى يحتمل ان يريد الناس خاصة ويحتمل ان يريد جميع الحيوانات ويحتمل ان يريد كل شيء
خلقه اما من حمله على الانسان فقد ذكر في التسوية وجوها منها انه جعل قامته مستوية وخلقته
حسنة على ما قال ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ومنها ان كل حيوان فانه مستعد لنوع
واحد من الاعمال فقط واما الانسان فانه خلق بحيث يمكنه ان ياتي بجميع افعال الحيوانات بواسطة الالات
ومنها انه هيأه للتكليف والقيام باداء العبادات واما من حمله على جميع الحيوانات فقال المراد انه اعطى كل
حيوان ما يحتاج اليه من اعضاء وآلات وحواس وقد مر الكلام في هذا الباب في مواضع من هذا
الكتاب واما من حمله على جميع المخلوقات فقال المراد بالتسوية هو انه تع قادر على جميع الممكنات عالم بجميع المعلومات
يخلق ما اراد الثاني قراء الجمهور قدر مشددة وقرأ الكسائي مخففة اما بالتشديد فالمعنى انه
قدر كل شيء بمقدار معلوم واما بالتخفيف فقال القفال معناه ملك فهدى وتأويله انه خلق فسوى
وملك ما خلق اي تصرف فيه كيف شاء ومنهم من قال هما لغتان بمعنى واحد الثالث ان قوله تع قدر يتناول
جميع المخلوقات في ذواتها وصفاتها من السموات والارضين والنباتات وغير ذلك فانه قدر لكل واحد
منها من البقاء مدة معلومة ومن الالوان والكيفيات والطعوم والروائح والحسن والقبح والسعادة
والشقاوة مقدارا معلوما على ما قال وان من شيء الا عندنا خزائنه الاية وتفصيل هذه الجملة مما
لا يفي بشرحه الا جميع العالم اما قوله فهدى فالمراد ان كل مزاج مستعد لقوة خاصة وكل قوة
فانها لا تصلح الا لفعل معين فالتسوية والتقدير معناه عبارة عن التصرف في الاجزاء الجسمانية وتركيبها
على وجه خاص لاجله يستعد لقبول تلك القوى وقوله تع فهدى عبارة عن خلق تلك القوى في تلك
الاعضاء بحيث تكون كل قوة مصدرا لفعل معين وللمفسرين فيه وجوه قال مقاتل هدى الذكر
للانثى كيف ياتيها وقال غيره منهم هداه لمعيشته ومرعاه وقال غيره ايضا هدى الانسان السبيل

للخير والشر والسعادة والشقاوة كما قال انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا وعن
السدي قدر مدة الجنين في الرحم ثم هداه للخروج ومنهم من قال الهداية هنا بمعنى الدعاء الى الايمان
كقوله وانك لتهدي اي لتدعو وقد دعا الكل الى الايمان ومنهم من قال وهدى اي دلهم بافعاله على
توحيده وجلال كبريائه وذلك لان العاقل يرى في العالم افعالا محكمة متقنة فهي لا محالة تدل على
الصانع القديم وبالجملة ففيه احوال كثيرة وهي على كثرتها منقسمة الى قسمين وذلك لانه يحمل على
ما يتعلق بالدين كقوله تع فهديناه النجدين او يحمل على ما يتعلق بالدنيا والاول اولى لان قوله خلق
فسوى يرجع الى احوال الدنيا قوله تع والذي اخرج المرعى انه تع لما بين ما يختص بالناس اتبعه
بذكر ما يختص به غير الناس من النعم فقال والذي اخرج المرعى اي هو القادر على انبات العشب والمرعى ما تخرجه
الارض من النبات والثمار والزروع فقال ابن عباس رضي الله عنه المرعى الكلأ الاخضر ثم قال
فجعله غثاء احوى والغثاء ما يبس من النبات فحملته المياه وقال قطرب واحد الغثاء غثاءة واما
الحوة فهي السواد ومنهم من قال هو الذي يضرب الى السواد اذا اصابته رطوبة وفيه قولان
احدهما انه نعت الغثاء اي صار بعد الخضرة يابسا فتغير الى السواد وذلك لان العشب يجف
عند استيلاء البرد ومن شان البرودة ان تبيض الرطب وتسود اليابس وثانيهما وهو اختيار
الفراء وابي عبيدة هو ان يكون الاحوى الاسود لشدة خضرته كما قيل مدهامتان اي سوداوان
لشدة خضرتهما قوله تع سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى انه تعالى
لما امر محمدا صلى الله عليه وسلم بالتسبيح وعلم ان ذلك التسبيح لا يكمل الا بقراءة ما انزل الله عليه فلا جرم كان
يتذكر القرآن في نفسه مخافة ان ينسى فازال الله ذلك الخوف عنه فقال سنقرئك فلا تنسى والبحث الا
فيه قال الواحدي سنقرئك اي سنجعلك قارئا فلا تنسى ما تقرؤه قال مجاهد ومقاتل والكلبي كان عليه السلام
اذا انزل عليه القرآن اكثر تحريك لسانه مخافة ان ينسى فقال تع سنقرئك فلا تنسى اي سنعلمك هذا
القرآن حتى تحفظه وفي كيفية ذلك الاستقراء وجوه الاقرب منها هو انا نشرح صدرك ونقوي خاطرك
حتى تحفظ بالمرة الواحدة حفظا لا تنساه ثم حفظه لهذا الكتاب المطول من غير دراسة ولا تكرار

ولا كتابة بل خارق للعادة فيكون معجزا اما قوله فلا تنسى فقال بعضهم فلا تنسى معناه النهي
والالف مزيدة للفاصلة كقوله السبيلا يعني فلا تغفل عن قراءته وتكراره الا ما شاء الله والقول المشهور
انه خبر وهو الاقرب فان جعل الالف مزيدة على خلاف الاصل وكذلك الفاصلة ولان فيه التعظيم وذلك
معزل عن التعظيم اما قوله الا ما شاء الله ففيه احتمالان احدهما ان يقول هذا الاستثناء غير حاصل في
الحقيقة لانه عليه السلام لم ينس بعد نزول هذه شيئا بل الغرض منه التبرك بذكر هذه الكلمة على ما
قال تعالى ولا تقولن لشيء الاية وقال الفراء المقصود من ذكر هذا الاستثناء بيان انه تعالى لو اراد ان يصير ناسيا
لذلك لقدر عليه كما قال تعالى ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ثم انا نقطع بانه تعالى ما شاء ذلك
وثانيهما ان الاستثناء في الحقيقة وفيه وجوه احدها قال الزجاج الا ما شاء الله ان تنسى فانه قد تنسى
ولكنه يتذكر وثانيها قال مقاتل الا ما شاء الله ان ينسيه والمراد من الانساء هنا نسخه كما قال ما ننسخ
من آية او ننسها فيكون المعنى الا ما شاء الله ان ينساه على الاوقات كلها وثالثها ان يكون قوله الا
ما شاء الله القلة والندرة ويشرط ان لا يكون ذلك القليل من واجبات الشرع بل من الاداب والسنن
فانه لو نسي شيئا من الواجبات ولم يتذكر ادى ذلك الى الخلل في الشرع اما قوله انه يعلم الجهر وما يخفى
ففيه وجوه احدها ان المعنى انه سبحانه عالم بجهرك في القراءة مع قراءة جبريل عليه السلام وعالم بالسر
الذي في قلبك وهو انك تخاف النسيان وثانيهما ان يكون المعنى فلا تنسى الا ما شاء الله فانه يعلم
بمصالح العبيد فينسخ حيث يعلم ان المصلحة في النسخ اما قوله تعالى **ونيسرك لليسرى**
ففيه مباحث الاول اليسرى هي اعمال الخير التي تؤدي الى اليسر اذا عرفت هذا فنقول للمفسرين
فيه اقوال وجوه احدها ان قوله ونيسرك معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض والتقدير سنقرئك
فلا تنسى ونوفقك للطريقة التي هي اسهل واسير في حفظ القرآن وثانيها قال ابن مسعود رضي الله عنه
اليسرى الجنة والمعنى نيسرك للعمل المؤدي اليها وثالثها نهون عليك الوحي حتى تحفظه وتعلمه
وتعمل به ورابعها نوفقك للشريعة الحنيفية السهلة والسمحة والوجه الاول اقرب الثاني لقائل
ان يقول العبارة المعتادة ان يقال جعل الفعل الفلاني ميسرا للفلان ولا يقال فلان ميسر

للفعل الفلاني فما الفائدة في ترك تلك العبارة فنقول فيه لطيفة علمية وذلك لان ذلك الفعل
في نفسه ممكن فيكون وجوده وعدمه بالنسبة اليه على السواء ولما كان كذلك فلا يمكن ان يصدر
من الفاعل الا بترجيح احد جانبي الفعل والترك وذلك هو التيسير فظهر ان الفاعل في الحقيقة يصير
ميسرا للفعل الثالث انما قال ونيسرك لليسرى بنون التعظيم ليكون عظمة المعطي على عظمة
العطاء اما قوله تعالى **فذكر ان نفعت الذكرى** انه تعالى تكفل بتيسير مصالح الدنيا والاخرة امره بدعوة
الخلق فان كمال حال الانسان ان يتخلق باخلاق الله سبحانه فقال فذكر اذ الذكر تكميل الناقصين وهداية
الجاهلين ومن كان كذلك كان فياضا للكمال وكان تاما وفوق التمام وهنا سؤالات الاول انه عليه السلام
كان مبعوثا الى الكل فوجب عليه ان يذكرهم سواء نفعتهم الذكرى او لم ينفع فما المراد من تعليقه بالشرط
والجواب ان المعلق بالشيء لا يلزم ان يكون عدما عند عدم ذلك الشيء وعليه من الايات مثل قوله تعالى
واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون وقوله تعالى كذلك كان في هذا الشرط من الفوائد احدها ان من
باشر فعلا لغرض فلا شك ان الصورة التي تحصل فيها افضاء تلك الوسيلة الى ذلك الغرض كان
ذلك الفعل اوجب من الصورة التي علم عدم تلك الافضاء فلذلك كان يقول ان نفعت الذكرى وثانيها
انه تعالى ذكر اشرف الحالين ونبه على الاخرى كقوله سرابيل تقيكم الحر والتقدير فذكر ان نفعت
الذكرى او لم تنفع وثالثها ان المراد منه البعث على الانتفاع بالذكرى ورابعها ان هذا يجري
مجرى التنبيه على انه لا ينفعهم الذكرى وخامسها انه عليه السلام دعاهم الى حضرة الله تعالى كثيرا وكلما
كانت دعوته اكثر كانت عنادهم اكثر وكان عليه السلام في التحسر من ذلك فقيل له وما انت عليهم
بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فلهذا قيد بهذا القيد الثاني التعليق بالشرط انما يحسن
في حق من يكون جاهلا بالعواقب والجواب ان هذا على مثال قوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر
او يخشى وروي انه لا يتذكر ولا يخشى والظاهر ان الكلام بهذا الطريق هو الكلام بطريق العرف
والثالث هذا التذكير هل هو مضبوط مثل ان يذكرهم عشر مرات مثلا والجواب ان الضابط فيه
هو العرف اما قوله تعالى **سيذكر من يخشى** ففيه من المباحث الاول ان الانسان في امر المعاد لا يخلو

من ان يكون قاطعا بصحته او قاطعا بعدم الصحة او لا بهذا ولا بذاك ففي الاول ان يكون الخشية حاصلة
لا محالة وفي الثاني لا مجال للخشية ولا للخوف فيه وفي الثالث يمكن ولو كان كذلك لكان تفسير الاية
على قسمين احدهما ان يقال الذي يخشى هو الذي يكون عارفا بالله وعارفا بكمال قدرته وعلمه
وحكمته قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ولما كان الانتفاع بالذكرى مبنيا على حصول الخشية
في القلب وصفات القلوب مما لا اطلاع لاحد عليه الا الله سبحانه وجب على الرسول تعميم الدعوة تحصيلا للمقصود
وثانيهما ان يقال ان الخشية حاصلة للعالمين وللموقنين لا للمعاندين والغالب على الخلق المتوقفون
غير معاندين وعلى هذا التقدير يلزم ان يكون قوله تعالى فذكر ان نفعت الذكرى يوجب تعميم التذكير فان ترك
الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الثاني السين في قوله سيذكر يحتمل ان يكون بمعنى سوف يتذكر
وسوف من الله تعالى واجب ويحتمل ان يكون المعنى ان من خشي فانه يتذكر وان كان بعد حين لما يستعمله
من التدبر والنظر والله اعلم الثالث العلم انما سمي تذكرا اذا كان قد حصل العلم اولا ثم نسيه وهذه
الحالة غير حاصلة للكافر فكيف سمى الله تعالى ذلك بالتذكير والجواب انه لقوة الدلائل وظهورها كان
ذلك العلم كان حاصلا ثم انه زال بسبب التقليد والعناد فلهذا سماه الله تعالى بالتذكر الرابع قيل نزلت
هذه الاية في عثمان بن عفان وقيل نزلت في ابن ام مكتوم اما قوله تعالى **ويتجنبها الاشقى الذي**
يصلى النار الكبرى والاشقى هو المعاند كما مر في القسم الثاني من الاقسام الثلثة فلهذا
قال ويتجنبها الاشقى الذي يصلى النار الكبرى والبحث الاول فيه انهم ذكروا في تفسير النار الكبرى
وجوها منها وهو قول الحسن النار الكبرى نار الاخرة وهي نار جهنم والنار الصغرى نار
الدنيا ومنها ان في الاخرة نيرانا متفاضلة كما ان الكافر اشقى العصاة كان ناره اعظم النيران
ومنها ان الكبرى هي النار السفلى على ما قال ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار الثاني
قالوا نزلت هذه الاية في الوليد وعتبة وابي وانت تعلم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب الثالث لقائل ان يقول انه تعالى ذكر الذي يخشى والذي لا يخشى اصلا وهو الاشقى لكن
وجود الاشقى يستدعي وجود الشقي فكيف حاله فالجواب ان لفظ الاشقى لا يستدعي وجود الشقي

اذ قد يجري مثل هذا اللفظ من غير مشاركة كقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن
مقيلا وقيل المعنى ويتجنبها الشقي الذي يصلى كما في قوله وهو اهون عليه اي هين عليه ومثله
قول القائل ان الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه اعز واطول هذا ما قيل لكن التحقيق
هو الذي مر ذكره ان الكافر والمتوقف والمعاند يعني السعيد والشقي والاشقى اما قوله **ثم لا يموت**
فيها ولا يحيى ففيه بحثان الاول وذلك على وجهين احدهما لا يموت فيستريح ولا يحيى حيوة تنفعه
وعلى مذهب العرب يقول للمبتلى بالبلاء الشدائد لا هو حي ولا هو ميت وثانيهما معناه ان
نفس كل واحد منهم في النار تصير في مضيق لا تخرج للموت ولا ترجع الى ما كانت عليه من قبل الثاني انما قيل ثم
لان هذه الحالة افظع واعظم من الصلي فهو متراخ عنه في مراتب الشدة اما قوله تعالى **قد افلح**
من تزكى ففيه وجهان احدهما انه تعالى لما ذكر وعيد المعرض عن النظر في دلائل الله تعالى اتبعه بالوعد
لمن تزكى وتطهر من دنس الشرك وثانيهما وهو قول الزجاج تكثر من التقوى ويعني الزكي النامي
الكثير وانه مقصد بقوله تعالى قد افلح المؤمنون الاية والقول الاول اقرب فانه متصل بما قبل الاية وهو
الكفر فيكون معناه قد افلح من تزكى عن الكفر الذي مر ذكره ولان المطلق ينصرف الى الكامل واكمل
انواع التزكية هو تزكية القلب عن ظلمة الكفر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال معنى من تزكى قول
لا اله الا الله اما قوله تعالى **وذكر اسم ربه فصلى** ففيه مباحث الاول ذكروا فيه وجوها احدها
وهو قول ابن عباس رضي الله عنه ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له وهذا على حسب مراتب اعمال
المكلف فانها على اقسام اولها ازالة العقائد الفاسدة عن القلب والمراد بالتزكية في قوله تعالى قد افلح
من تزكى وثانيها استحضار معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وهو المراد بقوله وذكر اسم ربه وثالثها
الاشتغال بخدمته وهو المراد بقوله فصلى والصلوة عبارة عن الخضوع فمن استنار قلبه بمعرفة
جلال الله لا بد وان يظهر في جوارحه واعضائه اثر الخضوع والخشوع وثانيها قال قوم من
المفسرين قد افلح من تزكى يعني من تصدق قبل مروره الى العيد وذكر اسم ربه فصلى يعني ثم
صلى صلوة العيد وهذا قول ابن عمر وعكرمة وروى ذلك مرفوعا الى النبي عليه السلام **ولقائل** ان يقول

هذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيد اجاب الواحدي بانه لا يمتنع ان يقال لما كان في معلوم الله
ان ذلك سيكون اثنى على من فعل ذلك وثالثها قال مقاتل قد افلح تصدق من ماله وذكر ربه في التوحيد
في الصلوة فصلى له يريد الزكوة والصلوة المفروضة ورابعها المراد منه ذكر الاعمال الا زكوة المال
وخامسها ذكر اسم ربه اي كبر في خروجه الى العيد وصلى صلوة العيد وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما
ثم قال تعالى **بل تؤثرون الحيوة الدنيا** وفيه قراأتان قراءة العامة بالتاء ويؤكده حرف ابي اي بل انتم
تؤثرون عمل الدنيا على عمل الاخرة وقراءة ابي عمرو يؤثرون بالياء يعني الاشقى ثم قال تعالى **والاخرة خير
وابقى** وهذا ظاهر فان الاخرة مشتملة على السعادة الجسمانية والروحانية والدنيا ليست كذلك
وايضا الاخرة خالية عن الالام والاسقام بخلاف الدنيا وايضا الاخرة باقية والدنيا فانية قال تعالى
ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى منهم من قال هذا اشارة الى جميع السورة وذلك
لان السورة مشتملة على التوحيد والنبوة والوعد والوعيد ومنهم من قال بل هو اشارة الى قوله
قد افلح من تزكى الى قوله والاخرة خير وابقى وذلك لان قوله تعالى قد افلح من تزكى اشارة الى تطهير النفس
عن كل ما لا ينبغي اما في القوة النظرية فعن جميع العقائد الفاسدة واما في القوة العملية فعن جميع الاخلاق
الذميمة وقوله تعالى وذكر اسم ربه اشارة الى تكميل الروح بمعرفة الله تعالى وقوله فصلى الى تكميل الجوارح
وتزيينها بطاعة الله وقوله تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا اشارة الى الزجر عن الالتفات الى الدنيا وقوله
تعالى والاخرة خير وابقى اشارة الى الترغيب في الاخرة وفي ثواب الله وهذه امور لا يجوز ان تختلف
باختلاف الشرايع فلهذا قال ان هذا لفي الصحف الاولى ومنهم من قال انه اشارة الى قوله والاخرة خير
وابقى اذ هو الاقرب واما قوله لفي الصحف الاولى فعند قوم منهم المراد انه مذكور في صحف جميع الانبياء
التي صحف ابراهيم وموسى **سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون اية** بسم الله الرحمن الرحيم
**هل اتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية
تسقى من عين انية ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع وجوه
يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها**

سر

سرر مرفوعة واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة اعلم اولا ان
اتصال هذه السورة بما قبلها في غاية الظهور لما ان تلك السورة مشتملة على الترغيب في
الاخرة وهذه السورة مشتملة على وصف الاخرة اما قوله هل اتاك حديث الغاشية فالغاشية
هي القيمة من قوله يوم يغشاهم العذاب وانما سميت القيمة بهذا الاسم لانها تغشى الناس جميعا
من الاولين والاخرين ومنهم من قال الغاشية اهل النار يغشونها ويقعون فيها والاول اقرب
والبحث الاخر فيه هو انه تعالى لما قال هل اتاك وذلك لانه عرف الرسول من حالها وحال الناس فيها
ولم يكن هو ولا قومه عارفا به على التفصيل فلما عرفه تعالى تفصيل تلك الاحوال قال هل اتاك
حديث الغاشية اما قوله وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة فاعلم انه وصف لاهل الشقاوة
وفيه من المباحث الاول المراد بالوجوه اصحاب الوجوه وهم الكفرة وهو كقوله وجوه يومئذ باسرة
خاشعة اي ذليلة قد علاهم الخزي والهوان كما قال تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم
واما العاملة فهي التي تعمل الاعمال الثاني الوجوه الممكنة في هذه الصفات لا يزيد على ثلثة لانها باسرها
حاصلة في الاخرة او باسرها حاصلة في الدنيا او بعضها في الاخرة وبعضها في الدنيا فالاول
هو ان هؤلاء الكفار يكونون يوم القيمة خاشعين اي ذليلين وذلك لانها في الدنيا تكبرت
عن عبادة الله تعالى وعاملين لانها تعمل في النار عملا تتعب فيه وهو جر السلاسل والاغلال
والثاني قيل هم اصحاب الصوامع من اليهود والنصارى وعبدة الاوثان والمجوس والمعنى
انها خشعت لله وعملت ونصبت في اعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب وغير
ذلك والثالث هو انها خاشعة في الاخرة مع انها كانت في الدنيا عاملة ناصبة والمعنى
انها لم ينتفع بعملها ونصبها في الدنيا ولا يمتنع وصفهم ببعض اوصاف الاخرة ثم يذكر بعض اوصاف
الدنيا ثم يعاد الى ذكر الاخرة وقيل انها خاشعة عاملة في الدنيا ولكنها ناصبة في الاخرة
فخشوعها في الدنيا خوفها الداعي الى الاعراض عن لذات الدنيا وطيباتها ونصبها في الاخرة
مقاساة العذاب ثم انه تعالى بعد ان وصفهم بهذه الصفات شرح كيفية مكانهم ومشربهم ومطعومهم

[illegible] في عمله اي جهد وتعب

اما مكانهم فقوله تعالى تصلى نارا حامية يقال صلي بالنار يصلى اي لزمها واحترق بها
وقرئ بنصب التاء وقد دل عليه قوله تعالى الا من هو صال الجحيم وقرا ابو عمرو وعاصم برفع التاء من
اصليته النار لقوله تعالى وتصلية جحيم وقرا قوم وتصلى بالتشديد وقيل المصلي عند العرب
ان يحفروا حفيرا فيجمعوا فيه جمرا كثيرا ثم يعمدوا الى شاة فيدسوها وسطه فلو كان على خلاف هذا ودس الشيء في ... اخفاه فيه
كما على المقلى او في التنور مثلا فلا يسمى مصليا وقوله تعالى حامية اي قد اوقدت واحميت المدة
الطويلة واما مشروبهم فقوله تعالى تسقى من عين آنية الآني الذي قد انتهى حره من الايناء بمعنى التاخر
ونظيره قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن قالوا ان حرها بلغ الى حيث لو وقعت منها قطرة
على جبال الدنيا لذابت واما مطعومهم فقوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع وفي الضريع اقوال
منها قال الحسن رحمه الله لا ادري ما الضريع ولم اسمع فيه من اصحابه شيئا ومنها ما روي عن الحسن ايضا
الضريع بمعنى المضرع كالاليم بمعنى المولم ومنها ان الضريع ما يبس من الشبرق وهو نوع من
الشوك ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس فهو سم قاتل وهذا قول اكثر المفسرين ومنها وهو قول
الخليل يقال للجلدة التي على العظم تحت الجلد هي الضريع فكانه تعالى وصفه بالقلة فلا جرم لا يسمن و
لا يغني من جوع قال القفال والمقصود من ذكر هذا الشراب وهذا الطعام بيان نهاية ذلهم ثم لقائل ان
يقول كيف هو وقد قال فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين والجواب ان النار دركات
فمن اهل النار من طعامه الزقوم ومنهم من طعامه الغسلين ومنهم من طعامه الضريع والجواب
الاخر هو انه يحتمل ان يكون الغسلين من الضريع ولا يقال كيف يوجد النبت في النار فان هذا ضرب
مثل لان الضريع ينبت في النار اما قوله تعالى لا يسمن ولا يغني من جوع فهو مرفوع المحل او مجرور
على وصف طعام او ضريع واما المعنى ففيه وجوه منها ان طعامهم ليس من جنس مطاعم الانس
فان مطاعم الانس من جملة ما ينفع وذلك من جملة ما يضر ومنها ان يكون المعنى لا طعام
لهم اصلا لان الضريع ليس بطعام للحيوان فضلا عن ان يكون طعاما للانسان ومنها انه لما
قريش قالوا ان الضريع يسمن ابلنا فنزلت الاية انها لا يسمن والمعنى ان طعامهم من ضريع

ليس من جنس ضريعكم انما هو من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع قوله تعالى وجوه يومئذ
ناعمة اعلم انه تعالى لما ذكر وعيد الكفار اتبعه بذكر احوال المؤمنين فذكر وصف اهل الثواب اولا ثم وصف
دار الثواب ثانيا اما الاول فقال من احدهما في ظاهرهم وقوله ناعمة اي ذات بهجة وحسن لقوله تعالى
تعرف في وجوههم نضرة النعيم وثانيهما قوله لسعيها راضية وفيه وجوه احدها انهم
حمدوا سعيهم واجتهادهم لله لما فازوا بسببه من العاقبة الحميدة وثانيها المراد لثواب سعيها
في الدنيا راضية اذا شاهدوا ذلك الثواب واما الثاني فاعلم انه وصف دار الثواب بامور سبعة
احدها في جنة عالية والعلو قد يكون في المكان وذلك هو الجنة لان الجنة درجات بعضها فوق
بعض وقد يكون في الشرف وثانيها لا تسمع فيها لاغية وفيه ثلث قراآت قرئ عاصم وحمزة و
الكسائي بالتاء على الخطاب والمخاطب يحتمل ان يكون هو الرسول عليه السلام ويحتمل ان يكون
هذه التاء عائدة الى الوجوه والمعنى لا تسمع فيها لاغية وقرا نافع بالتاء ايضا مرفوعة على ان
التانيث على لاغية وقرا ابن كثير وابو عمرو بالياء مضمومة على التذكير لاغية وذلك جائز لان
المراد باللاغية اللغو فالتانيث على اللفظ والتذكير على المعنى واما اللاغية فلاهل اللغة فيها
ثلثة اوجه احدها يقال لغى يلغو لغوا ولاغية فاللاغية واللغو بمعنى واحد وثانيها ان يكون
صفة والمعنى لا تسمع كلمة لاغية وثالثها وهو قول الاخفش لاغية اي كلمة ذات لغو كما يقال
دارع لصاحب الدرع ثم لاهل التفسير وجوه منها ان الجنة منزهة عن اللغو لانها منزل جيران
الله تعالى وهو قول القفال ومنها وهو قول الزجاج لا يتكلم اهل الجنة الا بالحكمة والثناء على الله تعالى
على ما رزقهم من النعيم الدائم ومنها وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما يريد لا تسمع فيها كذبا وبهتانا
ولا كفرا ومنها لا يسمع بعضهم من بعض الحلف عند الشراب كما يحلف اهل الدنيا اذا شربوا الخمر
ومنها ان اللغو ما لا فائدة فيه وثالثها قوله تعالى فيها عين جارية قال رحمه الله في الكشاف يريد
عيونا في غاية الكثرة وقال القفال رحمه الله فيها عين شراب جارية يجري لهم كما ارادوا وقال رحمه الله
لا ادري بماء او غيره ورابعها فيها سرر مرفوعة اي عالية في الهواء لمشاهدة ما اعطاه ربه

في الجنة وخاصيتها واكواب موضوعة الاكواب الكيزان التي لا عرى لها موضوعة اي معدة لاهلها
وقيل موضوعة بين ايديهم لاستحسانهم اياها لكونها من الذهب والفضة او من الجواهر وسائرها
ونمارق مصفوفة والنمارق هي الوسائد واحدها نمرقة وعن الفراء نمرقة بكسر النون وسائرها
وزرابي مبثوثة يعني البسط واحدها زربية وزربي بكسر الزاء مبثوثة اي مبسوطة او
مفرقة في المجالس قوله تعالى **افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت**
والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت انه تعالى لما حكم بمجيء يوم القيمة وقسم اهل القيمة الى
قسمي السعداء والاشقياء ووصف احوال الفريقين فيها وكان ذلك مفتقرا الى اثبات الصانع القديم الحكيم
لا جرم اتبع ذلك بذكر الدلالة عليه فقال افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ووجه الاستدلال بهن
ان الاجسام متساوية في الجسمية فاختصاص كل واحد منها بوصف معين يمتاز به كل الوصف عن
الآخر لا بد وان يكون بتخصيص مخصص عالم قادر وهو الصانع تعالى وتقدس ثم انا نرى الناس بعضهم محتاجا
الى البعض فان الانسان الواحد لا يمكنه القيام بمهمات نفسه بل لا بد من الغير حتى يكون كل واحد
منهم مشغولا بمهم آخر فينتظم من مجموعهم مصلحة كل واحد منهم وذلك الانتظام لا يمكن الا
بضابط يضبطهم وهو التكليف المشتمل على الوعد والوعيد وذلك لا يحسن الا بالبعث والقيمة
والجنة والنار فلهذا اشار الى هذه الدلالة **فان قيل** فاي مجانسة بين الابل والسماء والجبال
والارض **فنقول** هذه الدلالة لا يكون مخصوصة بهذه الاشياء الا باعتبار مشترك الكون فانه من
الاشياء من جملة ما يرونه نهارا اي عيانا وانما الاستدلال بمثل هذه الاشياء اظهر بالنسبة الى الغير
وانما قدم الابل فان الابل له اشكال عجيبة وخواص غريبة ومعرفة العرب باحواله واشكاله وغرايبه
وعجايبه اكثر بالنسبة الى سائر الحيوانات ثم الحيوانات على انواع كثيرة بعضها للاكل لحمه وبعضها
لشرب لبنه وبعضها لحمل الانسان في الاسفار لنقل امتعة الانسان من بلد الى بلد وبعضها
ليتزين به الراكب وهذه المنافع باسرها حاصلة في الابل وقد اباه الله تعالى ذلك بقوله اولم يروا
انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون الآية وبقوله والانعام خلقها لكم فيها

دفء ومنها تأكلون الى قوله تعالى الا بشق الانفس ثم هذه الخصال لا يجتمع في واحد من سائر الحيوانات
وانه في كل واحد من هذه الخصال افضل من الحيوان الذي لا يوجد فيه الا تلك الخصلة
وكيف وانه كثير اللحم كثير اللبن كثير القوة في احتمال المداومة على السير والصبر والعطش والاجتزاء
من العلوفات ومع كونها في غاية القوة على العمل مبائنة لغيره في الانقياد والطاعة لاضعف الحيوانات
كالصبي مثلا وانه اعظم الحيوانات وقعا عند العرب والعرب اعرف الناس باحواله في صحته ومرضه
ومنافعه ومضاره فلهذه الاسباب حسن من الصانع الحكيم ان يأمر بالنظر اي بالفكر في خلقه
ثم قال تعالى والى السماء كيف رفعت اي رفعا بعيد المدى من غير امساك وغير عمد والى الجبال كيف
نصبت نصبا ثابتا فهي راسخة غير مائلة ولا زائلة والى الارض كيف سطحت سطحا بتمهيد
وتوطئة فهي مهاد للمتقلب عليها ثم من الناس من استدل بهذا على ان الارض ليست بكرة وذلك ضعيف
لما قررناه من قبل ان الكرة اذا كانت في غاية العظمة يكون كل قطعة منها كالسطح وقرئ على ضم
خلقت ورفعت ونصبت وسطحت على البناء للفاعل والتقدير فعلتها فحذف المفعول المقام الثاني
في بيان ما بين هذه الاشياء من المناسبة اعلم ان من الناس من فسر الابل بالسحاب قال في الكشاف ولعله
لم يرد ان الابل اسماء السحاب كالمزن والغيم والغين وغير ذلك وانما رأى السحاب مشبها بالابل
في كثير من اشعارهم فجوز ان يراد به السحاب على طريق التشبيه واما اذا حملنا الابل على مفهومه
فوجه المناسبة بينها وبين السماء والجبال والارض ان القرآن نزل على العرب وكانوا اكثر اسفارهم
عليها في المهامه القفار مستوحشين متفردين عن الناس ومن شأن الانسان اذا انفرد ان يقبل
على الفكر في الاشياء لانه ليس معه شيء ان يحادثه وليس هناك شيء يشتغل به سمعه وبصره
واذا كان كذلك لم يكن له بد من ان يجعل انه بالفكرة فاذا فكر في تلك الحال وقع بصره اولا على الجمل
الذي ركبه فيرى منظرا عجيبا واذا نظر الى فوق لم ير غير السماء واذا نظر يمينا وشمالا لم ير
غير الجبال واذا نظر الى ما تحته لم ير غير الارض وكانه تعالى امره بالنظر وقت الخلوة والانفراد عن
الغير حتى لا تحمله داعية الكبر والحسد على ترك النظر في وقت الخلوة في المفازة لا يرى شيأ سوى

هذه الاشياء فلهذا جمع الله تع بينهما في هذه الآية قوله تع فذكر انما انت مذكر لست عليهم
بمسيطر الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر ان الينا ايابهم ثم ان علينا
حسابهم انه تع لما بين الدلائل على صحة التوحيد والمعاد قال لرسوله فذكر وتذكير الرسول
يكون بذكر هذه الادلة وامثالها والبعث على النظر فيها والتحذير من ترك ذلك وذلك بعث منه تع
للرسول على التذكير والصبر على كل عارض معه وبيان انه انما بعث لذلك دون غيره قوله تع انما انت
مذكر وقوله تع لست عليهم بمسيطر قال في الكشاف بمسيطر اي بمتسلط وقيل هو في لغة تميم بفتح
الطا والمعنى انك ما امرت الا بالتذكير والكلام فيه قد تقدم عند قوله ام هم المسيطرون اما قوله تعالى
الا من تولى وكفر ففيه من الجواب الاول ومنهم من قال هذا الاستثناء حقيقي والتقدير فذكر الا من تولى
وكفر وقيل انه استثناء عن الضمير في عليهم والتقدير لست عليهم بمسيطر الا على من تولى واعرض
عليه بانه عليه السلام ما كان حينئذ مامورا بالقتال والجواب لعل المراد انك لا تصير مسلطا الا
على من تولى ومنهم من قال انه استثناء منقطع عما قبله كما تقول في الكلام قصدت العلم الا ان كثيرا
من الناس لا يرغب فكذا هاهنا التقدير لست بمستول عليهم ولكن من تولى منهم فان الله يعذبه العذاب
الاكبر الذي هو عذاب جهنم وعلامة كونه منقطعا حسن ان في المستثنى الثاني وقرئ الا من
تولى على التنبيه وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فانه يعذبه الثالث انما قال العذاب الاكبر بوجوه
منها انه قد بلغ حد عذاب الكفر قال تع ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر ومنها
هو العذاب في الدرك الاسفل من النار ومنها انه قد يكون وذلك بالقتل والسبي والاول اقرب
ثم قال ان الينا ايابهم وهذا كانه من صلة قوله فيعذبه الله العذاب الاكبر وانما ذكر الله تع
ذلك لازالة حزن الرسول عن قلبه على كفرهم ثم قال وان علينا حسابهم وفيه سؤال وهو
ان محاسبة الكفار انما يكون لايصال العقاب اليهم وذلك حق على الله تع ولا يجب على المكلف ان
يستوفي حق نفسه وذلك ان واجب عليه اما بحكم الوعد الذي لا يمكن وقوع الخلف فيه واما
الحكمة فان ترك الانتقام يوهم كونه راضيا بذلك الظلم ثم هاهنا مباحث الاول قرا ابو جعفر المدني

ايابهم بالتشديد قال في الكشاف وجهه ان يكون فيعالا مصدر ايب فيعل من الاياب او ان يكون
اصله اوابا فقالا من اوب ثم قيل ايوابا كديوانا في دوان ثم فعل به ما فعل باصل سيد فان قلت
ما فائدة تقديم الظرف قلت التشديد في الوعيد وان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام
وان حسابهم ليس بواجب الا عليه وهو الذي يحاسب النقير والقطمير لعلمه بالكل سورة
الفجر مكية وهي تسع وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم والفجر وليال عشر والشفع
والوتر والليل اذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر اما بيان النظم فذلك ان آخر تلك السورة
مشتملة على ذكر محاسبة الاعمال واول هذه السورة على حسن اعمال المؤمنين وقبح افعال الكافرين
ليعلم ان الحساب في الآخرة عذاب لاهل الكفر دون اهل الاسلام واما بيان القسم بهذه الاشياء
فالاشياء التي اقسم الله تع بها لابد وان يكون فيها اما فائدة دينية او دنيوية توجب بعثا على
الشكر او مجموعها ولهذا اختلفوا في تفسير هذه الاشياء اما قوله تع والفجر فقد ذكروا فيه وجوها
احدها ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان الفجر هو الصبح المعروف صادقا وكاذبا اقسم الله تع به لما انه
يحصل من انقضاء الليل وظهور الضوء وانتشار الناس وسائر الحيوانات في طلب الارزاق وذلك
مشابه لنشور الموتى لمن تامل ومنهم من قال المراد به جميع النهار كما في قوله تعالى
والنهار اذا تجلى وثانيها ان المراد نفس صلوة الفجر وثالثها المراد في يوم معين وهو في يوم النحر
لما فيه مناسك الحج وقيل انه في ذي الحجة لانه قرن به قوله وليال عشر وقيل انه في المحرم لانه اول يوم
من كل سنة وبه يتعلق كثير من الامور الشرعية وفي الخبر ان اعظم الشهور عند الله المحرم ورابعها
انه اراد بالفجر العيون التي تنفجر منها المياه وفيها حيوة الخلق واما قوله تعالى وليال عشر ففيه بحثان
انما جاءت بالتنكير من بين ما اقسم به لانها ليال مخصوصة بفضائل لا تحصل في غيرها
يدل على التعظيم والثاني ذكروا فيه وجوها منها انه عشر ذي الحجة ومنها انها عشر
المحرم لشرفها وفيها يوم عاشوراء ومنها العشر الاخير من شهر رمضان اقسم الله بها لشرفها
وفيها ليلة القدر واما الشفع والوتر ففيه بحثان ايضا احدهما انهما

والزكا والعامة الزوج والفرد وعند البعض من العرب الوتر بالفتح في العدد بالكسر
وعند البعض انه بالكسر فيهما وهو لغة تميم وهو قراءة ابن عباس رضي الله عنه والحسن والاعمش
والفتح قراءة اهل المدينة وهي لغة حجازية وثانيها اضطراب اهل التفسير في تفسير الشفع والوتر
والاكثر وانه والاقرب منها ان الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة اقسم الله تعالى بهما لشرفهما
وكذلك قول من قال الشفع هو يومان بعد يوم النحر والوتر هو اليوم الثالث وهذا هو الاقرب
من الاول لما ان ذلك داخل في العشر فوجب ان يكون المراد بالشفع والوتر غيرهما وثالثها الوتر
آدم شفع بزوجته وفي رواية اخرى الشفع آدم وحوا والوتر هو الله تعالى ورابعها الوتر
ما كان وترا من الصلوة كالمغرب والشفع ما كان شفعا منها وانما اقسم بها لان الصلوة
تالية الايمان وخامسها الشفع هو الخلق كله لقوله تعالى وخلقناكم ازواجا والوتر هو الله تعالى
وقد قيل فيه لا يصح ان يقال الوتر هو الله فانا نقدر قوله تعالى والفجر ورب الفجر والشفع والوتر ورب
الشفع والوتر فيجب ان لا يراد بالوتر المربوب ولانه تعالى لا يذكر مع غيره روي انه عليه السلام سمع
من يقول الله ورسوله فنهاه فقال قل الله ثم رسوله وسادسها الشفع درجات الجنة وهي ثمان
والوتر دركات النار وهي سبعة وسابعها ان شيئا من المخلوقات لا ينفك عن كونه شفعا ووترا فكانه
تعالى اقسم برب الفرد والزوج من غير خلقه وثامنها الشفع صفات الخلق كالعلم والقدرة و
العجز والجهل والحيوة والموت مثلا والوتر صفات الحق وجود بلا عدم وعلم بلا جهل وقدرة بلا عجز وحيوة
بلا موت وتاسعها المراد بالشفع والوتر نفس العدد وكانه اقسم بالحساب الذي لا بد للخلق منه
ثم بالمحاسبة يعرف مواقيت العبادات والايام والشهور وعاشرها وهو قول مقاتل الشفع هو الايام
والليالي والوتر هو اليوم الذي لا ليلة بعده وهو يوم القيمة الحادي عشر الشفع كل نبي له اسمين
هما محمد واحمد والمسيح وعيسى ويونس وذو النون والوتر كل نبي له اسم واحد مثل آدم ونوح
وابراهيم عليهم السلام الثاني عشر الشفع آدم وحواء والوتر مريم الثالث عشر الشفع العيون الاثني
عشر التي فجرها الله تعالى لموسى عليه السلام والوتر الآيات التسع التي اوتي موسى عليه السلام في قوله

ولقد

ولقد آتينا موسى تسع آيات الرابع عشر الشفع ايام عاد والوتر لياليهم لقوله تعالى سبع ليال وثمانية
ايام حسوما الخامس عشر الشفع البروج الاثني عشر والوتر الكواكب السبعة السادس عشر الشفع الشهر
الذي يتم ثلثين يوما والوتر الذي تسعة وعشرين السابع عشر الشفع الاعضاء والوتر القلب الثامن عشر
الشفع الشفتان والوتر اللسان قال تعالى ولسانا وشفتين التاسع عشر الشفع السجدتان والوتر الركوع
العشرون الشفع ابواب الجنة والوتر ابواب النار في الجملة فانهم وان اطنبوا في تفسير الشفع والوتر
فلا يمتنع ان يراد على هذه الوجوه اذ اللفظ يدل على انهما امران شريفان اقسم الله تعالى بهما وفيهما
من التعدد كالذي مع الصفة منه ولا يبعد ان يقال المراد هو الكل اذ الالف واللام فيهما يفيد
والذات ؟
العموم ثم العلم بان المراد من هذه الوجوه هذا او ذلك لا يمكن الا باخبار الرسول او اجماع اهل التاويل
اذ الكلام بدونهما على طريقة الجواز لا محالة اما قوله تعالى والليل اذا يسر فعند الاكثر ليس المراد منه
ليلة مخصوصة بل كل ليل لقوله والليل اذا ادبر والليل اذا عسعس ولان نعمة الله تعالى تعاقب الليل
والنهار عظيمة فصح ان يقسم به وقال مقاتل هي ليلة المزدلفة فقوله تعالى اذا يسر اذا يسار فيه
كما يقال ليل نائم لوقوع النوم فيه وليل ساهر لوقوع السهر فيه وتلك الليلة هي المزدلفة هي ليلة
يقع السري في اولها عند الدفع من عرفات الى المزدلفة وقال قتادة اذا يسري اذا اقبل اذا يسري
اذا يمضي واما اثبات الياء فيه فقال الزجاج قرأت اذا يسري باثبات الياء ثم قال وحذف الياء احب الي
لانها فاصلة والفواصل يحذف منها الياءات ويدل عليها الكسرات وقال الفراء والعرب قد يحذف
الياء ويكتفي بكسرة ما قبلها قوله تعالى هل في ذلك قسم لذي حجر الحجر العقل سمي به لانه يمنع عن الوقوع
فيما لا ينبغي قال الفراء والعرب يقول انه لذو حجر اذا كان قاهر النفس واما قوله تعالى هل في ذلك قسم
استفهام والمراد منه التاكيد كمن ذكر حجة ثم قال هل فيما ذكرته حجة فالمعنى ان من كان ذا عقل علم
ان ما اقسم الله تعالى به من هذه الاشياء فيه عجايب ودلائل على التوحيد والربوبية فهو حقيق بان يقسم
به لدلالته على خالقه قال القاضي هذه الآية تدل على ما قلنا ان القسم واقع برب هذه الامور اذ المبالغة
في القسم لا يحصل الا في القسم بالله قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد

التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الأوتاد الذين
طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك
لبالمرصاد اعلم ان جواب القسم وجهان احدهما وهو قوله ان ربك لبالمرصاد ثانيهما قال
في الكشاف المقسم عليه محذوف وهو قوله ليعذبن الكافرين يدل عليه قوله تعالى الم تر الى قوله فصب
عليهم ربك سوط عذاب وهذا هو الاقرب اما قوله الم تر فالمراد الم تعلم لان ذلك لا يصح ان يراه الرسول
وانما اطلق لفظ الرؤية هنا على العلم فان اخبار عاد وثمود وفرعون كانت منقولة بالتواتر
اما عاد وثمود فقد كانا في بلاد العرب واما امر فرعون فقد كانوا يسمعونه من اهل الكتابة وبلاد
فرعون ايضا متصلة بارض العرب ثم قوله الم تر وان كان في الظاهر خطابا للنبي عليه السلام لكنه
عام لكل من علم ذلك والمقصود من الذكران يكون زجرا للكفرة اما قوله تعالى بعاد ارم ذات العماد ففيه
بحثان الاول ذكر هنا قصة ثلاث فرق من الكفار وهي عاد وثمود وقوم فرعون على سبيل
الاجمال حيث قال فصب عليهم ربك سوط عذاب ولم يبين كيفية ذلك العذاب الثاني عاد هو عاد
بن عوص بن ارم بن سام بن نوح ثم انهم جعلوا لفظ عاد اسما للقبيلة ثم قالوا للمتقدمين من
هذه القبيلة عاد الاولى قال تعالى وانه اهلك عادا الاولى وللمتأخرين عاد الاخيرة واما ارم
فهو اسم لجد عاد وفي المراد منه هنا اقوال الاول ان المتقدمين من قبيلة عاد كانوا يسمون بعاد الاولى
فلذلك يسمون بارم تسمية لهم باسم جدهم ومنها ان ارم اسم لبلدتهم التي كانوا فيها ثم قيل تلك البلدة
هي الاسكندرية وقيل دمشق ومنها ان ارم اعلام قوم عاد كانوا يبنونها على هيئة المنارة
وعلى هيئة القبور ومنهم من طعن في هذا وهو ان ارم الاسكندرية او دمشق وقال منازل
عاد كانت بين عمان الى حضرموت وهي بلاد الرمال والاحقاف كما قال واذكر اخا عاد اذ انذر
قومه بالاحقاف واما الاسكندرية ودمشق فليستا من بلاد ارم الثالث ارم لا ينصرف قبيلة
كانت او ارضا للتعريف والتأنيث الرابع ارم ان كان اسم قبيلة كان عطف بيان لعاد وايذانا
بانهم عاد الاولى وان كان اسم البلدة او الاعلام كان التقدير بعاد اهل ارم يدل عليه قراءة ابن

الزبير

الزبير بعاد ارم بالاضافة الخامس قرأ الحسن بعاد ارم مفتوحتين وقرئ بعاد بسكون الراء
على التخفيف وقرئ بعاد ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات العماد وقرئ بعاد ارم ذات العماد
بدلا من فعل ربك والتقدير الم تر كيف فعل ربك بعاد جعل ذات العماد رميما اما قوله ذات العماد ففيه
بحثان احدهما انا اذا جعلنا ارم اسم القبيلة فالمعنى انهم كانوا بدوا يسكنون الاخبية و
الخيام لا بد فيها من العمود والعماد بمعنى العمود وقد يكون جمع العمد والمراد بذات العماد انهم طوال
الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة وقيل ذات البناء الرفيع ولو جعلناه اسم البلد فالمعنى
انها ذات البناء الرفيع ولو جعلناه اسم البلد فالمعنى انها ذات اساطين اي ذات ابنية مرفوعة
على العمد وكانوا يعالجون الاعمدة فينصبونها ويبنون فوقها القصور قال تعالى اتبنون بكل ريع آية
الاية اي علامة وبناء رفيعا وثانيهما انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد
وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم
في بعض صحاري عدن في ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب
والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار فلما تم بناؤها
سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليه صيحة من السماء فهلكوا
وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع في جنة شداد فحمل ما قدر عليه مما هناك وبلغ
خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فقال هي ارم ذات العماد وبالجملة فلما كان مذكورا
في كتاب الله تعالى كان من جملة ما يكون وجوده قطعيا فاما كونه بصفة كذا وكذا فذلك في الغيب لانه بعيد
في العادة والله اعلم اما قوله تعالى لم يخلق مثلها في البلاد ففيه وجوه منها لم يخلق مثلها اي مثل
عاد في البلاد في عظم الجثة وشدة ومنها لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد
الدنيا وقرأ ابن الزبير اي لم يخلق مثلها اي لم يخلق الله مثلها ومنها ان الكناية عائدة الى العماد اي لم يخلق مثل تلك
الاساطين في البلاد والمقصود من هذه الحكاية زجر الكفار اما قوله تعالى وثمود الذين جابوا الصخر بالواد
قال الليث الجوب قطعك الشيء كما يجاب الجيب يقال جاب يجوب جوبا وزاد الفراء يجيب جيبا قال ابن عباس رضي الله عنهما

كانوا يجوبون البلاد فيجعلون منها بيوتا فقيل اول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا
الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة وقوله تع بالواد قال مقاتل بوادي القرى اما قوله وفرعون ذي
الاوتاد والاستقصاء مذكور في سورة ص وقيل انه سمي ذي الاوتاد لكثرة جنوده وقيل انه كان
يعذب الناس ويشدهم بها الى ان يموتوا وقيل ذي الاوتاد اي ذي الملك كما قال الشاعر في ظل ملك
راسخ الاوتاد والكل محتمل فبين الله تع لرسوله ان جميع ذلك مما يعظم به الشدة والقوة والكثرة
لم يمنع من ورود الهلاك ولذلك قال الذين طغوا في البلاد وفيه مباحث الاول يحتمل ان يرجع الضمير
الى فرعون خاصة لانه يليه ويحتمل ان يرجع الى الجميع ما تقدم ذكرهم وهذا هو الاقرب الثاني احسن
الوجوه في اعرابه ان يكون في محل النصب على الذم ويجوز ان يكون بالرفع على هم الذين طغوا او بالجر
على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون الثالث طغوا في البلاد اي عتوا المعاصي وتجبروا على انبياء
الله ومن تابعهم ثم فسر طغيانهم بقوله فاكثروا فيها الفساد قال القفال ان الفساد ضد الصلاح
فكما ان الصلاح يتناول جميع انواع الخير البر فالفساد يتناول جميع انواع الاثم ثم قال تع فصب عليهم
ربك سوط عذاب يقال صب عليه السوط وغشاه وقنعه والسوط انسانة الى ما احل بهم في الدنيا
من العذاب قد ذكر بالقياس الى ما اعد لهم في الآخرة كالسوط ولا يقال كيف هو وقد قال الله تع ولكن يؤخرهم الى اجل
مسمى فان ذلك يقتضي تاخير تمام الجزاء الى دار الآخرة والواقع في الدنيا شيء منها ثم قال تع ان ربك
لبالمرصاد قد مر تفسير المرصاد عند قوله كانت مرصادا ويقال المرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد
وللمفسرين فيه وجوه منها قال الحسن يرصد اعمال بني آدم ومنها قال الفراء اليه المصير ومنهم من
يخص هذه الاية بوعيد الكفار او بوعيد العصاة فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه
ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن
فاما الانسان يتعلق بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل ان الله تع لبالمرصاد في الآخرة فلا يريد الا السعي
فاما الانسان فانه لا يهمه الا الدنيا ولذاتها وشهواتها فان وجد الراحة في الدنيا يقول ربي اكرمني وان لم يجد
يقول ربي اهانني وهذا خطا منه فان ذلك لا يكون اهانة من الله تع بل يكون نشر يفاه الحضرة عنده

تامل في سعادة الآخرة فان سعادة الدنيا كالقطرة في البحر بالنسبة الى سعادة الآخرة وقيل وجدان
الدنيا حرمان الآخرة فالعقل يقتضي الانقطاع عن الدنيا فان كثرة الممارسة سبب لتاكيد المحبة وتاكيد
المحبة سبب لتاكيد الالم عند المفارقة فكل من كان وجدانه للدنيا اكثر وادوم كانت محبته لها اشد وكان تالمه
بمفارقتها اشد والذي بالضد فبالضد هذا في الموضع سؤالات الاول فاما الانسان المراد منه الشخص المعين
او الجنس والجواب ان المراد منه شخص معين وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه عتبة بن ربيعة وابو حذيفة بن
المغيرة وقال الكلبي هي ابي بن خلف قال مقاتل نزلت في امية بن خلف وقيل المراد كل من كان موصوفا
بهذه الاوصاف وهو الكافر الجاحد ليوم الجزاء الثاني كيف سمي بسط الرزق وتقدير ابتلاء و
الجواب لان كل واحد منهما اختبار للعبد فاذا بسط الرزق فقد اختبر حال الشكر واذا قدر عليه
فقد اختبر حال الصبر قال تع ونبلوكم بالشر والخير فتنة الثالث لما قال فاكرمه فقد صح انه اكرمه ثم
انه لما حكى عنه انه قال ربي اكرمني ذمه عليه فكيف الجمع بينهما والجواب ان كلمة الانكار هي قوله
كلا فلم لا يجوز ان يقال انها مختصة بقوله ربي اهانني ولئن سلمنا ان الانكار عائد اليهما ولكنه
اعتذر حصول الاستحقاق في ذلك الاكرام فلذلك استحق الذم الرابع لم قال في الاول فاما وفي الثاني واما
والجواب لان رحمة الله تع سابقة على غضبه الخامس لم قال في الاول فاكرمه فيقول ربي اكرمني يجب ان
يقول في الثاني فاهانه فيقول ربي اهانني والجواب لانه في قوله اكرمني صادق وفي قوله اهانني غير
صادق السادس ما معنى قوله فقدر عليه رزقه والجواب ضيق عليه بان جعله على مقدار البلغة
وقد قرئ بالتخفيف والتشديد واكرمن بسكون النون قوله تعالى كلا بل لا تكرمون
اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين وتاكلون التراث اكلا لما وتحبون المال حبا
جما انه تع لما حكى عنهم تلك الشبهة قال كلا وهو ردع لهم عن تلك المقالة فكانه قال بل لهم فعل شر من
هذا القول وهو ان الله تع يكرمهم بكثرة المال فلا يؤدون ما يلزمهم عنه من اكرام اليتيم فقال بل
لا تكرمون اليتيم وفيه مباحث الاول قرا ابو عمرو يكرمون بالياء لان ما تقدم ذكر الانسان وكان
يراد به الجنس وهو على لفظ الغيبة الثاني قال مقاتل كان قدامة بن مظعون يتيما في حجر امية بن خلف

وكان يدفعه عن حقه واما ترك اكرام اليتيم فعلى وجوه احدها ترك بره واليه الاشارة بقوله
ولا تحاضون على طعام المسكين وثانيها دفعه عن حقه الثابت له في الميراث واكل ماله واليه
الاشارة بقوله وتأكلون التراث اكلا لما وثالثها اخذ ماله عنه واليه الاشارة بقوله وتحبون المال
حبا جما اما قوله تعالى ولا تحاضون على طعام المسكين قال مقاتل ولا تطعمون مسكينا والمعنى
لا يأمرون باطعامه كقوله تعالى انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين ومن قرأ
لا تحاضون اراد تتحاضون والمعنى لا يحض بعضكم بعضا وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه
ولا تحاضون بضم التاء من المحاضة اما قوله تعالى وتأكلون التراث اكلا لما ففيه مباحث الاول
اصل التراث وراث نحو تجاه ووجاه من واجهت الثاني اللم الجمع الشديد ومنه كتيبة ملمومة
وحجر ملموم والآكل يلم الثريد فيجعله لقما ثم يأكله ويقال لممت ما على الخوان اي اكلته اجمع هذا هو المعنى
اللغوي واما في التفسير فذكروا وجوها منها اكلا لما اي شديدا وهو معنى ليس بتفسير وتفسيره ان
اللم مصدر جعل نعتا للاكل والمراد به الفاعل اي آكلا لاما قال الزجاج كانوا يأكلون اموال اليتامى
اسرافا وبدارا ويأكلون التراث اكلا لما اي تراث اليتامى لما اي يلمون جميعه قال الحسن رحمه الله
اي يأكلون نصيبهم ونصيب صاحبهم فيجمعون نصيب غيرهم الى نصيبهم ومنها ان المال الذي
يبقى من الميت بعضه حلال وبعضه شبهة وبعضه حرام فالوارث يلم الكل اي يلم البعض الى البعض
ومنها قال في الكشاف ويجوز ان يكون الذم متوجها الى الوارث الذي ظفر بالمال سهلا مهلا من غير ان
يعرق فيه جبينه فيسرف في انفاقه ويأكله اكلا لما واسعا جامعا بين انواع الاطعمة والاشربة
والفواكه اما قوله تعالى وتحبون المال حبا جما فالجم هو الكثير يقال جم الشيء جموما في الماء وغيره
فهو شيء جم وجام والمعنى وتحبون المال حبا كثيرا شديدا فبين ان حرصهم على الدنيا فقط
قوله تعالى كلا اذا دكت الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا وجيء يومئذ بجهنم
يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى كلا ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم الذي مر
ذكره من كان حاله هكذا في الحرص على الدنيا وترك المواساة منها كان نادما حين لا ينفعه الندامة

ويتمنى

58

ويتمنى انه لو كان افنى عمره في الفقر بالاعمال الصالحة والمواساة من المال الى انه تعالى بين اذا جاء يوم
موصوف بصفات ثلاث فانه يحصل ذلك التمني تلك الندامة فهي الصفة الاولى من تلك الصفات قوله
اذا دكت الارض دكا قال الخليل الدك كسر الحائط والجبل وقال المبرد الدك حط المرتفع
بالبسط فاندك سنام البعير اذا انفرش في ظهره ومنه الدكان لاستوائه في الانفراش فمعنى الدك على
قول الخليل كسر كل شيء على وجه الارض وعلى قول المبرد معناه انها استوت في الانفراش وهذا
معنى قول ابن عباس تمد الارض يوم القيمة واما التكرار في قوله تعالى دكا دكا فمعناه دكا بعد دك كقولك
حسبته بابا بابا وعلمته حرفا حرفا والصفة الثانية قوله تعالى وجاء ربك والملك صفا صفا ثم من
الدلائل العقلية على ان الانتقال على الله تعالى محال فلا بد من التأويل وهو ان هذا من باب حذف المضاف كما قيل
وجاء امر ربك بالمحاسبة والمجازاة وقيل وجاء قهر ربك وقيل وجاء جلائل آيات ربك وقيل وجاء ظهور
ربك وذلك لان معرفة الله في ذلك اليوم ضرورية وقيل ان هذا تمثيل لظهور الآيات وتبيين آثار قهره
وسلطانه اما قوله تعالى والملك صفا صفا اي صفا بعد صف محدقين بالجن والانس الصفة الثالثة
قوله تعالى وجيء يومئذ بجهنم والمراد عند اهل التحقيق هو الظهور حتى راها الخلق ثم قال تعالى يومئذ يتذكر
الانسان والتقدير اذا دكت الارض وحصل كذا وكذا فيومئذ يتذكر الانسان وفيه وجوه منها يتذكر
ما فرط فيه من الفساد ومنها يتذكر اي يتعظ فيقول يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ومنها يتذكر
اي يتوب وهو قول الحسن رحمه الله ثم قال تعالى وانى له الذكرى وهو كقوله انى لهم الذكرى وقد جاءهم
رسول مبين واعلم انه بين قوله يتذكر وبين قوله انى له الذكرى تناقض فلا بد من اضمار المضاف
والمعنى ومن اين له منفعة الذكرى ثم انه تعالى شرح ما يقوله هذا الانسان فقال تعالى يقول يا ليتني قدمت
لحياتي اي يا ليتني قدمت في الدنيا التي كانت حياتي فيها وانما قال لحياتي ولم يقل لهذه الحياة على معنى ان
الحياة كأنها ليست الا الحياة في الدار الآخرة قال تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان اي لهي الحياة وقيل المعنى
يا ليتني قدمت وقت حياتي في الدنيا ثم المعتزلة تمسكوا بهذه الآية على ان الاختيار كان في ايديهم و
معلقا بقصدهم وارادتهم والجواب ان ذلك القصد ان كان معلقا بقصد آخر منه لزم التسلسل وان

كان متعلقا بقصد الله تعالى فقد بطل ما قالوه والكلام في هذه المسألة قد مر غير مرة ثم قال تعالى فيومئذ
لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد وفيه مباحث الاول قراءة العامة يعذب بكسر العين فيهما
قال مقاتل معناه فيومئذ لا يعذب عذاب الله احد من الخلق ولا يوثق وثاق الله احد من الخلق والمعنى
لا يبلغ احد من الخلق كبلاغ الله في العذاب والوثاق قال ابو عبيدة هذا التفسير ضعيف لانه ليس
يوم القيمة من يعذب سوى الله تعالى فكيف يقال لا يعذب احد مثل عذابه والجواب التقدير لا يعذب
احد في الدنيا عذاب الله الكافر يومئذ في القيمة والجواب الآخر وهو قول ابي علي الفارسي ان يكون
التقدير لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه فالضمير في عذابه احد عائد الى الانسان وقراءة
الكسائي لا يعذب ولا يوثق بفتح العين فيهما وهي اختيار ابي عمرو وانه رجع اليها في آخر عمره لما روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قرأهما بالفتح والضمير للانسان الموصوف وقيل هو ابي بن خلف وتفسير هذه القراءة
ان الله لا يعذب احدا من الناس عذاب الكافر كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى قال ابو احد وهذا اولى الاقوال
الثاني العذاب في القرآن بمعنى التعذيب والوثاق بمعنى الايثاق كالعطاء بمعنى الاعطاء قوله تعالى يا ايتها
النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي
انه تعالى لما وصف حال من اطمأن الى الدنيا وصف حال من اطمأن الى معرفته وعبوديته فقال يا ايتها
النفس فاما ان يكلمه اكراما له كما كلم موسى عليه السلام او على لسان ملك قال القفال هذا وان كان
امرا في الظاهر لكنه خبر في المعنى والتقدير ان النفس اذا كانت مطمئنة رجعت الى الله وقال الله تعالى
لها فادخلي في عبادي وادخلي جنتي الثاني الاطمئنان هو الاستقرار والثبات وفي كيفية هذا الاستقرار
وجوه احدها ان يكون متيقنة بالحق فلا يخالطه شك وهو المراد من قوله ولكن ليطمئن قلبي
وثانيها النفس الآمنة لا يستفزها خوف ولا حزن وهذه الخاصية تحصل عند الموت عند سماع قوله
لا تخافوا ولا تحزنوا الآية وتحصل عند البعث وعند دخول الجنة لا محالة وثالثها وهو تاويل مطابق
للحقائق العقلية فيقتضي القراءة والبرهان مطابق على ان هذا الاطمئنان لا يحصل الا بذكر الله
اما القراءة فقوله الا بذكر الله تطمئن القلوب واما البرهان فهو ان القوة العاقلة اذا اخذت

يترقى

يترقى في سلسلة الاسباب والمسببات فكلما وصلت الى سبب يكون ممكنا لذاته طلبت سببا آخر من كل
سبب الى ما هو عليه حتى ينتهي في ذلك الترقي الى واجب الوجود لذاته ومقطع الحاجات ومنتهى
الضرورات وقفت عنده واطمأنت اليه فثبت ان الاطمئنان لا يحصل الا بذكر واجب الوجود
وح ان يكون انسه بالله وشوقه الى الله وبقائه بالله وكلامه مع الله فلا جرم يخاطب عند مفارقة
الدنيا فيقول ارجعي الى ربك راضية مرضية وهذا كلام لا ينتفع به الانسان الا اذا كان كاملا
في القوة النظرية او في التجريد والتفريد الثالث انه تعالى ذكر مطلق النفس في القرآن تارة فقال
ونفس وما سواها وقال تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وتارة وصفها بكونها امارة بالسوء
وكذلك بكونها لوامة وكذلك بكونها مطمئنة ونفس الانسان ذاته وحقيقته وهي التي يشير اليها
بانا وانت والمشار اليه بقولك انا غير متبدل وانه ليس بجسم ولا بجسماني كذلك بل هو جوهر
مجرد يتصرف في هذا البدن تصرف التدبير فمتى تعلق بهذا البدن وتصرف فيه كان البدن حيا
وان فارقته صار ميتا ولو كان كذلك لكان وصفه بالمجيء والرجوع بمعنى التدبير وتركه الرابع
قبل البدن غير انه ضعيف فانه لا يلزم من كونه موجودا قبل البدن ان يكون ازليا ثم بعد الخطاب
على قول بعضهم عند الموت وعلى قول الاكثر عند البعث والقيمة والمعنى ارجعي الى ثواب ربك فادخلي في
عبادي اي فادخلي في البدن الذي فارقته والقران الدخول بمعنى التعلق به كما كان اما قوله تعالى
راضية مرضية فالمعنى راضية بالثواب مرضية عنك في الاعمال التي عملتها في الدنيا ثم قال
فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وفيه بحثان الاول قيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه
وفي خبيب بن عدي الذي صلبه اهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فقال اللهم ان كان لي
عندك خير فحول وجهي نحو قبلتك فحول الله تعالى نحوها فلم يستطع احد ان يحوله والمعروف ان
العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب الثاني قوله تعالى فادخلي في عبادي اي انضمي الى عبادي
المقربين وهذه حالة شريفة فان هذا الانضمام سبب لكمال السعادات الروحانية وتعاظم
درجاتها وقوله فادخلي جنتي فانه اشارة الى السعادات الجسمانية ولما كانت السعادات الروحانية

غير متراخية عن الموت في حق السعداء فقد ذكر بفاء التعقيب بخلاف الجسمانية اذ هي متراخية
الى قيام الساعة والله اعلم سورة البلد مكية وهي عشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم
لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الانسان
في كبد ايحسب ان لن يقدر عليه احد اما اتصال اول هذه السورة باخر ما قبلها فظاهر لانه قال
في آخر تلك السورة فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وذلك اشارة الى حصول السعادات الروحانية
الجسمانية في الآخرة وقال في اول هذه السورة بعد القسم بالبلد والوالد والولد لقد خلقنا الانسان
في كبد وانه اشارة الى ما يكون وسيلة الى حصول تلك السعادات من الشدائد في الدنيا فانه ما
من شدة ومشقة في الدنيا الا وان يكون في مقابلته سعادة في الآخرة اما قوله تعالى لا اقسم بهذا البلد
فانهم اتفقوا على ان ذلك البلد هو مكة شرفها الله وفضائل مكة والآيات الدالة على فضائلها
ظاهرة كقوله تعالى ومن دخله كان آمنا وقوله واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقوله ولله على
الناس حج البيت واذ جعلنا البيت مثابة للناس وغير ذلك ولما كانت مستجمعة لكثير من الفضل فقد
اقسم الله تعالى بها واما قوله وانت حل بهذا البلد اي انت مقيم بهذا البلد نازل فيه وقيل الحل
هنا بمعنى الحلال اي ان الكفار يحترمون هذا البلد وينتهكون عنه الحرمات والا لو تمكنوا منك
لقتلوك فانت حلال لهم في اعتقادهم لا يرون لك ما يرونه لغيرك وعن قتادة انه قال انت حل لست
باثم وحلال لك ان تقتل بمكة من شئت ولهذا قتل ابن خطل بعد فتح مكة وهو يتعلق باستار
الكعبة ثم قال ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد
قبلي ولن تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار وقيل انت حل بهذا البلد اي وانت غير
مرتكب في هذا البلد ما يحرم عليك ارتكابه تعظيما منك لهذا البيت وقيل انه تعالى لما اقسم بهذا
البلد دل ذلك على غاية فضل هذا البلد ثم قال وانت حل بهذا البلد اي وانت من اهل هذا البلد
المعظم المكرم واهل هذا البلد يعرفون اصلك ونسبك وطهارتك وثوابك طول عمرك عن الافعال
القبيحة والمرتضى منصب الرسول عليه السلام كونه هذا البلد اما قوله ووالد وما ولد وهذا

معطوف

معطوف على قوله لا اقسم بهذا البلد وقوله وانت حل بهذا البلد معترض بين المعطوف والمعطوف عليه
وللمفسرين فيه وجوه احدها الوالد آدم وما ولد ذريته اقسم بهم اذ هم عجب ما خلق الله
على وجه الارض لما فيهم من البيان والتدبير واستخراج العلوم وغير ذلك قال تعالى ولقد كرمنا بني آدم
وقيل هذا قسم بآدم والصالحين من اولاده وثانيها الوالد ابراهيم واسمعيل والولد محمد عليه السلام
وانه مناسب لما تقدم وانه قسم بمكة وانما قال والد وما ولد ولم يقل من ولد لانه في الدرجة النازلة
من الوالد قال تعالى والله اعلم بما وضعت اي باي شيء وضعت يعني موصوفا بعجيب الشان وثالثها الوالد
ابراهيم وما ولد جميع ولد ابراهيم ورابعها وهو قول ابن عباس رضي الله عنه الوالد الذي يلد وما ولد الذي لا يلد
فما هنا يكون للنفي وخامسها يريد كل والد ومولود واما قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان في كبد ففيه مباحث
الاول قال في الكشاف ان الكبد اصله من قولك كبد الرجل كبدا فهو اكبد اذا وجعت كبده وانتفخت فاتسع
فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة وقد قيل على العكس والوجه الثاني انه الكبد هو الاستواء والاستقامة والوجه
الثالث ان الكبد شدة الخلق والقوة اذا عرفت هذا فنقول اما على وجه الاول فيحتمل ان يكون المراد شدائد
الدنيا فقط وان يكون شدائد التكاليف فقط وان يكون شدائد الآخرة فقط وان يكون المراد كل
ذلك وهذا هو الاقرب ومن هذا يظهر انه لا بد له من نشأة من الصحف القيمة لان الحكيم الذي خلقه لا يكون
لان يتألم وهذا لا يليق بالرحمة ولا لان لا يتألم ولا يلتذ فان في تركه على العدم كفاية بل خلقه لان يلتذ
وذلك ليس في الدنيا لما مر فيلزم ان يكون في دار اخرى لتكون تلك الدار دار اللذات والسعادات والكرامات
واما على الوجه الثاني فقال ابن عباس في كبد اي قائما منتصبا على خلاف سائر الحيوانات واما على الوجه
الثالث فقال الكلبي نزلت هذه الآية في رجل من بني جمح يكنى بابي الاسد بن كلدة كان يجعل تحت قدميه الاديم العكاظي
فيجذبونه من تحت قدميه فيتمزق ولم يزل قدماه واعلم بان الاولى هو الوجه الاول الثاني منهم من قال
المراد بالانسان الانسان المعين وهو الذي بين وصفه بالقوة وعند الاكثر انه عام يدخل فيه كل احد
وان كان الوجه والمراد في حق ذلك الرجل فقوله تعالى ايحسب ان لن يقدر عليه احد اعلم انا ان فسرنا الكبد
بالشدة في القوة فالمعنى ايحسب ذلك الانسان الشديد انه لشدته لا يقدر عليه احد وان فسرناه

بالمحنة والبلاء كان المعنى تسهيل ذلك على القلب كأنه يقول هب ان الانسان كان في النعمة والقدرة
أفنظن انه في تلك الحالة لا يقدر عليه احد ثم اختلفوا فقال بعضهم لن يقدر على ومجازاته
مع من ينكر البعث وقال بعضهم لن يقدر على تغيير احواله ظنا منه انه قوي على الامور لا يدافع عن
مراده وقوله ايحسب استفهام على سبيل الانكار قوله تعالى يقول اهلكت مالا لبدا قال ابو عبيدة لبد
فعل من التلبيد وهو المال الكثير بعضه على بعض قال الزجاج فعل للكثرة قال الفراء واحدته لبدة ولبد
جمع قال الليث مال لبد لا يخاف فناءه من كثرته والمعنى ان هذا الكافر يقول اهلكت في عداوة محمد
مالا كثيرا والمراد كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونه مكارم ويدعونه معالي ومفاخر ثم قال تعالى
ايحسب ان لم يره احد قال قتادة ايظن ان الله تعالى لم يره لا يسأله عن ماله من اين اكتسبه واين انفقه
وقال الكلبي كان كاذبا لم ينفق شيئا فقال تعالى ايظن انه تعالى ما رأى ذلك منه بل رآه وعلم منه خلاف ما قال
ثم انه تعالى لما حكى عن ذلك الكافر قوله ايحسب ان لن يقدر عليه احد اقام الدلالة على كمال قدرته الم نجعل
له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين وعجائب هذه الاعضاء مذكورة في كتب التشريح
قال اهل العربية النجد الطريق في ارتفاع فكأنه لما وضحت الدلائل جعلت كالطريق المرتفعة
العالية والى هذا التأويل ذهب عامة المفسرين في النجدين وهو انهما سبيلا الخير والشر وقال
الحسن رحمه الله قال اهلكت مالا لبدا فمن الذي يحاسبني عليه فقيل الذي قدر على ان يخلق لك هذه الاعضاء
وروي عن ابن عباس رضي الله عنه وسعيد بن المسيب انهما الثديان لانهما كالطريقين لحياة الولد قال
القفال فالتأويل هو الاول ثم قرر وجه الاستدلال به فقال ان من قدر على ان يخلق في الماء المهين
قلبا عقولا ولسانا قؤولا فهو قادر على اهلاك ما خلق ثم انه تعالى دل عباده على الوجوه الفاضلة
التي ينفق فيها الاموال فقال تعالى فلا اقتحم العقبة وفيه مباحث الاول الاقتحام الدخول في الامر
الشديد يقال قحم يقحم قحوما واقتحم اقتحاما وتقحم تقحما اذا ركبه القحمة وهي المهالك والامور العظام العقبة
طريق في الجبل وعر وقد قالوا فيها وجهين احدهما وهو قول عطاء يريد عقبة جهنم وقال الكلبي
هي عقبة بين الجنة والنار وثانيهما هو انه ذكر العقبة هنا مثل ضربه لمجاهدة النفس

الشيطان

الشيطان في اعمال البر وهذا قول الحسن ومقاتل وهذا هو الحق لان الانسان يريد ان يترقى من
عالم الحس والخيال الى يفاع عالم الانوار ولا شك ان بينه وبينها عقبات سامية دونها صواعق
حامية ومجاوزتها صعبة والترقي اليها شديد الثاني لقائل ان يقول كلمة لا يدخل على الماضي مكررة
قال تعالى فلا صدق ولا صلى والجواب انها كررت في هذا الموضع كذلك لما قال وما ادريك ما العقبة
فسره بفك الرقبة وبالاطعام فالمعنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا و
قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا ايدل على معنى فلا اقتحم العقبة الثالث قال ابو علي الفارسي معنى
فلا اقتحم العقبة لم يقتحمها واذا كانت لا بمعنى لم كان التكرير غير واجب كما لا يجب مع لم فان تكررت
في موضع نحو فلا صدق ولا صلى فهو كقوله لم يسرفوا ولم يقتروا الرابع قال القفال قوله
فلا اقتحم العقبة اي هلا انفق ماله فيما فيه اقتحام العقبة واما الباقون فانهم اجروا اللفظ على
ظاهره وهو الاخبار بانه ما اقتحم العقبة ثم قال تعالى وما ادريك ما العقبة لا بد من الحذف لان
العقبة لا تكون فك رقبة فالمراد وما ادريك ما اقتحام العقبة وهذا تعظيم لامر التزام الدين
قال تعالى فك رقبة او اطعام والمعنى ان اقتحام العقبة الفك او الاطعام وفيه مباحث
الاول الفك فرق يزيل المنع كفك القيد وفك الرقبة فرق بينها وبين الرق بايجاب الحرية قال
الفراء فكاكا بفتح الفاء الثاني فك الرقبة قد يكون بان يعتق الرجل عبده وقد يكون بان يعطي المكاتب
بدل الكتابة وفيه وجه آخر وهو ان يكون المراد ان يفك المرء رقبة نفسه بما يتكلفه من
العبادة التي يصير بها الى الجنة فهي الحرية الكبرى ويتخلص بها من النار الثالث قرئ فك رقبة
او اطعام والتقدير هي فك رقبة او اطعام وقرئ فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم العقبة
وما ادريك ما العقبة اعتراض ثم قال تعالى في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا
ذا متربة وفيه مباحث الاول يقال سغب سغبا اذا جاع فهو ساغب قال صاحب الكشاف المسغبة
والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي
وترب اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب واما اترب فاستغنى اي صار ذا مال كالتراب في الكثرة

الثاني حاصل القول في تفسير يوم ذي مسغبة ما قاله الحسن رحمه الله وهو انه يوم يحرص فيه
على الطعام وقرأ الحسن رحمه الله ذا مسغبة نصبه باطعام والمعنى او اطعام في يوم من الايام
ذا مسغبة اما قوله يتيما ذا مقربة قال الزجاج ذا قرابة قال مقاتل يعني يتيما بينه وبينه قرابة
وقيل يدخل فيه القرب والجوار كما يدخل فيه القرب بالنسب اما قوله او مسكينا ذا متربة اي
مسكينا قد لصق بالتراب ثم كان من الذين آمنوا اي كان مقتحم العقبة من الذين آمنوا فانه
اذا لم يكن منهم لم ينتفع بشيء من هذه الطاعات ولا مقتحما للعقبة فان قيل لما كان الايمان شرطا
في الانتفاع بهذه الطاعات وجب كونه مقدما عليها والجواب عنه من وجوه احدها ان هذا التراخي
في الذكر لا في الوجود كقوله ان من ساد ثم ساد قبل ذلك جده وثانيها ان يكون المراد ثم كان في
عاقبة امره من الذين آمنوا وهو ان يموت على الايمان وثالثها ان يكون المراد من قوله ثم كان من الذين
آمنوا تراخي الايمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق وغيره لان درجة ثواب الايمان اعظم
بكثير من درجة ثواب سائر الاعمال اما قوله تعالى وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة فالمعنى
انه كان يوصي بعضهم بعضا بالصبر على الايمان والثبات عليه او بالصبر على المعاصي وعلى الطاعات والمحن
التي يبتلى بها المؤمن ثم ضم اليه التواصي بالمرحمة وهو ان يحث بعضهم بعضا على ان يرحم المظلوم
او الفقير وهذا يدل على انه يجب على المرء ان يدل غيره على طريق الخير ويمنعه عن طريق الشر ما امكن
واعلم ان قوله تعالى من الذين آمنوا الآية يعني يكون مقتحم العقبة من هذه الزمرة وهذه الزمرة
هم اكابر الصحابة فانهم كانوا بالغوا في الصبر على شدائد الدين والرحمة على الخلق وبالجملة فقوله
وتواصوا بالصبر اشارة الى التعظيم لامر الله وقوله وتواصوا بالمرحمة اشارة الى الشفقة على
خلق الله ثم انه تعالى لما وصف هؤلاء المؤمنين بين انهم من هم في القيامة فقال تعالى اولئك اصحاب الميمنة
قال في الكشاف الميمنة والمشأمة اليمين والشمال ثم قال تعالى والذين كفروا بآياتنا هم
اصحاب المشأمة فقيل المراد من يؤتى كتابه بشماله ووراء ظهره وقد تقدم وصف الله
لهم بانهم في سموم وظل من يحموم ثم قال تعالى عليهم نار مؤصدة قال الفراء والزجاج والمبرد

اصدت

اصدت الباب واوصدته اذا اغلقته فمن قرأ مؤصدة بالهمزة فقد اخذها من اصدت فهمز اسم
المفعول ويجوز ان يكون من اوصدت لكنه همزه على لغة من يهمز الواو اذا كان قبلها ضمة نحو مؤسى
ومن لم يهمز فذلك يحتمل ان يكون من اوصد ويحتمل ان يكون من اصد اذا عرفت هذا فنقول قال
مقاتل عليهم نار مؤصدة يعني ابوابها مطبقة فلا يفتح لهم باب البتة والموصدة هي الابواب وقد جعلت
صفة النار على تقدير عليهم نار مؤصدة الابواب فلما تركت الاضافة عاد التنوين لانهما متعاقبان
سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحاها
والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها وفيه مباحث الاول في بيان
النظم وهذا ظاهر فان كل واحد من هاتين السورتين مشتملة على الترغيب في الطاعات والترهيب
من المعاصي ثم في آخر تلك السورة اشارة الى اصحاب النار وعذابهم فقال عليهم نار موصدة وفي
اول هذه السورة ذكر القسم وجواب ذلك القسم ان من زكى نفسه بالتوحيد فقد خلص من ذلك
العذاب الثاني ان جماعة من اهل الاصول قالوا التقدير ورب الشمس ورب القمر وغير ذلك الى تمام
القسم واحتج قوم على بطلان هذا المذهب بان من جملة هذا القسم قوله تعالى والسماء وما بناها
وذلك هو الله تعالى اجاب القاضي عنه بانه لا يمتنع الا ان يكون المراد هو الله تعالى وذلك في حيز المنع
فانه اذا كان المراد منه هو الله تعالى لزم ان يقدم القسم بغيره على القسم بنفسه بل التأويل هو
ان ما مع ما بعدها في حكم المصدر فيكون التقدير والسماء وبناها اعترض صاحب الكشاف عليه
فقال لو كان الامر على هذا الوجه لزم من عطف قوله فالهمها عليه فساد النظم الثالث القراء
اختلفوا في فواصل هذه السورة وما اشبهها نحو والليل اذا يغشى والضحى والليل اذا سجى
فقرؤها تارة بالامالة وتارة بالتفخيم وتارة بعضها بالامالة وبعضها بالتفخيم وهو مذهب حمزة
وهذه القراءات كلها على وفق لغة العرب والرابع انه تعالى اقسم بسبعة اشياء الى قوله قد افلح وهو
جواب القسم قال الزجاج المعنى لقد افلح ثم انهم ذكروا في قوله تعالى والشمس وضحاها من الاقاويل
قال الكلبي ومجاهد ضحاها ضوؤها وقال قتادة هو النهار كله وهو اختيار الفراء وقال مقاتل

هو حر الشمس وتقدير ذلك بحسب اللغة ان يقول قال الليث الضحو ارتفاع النهار والضحى
فويق ذلك والضحاء ممدود اذا امتد النهار وقرب ان ينتصف اما القسم بالضحو ونحو ذلك
كما مر فكثرة ما تعلق به من المصالح لاهل العالم فانهم كانوا كالاموات في الليل فلما ظهر اثر الصبح
من المشرق صار ذلك كالصور الذي ينفخ فيه للحشر فصارت الاموات احياء ولا يزال تلك الحركة في
الازدياد والقوة والتكامل وغايته كمالها وقت الضحوة فهذه الحالة تشبه احوال القيامة ووقت
الضحى يشبه استقرار اهل الجنة فيها قوله تعالى والقمر اذا تلاها فيه وجوه احدها بقاء القمر طالعا عند
غروب الشمس وذلك انما يكون في النصف الاول من الشهر اذا غربت الشمس فان القمر يتلوها اي يتبعها
في الاضاءة وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وثانيها ان الشمس اذا غربت فالقمر يتبعها ليلة الهلال
في الغروب وهو قول الكلبي وثالثها وهو قول الفراء المراد هو ان القمر ياخذ الضوء من الشمس ورابعها
وهو قول الزجاج تلاها حين استدار وكمل يعني اذا كمل ضوؤه صار كالشمس في الاستدارة والانارة
وخامسها انه يتلوها في ارتباط مصالح العالم وقد ظهر في علم النجوم ان بينهما من المناسبة ما ليس بين
الشمس وبين غيره قوله تعالى والنهار اذا جلاها التجلية الاظهار والكشف والضمير عائد الى الشمس على
قول الزجاج وذلك لان النهار عبارة عن زمان نور الشمس فهو اثرها وقوة الاثر يدل على قوة المؤثر
وعلى قول الجمهور عائد الى الظلمة او الى الدنيا او الى الارض والقول الاول يؤيده قوله تعالى والليل اذا يغشاها
فانه اذا حسن ان يقال الليل يغشى الشمس حسن ان يقال النهار يجلي الشمس ولان الضمير في
ما قبلها عائد الى الشمس بلا خلاف فكذا في قوله جلاها يعني ليكون الضمير في الفواصل من اول السورة
الى هنا الموضع للشمس قوله تعالى والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما
سواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها كذبت
ثمود بطغواها اما قوله والسماء وما بناها ففيه سؤالات الاول ما الفائدة في قوله والسماء و
ما بناها والجواب انه تعالى لما وصف الشمس بالاوصاف الدالة على عظمتها اتبعه ببيان ما دل على
حدوثها وحدوث ما عداها من الاجرام السماوية فانه في هذه الآية تنبيه على تلك الدلالة وذلك لانه

الاجرام

63

الاجرام السماوية مختصة بالمقادير المعينة مع جواز ان يكون على خلاف تلك المقادير في الصغر
او في الكبر فاختصاصها بتلك المقادير لا بد وان يكون بتقدير مقدر وتدبير مدبر الثاني لم قال
وما بناها ولم يقل ومن بناها والجواب ان ما يستعمل في موضع من كما في قوله تعالى ولا تنكحوا ما
نكح اباؤكم وقد قيل في الجواب ان المراد هو الاشارة الى الوصفية كانه قيل والسماء وذلك الشيء
العظيم والقادر الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها الثالث لم ذكر في تعريف
ذاته تعالى هذه الثلاثة وهي السماء والارض والنفس والجواب لان الاستدلال على الغائب لا يمكن الا
بالشاهد او بما هو في المعرفة كالشاهد والشاهد من العالم الجسماني اما العلويات واليه الاشارة
بقوله والسماء واما السفليات واليه الاشارة بقوله والارض والذي هو كالشاهد في المعرفة
فهو النفس واليه الاشارة بقوله ونفس وما سواها اما قوله والارض وما طحاها ففيه بحثان الاول
انما اخر هذا عن قوله تعالى والسماء وما بناها كقوله والارض بعد ذلك دحاها الثاني الطحو كالدحو وهو
البسط وابدال الطاء من الدال جائز قال الكلبي بسطها على الماء اما قوله تعالى ونفس وما سواها فان كان
المراد بالنفس البدن فتسويتها تعديل اعضائها على ما يشهد به علم التشريح وان كان المراد هو
القوة المدبرة فتسويتها اعطاؤها القوى الكثيرة نحو الحواس الظاهرة والباطنة هذا ما قالوه
والاقرب ان المراد منه القوة المدبرة والتسوية اثبات الاستواء على الجوارح على مثال استوائه تعالى على العرش
قال عليه السلام من عرف نفسه فقد عرف ربه واما التنكير في النفس ففيه وجهان احدهما ان
يريد به نفسا خاصة من بين النفوس وهي اما النفس الانسانية فانها اشرف من النفس النباتية
والحيوانية واما النفس القدسية التي هي اشرف من النفوس الانسانية كما قيل انها نفس آدم عليه السلام
وثانيها ان يريد كل نفس فيكون المراد من التنكير التكثير كما في قوله علمت نفس ما احضرت اما قوله تعالى
فالهمها فجورها وتقواها اي افهمها واعقلها بان احدهما حسن والآخر قبيح وهذا التاويل
مطابق لمذهب المعتزلة قالوا ويدل عليه قوله بعد ذلك قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها وهذا
الوجه مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما والوجه الآخر انه تعالى الهم المؤمن بالتقوى والكافر بالفجور قال

بن جبير الزمها فجورها وتقواها وقال ابن زيد جعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه
اياها للفجور واختيار الواحدي والزجاج ذلك والكلام في الالهام قد مر وكذلك في الافعال
الاختيارية والتوفيق بها غير مرة اما قوله قد افلح من زكيها فالتزكية عبارة عن التطهير او
عن الانماء وفي الاية قولان احدهما انه ادرك مطلوبه من زكى نفسه بان طهرها من الذنوب بفعل
الطاعة ومجانبة المعصية وثانيهما قد افلح من زكيها الله بقبول القاضي هذا التاويل وقال المراد منه انه
حكم بتزكيتها وسماها بذلك ثم قال والاول اقرب لان ذكر النفس قد تقدم وقد قيل فيه انه ضعيف لما
ان بناء التفعيل للتكثير ولان تقدم النفس لا يفيد فان اهل اللغة اتفقوا على ان عود الضمير الى
الاقرب اولى وقوله فالهمها اقرب اما قوله تعالى وقد خاب من دساها فقالوا دساها اصله دسسها
من التدسيس وهو اخفاء الشيء فابدلت احدى السينات ياء ومثل هذا كثير ثم المعتزلة ذكروا فيه
وجوها منها ان اهل الصلاح يظهرون انفسهم واهل الفساد يخفون انفسهم ويدسونها
في المواضع الخفية ومنها خاب من دساها اي دس نفسه في جملة الصالحين وليس منهم ومنها
من دساها في المعاصي حتى انغمس فيها ومنها ان من اعرض عن الطاعات واشتغل بالمعاصي صار خامل
الذكر فصار كالمدسوس في الاخفاء واما اهل السنة فقالوا المعنى خابت وخسرت نفس اضلها
الله واغواها وابطلها واهلكها واما قوله تعالى كذبت ثمود بطغواها قال الفراء الطغيان والطغوى
مصدران الا ان الطغوى اشبه برؤوس الايات فاختير لذلك في التفسير وجهان احدهما انها فعلت
التكذيب بطغيانها يعني ان طغيانهم حملهم على التكذيب هذا هو القول المشهور وثانيهما ان الطغوى
اسم لعذابهم الذي اهلكوا به والمعنى كذبت بعذابها اي لم يصدقوا رسولهم فيما انذرهم وقد حمل
على هذا التاويل قوله تعالى كذبت ثمود وعاد بالقارعة اي بالعذاب ثم قال فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية
فسمي ما اهلكوا به من العذاب طاغية قوله تعالى اذ انبعث اشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله
وسقياها فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسويها ولا يخاف
عقباها انبعث مطاوع بعث يقال بعثت فلانا على الامر فانبعث والمعنى انه كذبت ثمود بسبب

طغيانهم

طغيانهم حين انبعث اشقاها وهو عاقر الناقة وفيه قولان احدهما انه شخص معين اسمه
قدار بن سالف وثانيهما ان يكون جماعة وانما جاء على لفظ الواحد لتسويتك في افعل التفضيل
اذا اضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث تقول هذا افضل الناس وهؤلاء افضلهم اما
قوله تعالى فقال لهم رسول الله ناقة الله اي انه اشار اليها لما هموا بعقرها وبلغه ما عزموا عليه فقال
لهم ناقة الله فاحذروا ان تقدموا عليها بشر واحذروا ايضا ان تمنعوها من سقياها وهذا من جملة
ما قدمت الكلام فيه الثاني ناقة الله نصب على التحذير كقولك الاسد الاسد ثم انه تعالى بين ان القوم لم يمتنعوا
عن تكذيب صالح وعن عقر الناقة بسبب العذاب الذي انذرهم الله به وهو المراد بقوله فكذبوه فعقروها
واما قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ففيه وجوه احدها وهو قول الزجاج معنى دمدم اطبق
عليهم العذاب يقال ناقة مدمومة اذا البسها الشحم وثانيها يقول للشيء يدفن دمدمت عليه
اي سويت عليه فيجوز ان يكون معنى فدمدم عليهم سوى عليهم الارض بان اهلكهم فجعلهم تحت
التراب وثالثها قال ابن الانباري دمدم غضب والدمدمة الكلام الذي يزعج الرجل ورابعها
دمدم عليهم ارجف الارض بهم وهو قول الفراء اما قوله تعالى فسواها فيحتمل ان يكون المعنى فسوى
الدمدمة عليهم بها ويحتمل ان يكون فسوى عليهم الارض اما قوله تعالى ولا يخاف عقباها ففيه
وجوه اولها انه كناية عن الرب اذ هو اقرب ثم اختلفوا فمنهم من قال لا يخاف تبعة في العاقبة
اذ العقبى والعاقبة سواء كان بين الله تعالى يفعل ذلك بحق وكل من فعل فعلا بحق ولا يخاف عاقبة
فعله ومنهم من قال انه على وجه التحقير لهذا الفعل اي هو اهون من ان يخاف ومنهم من قال المراد منه
التنبيه على انه بالغ في التعذيب وثانيها انه كناية عن الصالح اي لا يخاف صالح عقبى هذا العذاب
الذي نزل بهم وثالثها المراد ان ذلك الاشقى الذي مر ذكره في عقر الناقة وهذه الاية وان كانت
متأخرة لكنها على هذا التفسير كانت في حكم التقدم كانه قال اذ انبعث اشقاها ولا يخاف
عقباها فذلك لانه اقدم على عقرها وروي ان صالحا لما وعدهم العذاب بعد ثلث قال التسعة الذين
عقروا الناقة هلموا فلنقتل صالحا فان كان صادقا فعجلناه قبلنا وان كان كاذبا الحقناه بناقته

فانوه فدفعتهم الملائكة بالحجارة فلما ابطأوا على اصحابهم اتوا منزل صالح فوجدوهم قد
رضخوا بالحجارة وقالوا الصالح انت قتلتهم ثم هموا به فقامت عشيرته دونه لبسوا السلاح
وقالوا لهم والله لا يقتلونه قد وعدكم ان العذاب نازل بكم في ثلث فان كان صادقا فاردتم ربكم
عليكم غضبا وان كان كاذبا فانتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنه تلك الليلة فاصبحوا وجوههم
مصفرة فايقنوا بالعذاب وطلبوا صالحا ليقتلوه فهرب صالح والتجأ الى سيد بعض بطون ثمود
وكان مشركا فغيبه عنهم فلم يقدروا عليه ثم شغلهم عنه ما نزل بهم من العذاب فهذا قوله تعالى ولا يخاف
عقباها **سورة والليل مكية وهي احدى وعشرون آية** قال القفال رحمه الله هذه السورة نزلت
في ابي بكر رضي الله عنه وانفاقه على المسلمين وفي امية بن خلف وبخله وكفره بالله الا انها وان كانت
كذلك فمعانيها عامة للناس اما اتصال هذه السورة بسورة الشمس فهو ان آخر تلك مشتمل على بيان
قبائح افعال قوم ثمود وشقاوتهم ووعيدهم بالعذاب كما مر واول هذه السورة مشتمل على القسم بكذا او كذا
في بيان قبائح افعال امية بن خلف وشقاوته فانه اشقى القوم بسم الله الرحمن الرحيم
والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى انه تعالى اقسم بالليل لما فيه كون الخلق في الاضطراب
وسكون راحتهم بالنوم ثم اقسم بالنهار لما فيه الانكشاف بالضوء لما في الدنيا من الظلمة وفيه من
المصالح ولا نسكن في ان الدهر كله اذا كان ليلا فقد تعذر المعاش واذا كان نهارا فقد تعذرت الراحة اما قوله
والليل اذا يغشى اي يغشى الليل النهار بظلامه والنهار اذا تجلى اي ظهر بزوال ظلمة الليل وقوله تعالى
وما خلق الذكر والانثى فيه وجوه احدها اي والقادر الذي قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد
وقيل هما آدم وحواء وثانيها اي خلقه الذكر والانثى وثالثها ما بمعنى من اي من خلق الذكر والانثى والثاني
قرأ النبي عليه السلام والذكر والانثى وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه والذي خلق الذكر والانثى وعن الكسائي وما
خلق الذكر والانثى بالجر اي وخلق الله الذكر والانثى ويجوز اضمار اسم الله لانه المعلوم انه لا خالق الا هو
لان القسم بالذكر والانثى يتناول القسم بجميع ذوي الارواح الذين هم اشرف المخلوقات وقوله تعالى **ان سعيكم
لشتى** هذا جواب القسم فاقسم الله تعالى بهذه الاشياء ان اعمال عباده لشتى اي مختلف في الجزاء وشتى جمع

شتيت

شتيت مثل مرضى ومريض وانما قيل للمختلف شتى لتباعد ما بين بعضه وبعضه ثم انهم قالوا نزلت
هذه الآية في ابي بكر وابي سفيان ثم انه تعالى بين معنى اختلاف الاعمال فيما قلناه من العاقبة المحمودة والمذمومة
والثواب والعقاب فقال تعالى **فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل
واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى** وفي اعطى وجهان احدهما ان يكون المراد انفاق
المال في جميع وجوه الخير من عتق الرقاب وفك الاسارى وغير ذلك كما كان يفعله ابو بكر رضي الله عنه وثانيهما
ان قوله تعالى اعطى يتناول اعطاء حقوق المال واعطاء حقوق النفس في طاعة الله سبحانه وقوله واتقى فهو اشارة
الى الاحتراز عن كل ما لا ينبغي والكلام في التقوى وشرائطه قد تقدم وقوله تعالى وصدق بالحسنى وفي الحسنى
وجوه احدها قول لا اله الا الله والمعنى فاما من اعطى واتقى وصدق بالتوحيد والنبوة حصلت له الحسنى
وثانيها ان الحسنى عبارة عما فرضه الله تعالى من العبادات البدنية والمالية وثالثها الحسنى هو الخلف الذي
وعده الله في قوله تعالى وما انفقتم من شيء فهو يخلفه ثم الخلف لما كان زائدا صح اطلاق لفظ الحسنى عليه وعلى
هذا المعنى وكذب بالحسنى اي لم يصدق بالخلف فبخل بماله لسوء ظنه بالمعبود كما قال بعضهم منع الموجود
سوء الظن بالمعبود ورابعها ان الثواب وقيل انها الجنة واحد واما قوله فسنيسره لليسرى ففيه مباحث الاول
قالوا في تفسير لفظ العسرى انها الشر على خلاف تفسير لفظ اليسرى فانها الخير والمراد من ذلك التيسير ومن
هذا التفسير الثاني اليسرى هي العود الى الطاعة التي اتى بها اولا فكانه قال فسنيسره الاعطاء لان يعود اليه
في سبيل الله وقالوا في العسرى ضد ذلك اي نيسره لان يعود الى الامتناع من اداء الحقوق المالية الثالث
قال القفال هذا باعتبار الوصف في الاعمال وكل ما كانت عاقبته محمودة فهو من اليسرى وكل ما كانت عاقبته
مذمومة فهو من العسرى هذه الوجوه من تفسير هذين اللفظين واما تأنيث هذين اللفظين ففيه وجوه
ايضا احدها ان المراد من كل واحد منهما ان كان جماعة من الاعمال فوجه التأنيث ظاهر وان كان واحدا من الاعمال
رجع التأنيث الى الخلة والفضلة وان كان المراد من اليسرى تيسيرا كما مر رجع التأنيث الى العقود
وثانيها ان يكون مرجع التأنيث الى الطريقة وكأنه قال للطريقة اليسرى والعسرى وثالثها ان العبادات
امور شاقة على البدن فاذا علم المكلف انها تؤدي الى الجنة سهلت تلك الافعال الشاقة عليه فسماها الله تعالى الجنة

يسرى ثم علل حصول التيسير في اداء الطاعات بهذه اليسرى وفي العسرى بالضد هذه الوجوه في
التأنيث واما في التفسير فوجوه كذلك لان من فسر اليسرى بالجنة فسر التيسير لليسرى بادخال الله
اياهم في الجنة وفي الجنة سهولة واكرام قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم الاية واما من فسر اليسرى
باعمال الخير فالتيسير لها هو تسهيلها على من اراد واعلم بان قوما من الناس تمسكوا بهذه الاية على
صحة قولهم في التوفيق والخذلان وذلك لان قوله تعالى فسنيسره لليسرى يدل على انه تعالى خص المؤمن بهذا
التوفيق وقوله فسنيسره يدل على انه خص الكافر بهذا الخذلان يعني يرجح الطاعات بالنسبة الى المؤمن
على المعصية والمعصية الى الكافر على الطاعات والمرجوح ممتنع بالضرورة فيجب حصول الراجح اجاب القفال عنه
ان تسمية احد الضدين باسم الاخر مجاز قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فلما سمى الله تعالى فعل
الالطاف الداعية الى الطاعات تيسيرا لليسرى سمى ترك هذه الالطاف تيسيرا للعسرى والاعتراض على هذا الجواب
هو انه عدول عن الظاهر من غير ضرورة وذلك غير جائز واما ادخال السين في قوله فسنيسره فذلك
باعتبار الثواب لانه بكماله يكون في الاخرة وكان ذلك مما لم يأت وقته ولا يقف على وقته احد الا الله لاجرم
دخله تراخ فادخلت لانها حرف تراخ ليدل بذلك على ان الوعد اجل غير حاضر قوله تعالى **وما يغني عنه
ماله اذا تردى** فكلمة ما يحتمل ان يكون استفهاما بمعنى الانكار ويحتمل ان يكون نفيا واما اذا تردى
ففيه وجهان احدهما ان يكون ماخوذا من قولك تردى من الجبل قال تعالى والمتردية والنطيحة فيكون المعنى
تردى في الحفرة اذا قبر وتردى في قعر جهنم وتقدير الاية انا اذا يسرناه للعسرى وهي النار تردى
في جهنم فماذا يغني عنه ماله الذي بخل به وتركه لوارثه وثانيهما ان تردى تفعل من الردى وهو الهلاك
يريد الموت اما قوله تعالى **ان علينا للهدى** انه تعالى لما بين ان سعيهم في العواقب وبين ما للمحسن من اليسرى
وللمسيء من العسرى اخبرهم انه قد قضى ما عليه من البيان والترغيب والترهيب والارشاد والهداية فقال
ان علينا للهدى اي ان الذي يجب علينا في الحكمة اذا خلقنا الخلق للعبادة ان نبين لهم وجوه التعبد
وما يلزم التعبد فقد فعلنا ما كان فعله واجبا علينا في الحكمة والمعتزلة احتجوا بهذه الاية على انه يجب
للعبد على الله شيء فان كلمة على للوجوب وانه من جملة ما قد مر الكلام فيه ثم قال الواحدي قال المعنى ان علينا

للهدى

66

للهدى وللاضلال لانه من باب سرابيل تقيكم الحر والله اعلم اما قوله تعالى **وان لنا للاخرة والاولى** اي ان
لنا كل ما في الدنيا والاخرة فلا تنقصنا في ملكنا من الاهتداء وتركه وقيل اي ان لنا ملك الدارين فليطلب
سعادة الدارين منا واما قوله تعالى **فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى**
تلظى اي تتوقد وتتلهب ثم بين انها لمن هي بقوله لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى قال ابن عباس رضي الله عنهما
نزلت في امية بن خلف وامثاله وقيل ان الاشقى بمعنى الشقي فالمعنى لا يدخلها الا الكافر لانه شقي كذب
بايات الله وتولى اعرض عن طاعة الله قال القاضي رحمه الله لا يمكن اجراء هذه الاية على ظاهرها لوجوه منها انه
يقتضي ان لا يدخل النار الا الاشقى الذي كذب وتولى وليس كذلك فان الشقي يدخلها ومنها ان هذا
اغراء بالمعاصي لانه بمنزلة ان يقول الله تعالى لمن صدق بالله ورسوله ان المعاصي التي اقدمت لا تضره
غير انه ضعيف فان التعذيب غير منحصر في ادخال النار ومنها ان قوله تعالى وسيجنبها الاتقى انه يدل على ترك هذا
الظاهر لان الفاسق ليس بتقي والاتقى مبالغة في التقوى فاذن لا بد من التاويل وذلك على وجهين
احدهما ان يكون المراد بقوله نارا تلظى النار المخصوصة لانها دركات قال تعالى ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار وثانيهما ان يكون المراد به النيران اجمع ويكون المراد بقوله تعالى لا يصلاها الا الاشقى
اي هذا الاشقى به احق وهذا ضعيف فانه ترك الظاهر من غير دليل اما قوله تعالى **وسيجنبها الاتقى الذي
يؤتي ماله يتزكى** والمراد سيبعدها ويجعل منها على جانب وفيه مباحث الاول اجمع المفسرون على ان
المراد منه ابو بكر رضي الله عنه وعند الشيعة هو علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما ان قوله تعالى الاتقى الذي يؤتي ماله
يتزكى كناية الى الامام قوله تعالى ويؤتون الزكاة وهم راكعون وهذا في حيز المنع عند اهل التفسير ثم انهم قالوا
ان المراد من هذا الاتقى هو الافضل وافضل الخلق هو ابو بكر رضي الله عنه غير انه في حيز المنع ايضا عند الشيعة
واما الاستدلال بقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم فذلك ضعيف لما يدل على ان الاكرم هو الاتقى لا ان الاتقى
هو الاكرم والاكرم هو الافضل وقد قالوا ايضا ان الامة مجمعة على ان افضل الخلق بعد الرسول اما ابا بكر
واما علي ولا يمكن هذه الاية على علي لانه قال في صفة هذا الاتقى **وما لاحد عنده من نعمة تجزى** وهذا الوصف
لا يصدق على علي لانه في تربية النبي صلى الله عليه وسلم لانه اخذه من ابيه وكان يطعمه ويسقيه فيلزم حمل الاية على

ابي بكر رضي الله عنه نعم كان للرسول عليه نعمة الهداية والارشاد الى الدين الا ان هذه لا تجزى لقوله تعالى
ما اسألكم عليه من اجر والمذكور ههنا ليس مطلق النعمة بل نعمة تجزى فعلمنا ان هذه الاية لا تصلح لعلي بن
ابي طالب. الثاني قال في الكشاف في محل تجزى وجهان احدهما انه اذا كان بدلا من يؤتي فلا محل له لانه في حكم
الصلة واذا كان حالا من الضمير في يؤتي فمحله النصب اما قوله تعالى **الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف**
يرضى ففيه مباحث الاول ابتغاء وجه ربه مستثنى من غير جنسه وهو النعمة اي ما لاحد عنده نعمة الا ابتغاء
وجه ربه وقال الفراء بوجه آخر وهو ان يضمر الانفاق فكانه قال وما ينفقون الا ابتغاء وجه الله الثاني
اعلم انه تعالى بين ان هذا الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى لا يؤتيه مكافاة على هدية او نعمة سالفة لان ذلك
يجري مجرى اداء الدين الثالث المجسمة تمسكوا بلفظ الوجه وغيرهم من الجهال بلفظ ربه الاعلى على وجود
رب آخر وقد تقدم الكلام فيهما الرابع ذكر القاضي ابو بكر الباقلاني في كتاب الامامة ان الاية الواردة
في حق علي رضي الله عنه هي انما نطعمكم لوجه الله الاية والاية الواردة في حق ابي بكر رضي الله عنه الا ابتغاء
وجه ربه الاعلى الاية ويفهم من الايتين ان كل واحد منهما انما فعل ما فعل لوجه الله الا ان اية علي
دلت على فعله لوجه الله وللخوف من يوم القيمة على ما قال انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا واما اية ابي
بكر رضي الله عنه فانها دلت على ان فعله لمحض وجه الله فكان مقام ابي بكر اعلى الخامس قرأ يحيى بن وثاب الا ابتغاء
وجه ربه بالرفع على لغة من يقول ما في الدار احد الا حمار قال وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس اما
قوله تعالى ولسوف يرضى فالمعنى انه وعد ابا بكر ان يرضيه في الاخرة بثوابه وهو كقوله ولسوف يعطيك ربك
فترضى ولا يبعد ان يقال المراد انه ما انفق الا طلب رضوان الله ولسوف يرضى الله عنه وهذا اولى لان رضى
الله تعالى عنه اكمل للعبد من رضاه عن ربه **سورة والضحى وهي احدى عشرة اية** بسم الله الرحمن الرحيم
والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى قال في آخر تلك السورة في حق الصديق رضي الله عنه
ولسوف يرضى اي يمكن ان يفعل الله تعالى في الاخرة ما يكون برضائه وفي اول هذه السورة اقسم بانه تعالى
ما ترك الرسول وما ابغضه في الدنيا بل اصطفاه فيفعل في الاخرة ما يكون برضائه اذا عرفت هذا
فنقول لاهل التفسير في قوله والضحى وجهان احدهما ان المراد منه وقت الضحى وهو صدر النهار

ارتفاع

ارتفاع الشمس ووقت الشعاع وثانيهما هو النهار كله بدليل انه جعله في مقابلة الليل كله واما قوله تعالى
والليل اذا سجى ففيه ثلاثة اوجه سكن واظلم وغطى قال ابو عبيدة سجى اي سكن يقال ليلة ساجية
اي ساكنة الريح وقال الفراء سجى اظلم وركد في طوله وقال الاصمعي سجى اي غطى النهار ثم هذه الثلاثة
متقاربة واقوال المفسرين غير خارجة عن هذه الثلاثة فقال ابن عباس رضي الله عنهما غطى الدنيا بالظلمة وقال
الحسن البس الناس ظلامه وقال مجاهد استوى والسدي سكن بالناس وانه عبارة عن استقرار ظلامه
واستوائه ثم في هذا الموضع سؤالات الاول ما الحكمة في انه تعالى قدم ذكر الليل في تلك السورة واخره في هذه
السورة والجواب الاقرب ان تلك السورة سورة ابي بكر وابو بكر من جملة من سبقه ظلمة الكفر وهذه السورة
سورة محمد ومحمد من جملة من سبقه نور الاسلام والجواب الاخر عنه ان الليل كالدنيا والنهار كالاخرة
وتقدم الدنيا لازم لكل من يحتاج الى اصلاح امره في الاخرة بحصول المغفرة فيها ولا يكون لازما لمن
لا يحتاج اليه بل المغفرة حاصلة له في الدنيا والاخرة الثاني ما الحكمة في القسم بالضحى والليل فقط و
الجواب كانه تعالى يقول ان الزمان ساعة فساعة ساعة ليل وساعة نهار ثم تارة تزداد ساعات الليل وتارة تزداد
ساعات النهار فلا تلك الزيادة لهوى ولا ذلك النقصان لقلى بل للحكمة كذلك الرسالة وانزال الوحي بحسب
المصالح فمدة انزال ومدة حبس فلا كان الانزال عن هوى ولا كان الحبس عن قلى الثالث لم خص وقت
الضحى بالذكر والجواب ان ذلك الوقت وقت كلم فيه موسى ربه والقي السحرة سجدا فاكتسى الوقت صفة
الفضيلة الرابع ما السبب في انه تعالى ذكر الضحى وهو ساعة من النهار وذكر الليل بكليته والجواب عنه بوجوه منها
وهو الاقرب من تلك الجملة انه اشار الى ان ساعة من النهار توازي جميع الليل كما ان محمدا اذا وزن يوازي
جميع الانبياء عليهم السلام اذ الليل وقت الغفلة بخلاف النهار والاولى ان يجاب عنه انه تعالى ما ذكر الليل
بكليته بل ذكر من الليل ما يكون عند السحر وانه من الليل مثل ما يكون عند الضحى من النهار فكما ان
ذلك صدر النهار فهذا صدر الليل واما التقديم فلان الضحى وقت حركة الخلق والحركة من امارات
الحيوة وذلك الوقت من الليل وقت السكون والسكون من امارات الموت والحيوة مقدمة على الموت
الخامس هل يفسر الضحى بوجه محمد عليه السلام والليل بشعره والجواب انه من جملة ما لا استبعاد فيه

فيكون في حيز الامكان ومنهم من زاد عليه فقال والضحى ذكور اهل البيت والليل اناثهم وبالجملة
ففيه من الاقاويل البعيدة فالاشتغال بذكرها اشتغال بما لا يعنيه قوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى
فيه مسائل الاولى قال المبرد ودعك من التوديع وقرئ بالتخفيف والتوديع مبالغة في الترك والقلى
البغض يقال قلاه يقليه قلى ومقلية اذا ابغضه قال الفراء وما قلاك وقد حذفت الكاف اكتفاء
بالكاف في ودعك الثانية قالوا ابطا جبريل عن النبي عليه السلام فالمشركون قالوا قد قلاه الله وودعه
فانزل الله تعالى هذه الآية والاصح من جميع الروايات فيه هذه الرواية وعن الحسن رح قال ابطا على الرسول
صلى الله عليه وسلم الوحي فقال لخديجة ان ربي ودعني وقلاني فقالت كلا والذي بعثك بالحق ما
ابتداك الله بهذه الكرامة الا وهو يريد ان يتمها لك ما ودعك ربك وما قلى واهل الاصول طعنوا في
هذه الرواية وقالوا انه لا يليق بالرسول ولا يبعد ان غرض النبي عليه السلام ان يخبر بها ليعرف قدر
علمها ثم اختلفوا في مدة انقطاع الوحي منهم من قال اثنا عشر يوما ومنهم من قال خمسة عشر و
منهم من قال خمسة وعشرين وهو قول ابن عباس وعند السدي ومقاتل في مدة اربعين يوما واختلفوا
في سبب احتباس جبريل عليه السلام وذكروا فيه من الروايات البعيدة والاقرب منها وهو قول الاكثر
ان اليهود سالوا رسول الله عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف فقال ساخبركم غدا ولم
يقل ان شاء الله وقال ابن زيد السبب فيه كون جرو في بيته للحسن والحسين فلما نزل جبريل
عليه السلام عاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما علمت انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة وروي انه
كان فيهم من لا يقلم الاظفار ثم لقائل ان يقول هذه الروايات تدل على انقطاع الوحي في تلك
المدة عن قلى فيقول بل لا بد لان ذلك ترك الافضل وصاحبه لا يكون مبغوضا وله ان يقول
ايضا كيف يحسن للسلطان ان يقول لاعلم الخلق قربة عنده اني لا ابغضك تشريفا له
فنقول ان ذلك لا يحسن ابتداء لكن الاعداء اذا القوا في الالسنة ان السلطان يبغضه ثم تاسف
ذلك العبد فلا لفظ اقرب الى التشريف من ان يقول له لا ابغضك ولا ادعك لنا هذه الواقعة
تدل على ان القران من عند الله اذ لو كان من عنده لما امتنع قوله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى

اما اتصال هذه الآية بما قبلها فذلك ان قوله تعالى ما ودعك ربك تشريف عظيم وكانه استعظم
هذا التشريف فقيل له وللآخرة خير لك من الاولى فذلك بوجوه منها كانه تعالى يقول له
انك في الدنيا على خير لانك تفعل فيها ما تريد ومنها ان الآخرة خير لك لانك مع جميع امتك فيها
والامة كالاولاد قال الله تعالى وازواجه امهاتهم ومنها ان الآخرة خير لك لان الكفار يطعنون
فيك ولا تفتضحون فيها وفي الآخرة على العكس ومنها انه تعالى جعل امتك شهداء على جميع الخلائق في
الآخرة واجعلك شهيدا على الانبياء ثم اجعل ذاتي شهيدا لك كما قال الله تعالى وكفى بالله شهيدا
محمد رسول الله ومنها ان الخير في الدنيا قليل ومنقطع وفي الآخرة كثير ودائم فان قيل لم قال وللآخرة
خير لك ولم يقل خير لكم فنقول لانه كان في جماعته من كانت الآخرة شرا له فلو انه سبحانه عمم ذلك
لكان كذبا ولو خصص المطيعين بالذكر لافتضح المذنبون والمنافقون ولهذا السبب قال موسى عليه السلام
كلا ان معي ربي سيهدين واما محمد عليه السلام فالذي كان معه لما كان من اهل السعادة قطعا
لا جرم قال ان الله معنا اذ لم يكن ثمة الا نبي وصديقه وكان موسى عليه السلام خرج للاستسقاء
ومعه الالوف ثلاثة ايام فلم يجدوا الاجابة فسال موسى عليه السلام عن السبب الموجب لعدم الاجابة
فقال لا اجيبكم ما دام معكم ساع بالنميمة فقال موسى من هو فقال ابغضه فكيف اعمل عمله فما مضت
مدة قليلة حتى نزل الوحي بان ذلك النمام قد مات وهذه جنازته في المصلى كذا فذهب موسى عليه السلام
الى ذلك المصلى فاذا فيها سبعون من الجبان فهذا ستره على اعدائه فكيف على اوليائه ثم تامل فان فيه
دقيقة لطيفة فانه عليه السلام قال لولا شيوخ ركع ففيه زيادة لي فضيلة هذه الامة فانه تعالى كان يرد
الالوف لمذنب واحد وههنا يرحم المطيعين بمطيع واحد قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى
اعلم انه تعالى لما قال ان الآخرة خير له من الاولى اتبعه بما يدل عليه فقال ولسوف يعطيك ربك فترضى لانه
يعطيه كل ما يريده وانه يمكن ان يكون بالمنافع ويمكن ان يكون بالمجموع وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما
ان هذا هو الشفاعة في الامة وانه مناسب لقوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات اذ الاستغفار
عبارة عن طلب المغفرة ومن طلب شيئا فلا شك انه لا يريد الرد ولا يرضى وانما يرضى بالاجابة واذا

حملنا الآية على احوال الآخرة فاما اذا حملناها على احوال الدنيا فهو اشارة الى ما اعطاه الله
من الظفر باعدائه ودخول الناس في الدين افواجا واعلم ان الحمل على احوال الآخرة اولى ثم في
هذا الموضع سؤالات الاول لم لم يقل يعطيكم مع ان هذه السعادات له وللمؤمنين ايضا والجواب
انه المقصود وهم اتباع والاتباع في حكم المتبوع بطريق التبعية فلا حاجة الى الذكر الثاني ما الفائدة
في قوله ولسوف ولم يقل وسيعطيك والجواب ان من الفوائد فيه وهو يدل على انه ما قرب اجله بل يعيش
بعد ذلك زمانا وان السين من سوف عند النحاة يدل على الاقرب من الزمان وسوف يدل على الابعد منه وثانيها
ان المشركين لما قالوا ودعه وقلاه فالله تعالى رد عليهم بعين ذلك اللفظ فقال ما ودعك
ربك وما قلى ثم قال المشركون سوف يموت محمد فرد الله عليهم ذلك بهذه اللفظة فقال و
لسوف يعطيك ربك فترضى الثالث كيف يقول الله ولسوف يعطيك ربك والجواب هذه السورة من
اولها الى آخرها كلام جبرئيل عليه السلام الرابع ما هذه اللام والجواب انها لام الابتداء والتقدير
ولانت سوف يعطيك ربك فيقدر المبتدأ لان لام الابتداء لا يدخل الا على الجملة من المبتدأ والخبر
فان قيل ما معنى الجمع بين حرفي التوكيد والتاخير قلنا معناه ان العطاء كائن لا محالة
وان تأخر لما فيه من المصلحة قوله تعالى الم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى
ووجدك عائلا فاغنى فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر واما بنعمة ربك
فحدث فيه مباحث الاول انه تعالى بين ما يكون من التربية في الانتهاء بقوله ولسوف يعطيك ثم بين
ما يكون من التربية في الابتداء بقوله الم يجدك يتيما فآوى وفيه من التربية لما حصلت بدون
الخدمة فكيف لا يحصل بعد الخدمة الثاني الم يجدك من الوجود الذي بمعنى العلم والمعنى الم يعلمك
الله يتيما فآوى والكلام في بيان اليتيم قد مر وقد قيل في هذا الموضع انه من قولهم درة يتيمة
والمعنى الم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فآواك اي جعل لك من يأوي اليه وابن طالب
فآوى وهو على معنيين اما آواه بمعنى آواه واما آوى له اذا رحمه وهنا سؤال الاول كيف يحسن من
الجواد ان يمن بنعمه فيقول الم يجدك يتيما والجواب ان ذلك يحسن اذا قصد بذلك ان يقوي

قلبه

قلبه ويعده بدوام النعمة الثاني انه تعالى من عليه بثلاثة اشياء ثم امره بان يذكر نعمة ربه فما وجه
المناسبة بين هذه الاشياء والجواب وجه المناسبة ان يقول قضاء الدين واجب والدين نوعان مالي
وانعامي والانعامي اقوى وجوبا لان المالي قد يسقط بالابراء والانعامي يتأكد به والمالي يقضى
مرة فينجو الانسان منه والانعامي يجب عليك قضاؤها طول عمرك ثم اذا تعذر قضاء النعمة القليلة من
منعم هو مملوك فكيف قضاء النعمة العظيمة من المنعم الذي هو مالك وكان العبد يظهر عجزه عن قضاء نعمه
التي لا حد لها ولا عد فيقول الله تعالى الطريق الى ذلك ان يفعل في حق عبيدي ما فعلته في حقك كنت يتيما
فآويتك فافعل في حق الايتام ذلك وكنت ضالا فهديتك فافعل في حق عبيدي ذلك وكنت عائلا فاغنيتك
فافعل في حق عبيدي ذلك ثم اذا فعلت جميع ذلك فاعلم انك انما فعلتها بتوفيقي ولطفي وارشادي فكن
ابدا ذاكرا لهذه النعمة والالطاف اما قوله ووجدك ضالا فهدى واعلم ان من الناس من قال انه كان كافرا
في اول الامر ثم هداه الله تعالى وجعله نبيا وقال الكلبي ووجدك ضالا يعني كافرا في قوم ضلال فهداك
للتوحيد وقال السدي كان على دين قومه اربعين سنة وقال مجاهد وجدك ضالا عن الهدى فهداك لدينه
واحتجوا على ذلك بآيات منها ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وقوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين
وقوله لئن اشركت ليحبطن عملك فانه يقتضي صحة ذلك وانه اذا صح وجب حمل قوله ووجدك ضالا
عليه اما الجمهور فقد اتفقوا على انه عليه السلام ما كفر بالله اصلا ثم قالت المعتزلة انه ممتنع عقلا
لما فيه من التنفير واهل السنة قالوا انه غير ممتنع عقلا لانه جائز في العقول ان يكون الشخص كافرا
فيرزقه الله الايمان ويكرمه بالنبوة بل هو ممتنع سمعا بمعنى قام الدليل ان هذا الجائز غير واقع وهو
قوله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى ثم ذكروا وجوها كثيرة احدها روي عن ابن عباس والحسن
والضحاك ووجدك ضالا عن معالم النبوة في احكام الشريعة غافلا عنها فهداك اليها وهو المراد من
قوله ما كنت تدري ما الكتاب الاية وثانيها ما روي مرفوعا انه قال ضللت عن جدي عبد المطلب وانا صبي ضائع
كاد الجوع يقتلني فهداني الله ذكره الضحاك وثالثها انه عليه السلام لما خرج مع غلام خديجة ميسرة
اخذ كافر بزمام بعيره حتى ضل فنزل جبرئيل صلوات الله عليه على صورة آدمي فهداه الى القافلة وروي انهما

ما قيل ان ابا طالب خرج به الى الشام فضل في الطريق فهداه الله وخامسها يقال اضل الماء في اللبن
اذا صار مغمورا فمعنى الآية كنت مغمورا بين الكفار فقواك الله حتى اظهرت دينه وسادسها العرب تسمي
الشجرة الفريدة في الفلاة ضالة كانه تع يقول كانت تلك البلاد كالمفازة ليست فيها شجرة فريدة وهي
مفازة الجهل فوجدتك ضالا فهديت بك الخلق وسابعها وجدك ضالا عن معرفة الله حين كنت طفلا
كما قال تع والله اخرجكم من بطون امهاتكم الآية فخلق فيك العقل والهداية والمعرفة وثامنها
كنت ضالا عن النبوة ما كنت تطمع ذلك ولا خطر ببالك فهديتك الى النبوة وتاسعها قد يخاطب
ويكون المراد قومه والمعنى وجد قومك ضالا فهداهم بك وعاشرها وجدك ضالا اي الضالين منفردا عنهم
مجانبا لدينهم وكلما كان بعدك عنهم اشد كان ضلالهم اشد فهداك الى ان اختلطت بهم ودعوتهم
الى الدين المبين الحادي عشر وجدك ضالا عن الهجرة ومتحيرا في يد قريش متمنيا فراقهم وكان لا يمكنك
الخروج بدون اذنه تعالى فلما اذن له ووافقه الصديق وهداه الى خيمة ام معبد وكان ذلك المراد
بقوله فهدى الثاني عشر ضالا عن القبلة فانه كان يتمنى ان يجعل الكعبة قبلة فهداه اليه بقوله
فلنولينك قبلة ترضيها الثالث عشر الضلال بمعنى المحبة كما في قوله تع انك لفي ضلالك القديم
اي محبتك ومعناه انه يحبه فهداه الى الشرايع التي يتقرب الى حضرته محبوبه الرابع عشر وجدك
ضالا اي ناسيا كقوله تع ان تضل احداهما فهديتك اي ذكرتك وذلك انه ليلة المعراج نسي ما
يجب ان يقال بسبب الهيبة فهداه الله تع الى كيفية الثناء حتى قال لا احصي ثناء عليك الخامس عشر
ضالا اي ضايعا في قومك يؤذونك ولا يرضون بك رغبة فقوى امرك الى ان صرت و
عليهم السابع عشر كنت ضالا ما كنت تهتدي طريق السموات فهديتك اذ عرجت بك ليلة المعراج
الثامن عشر انه حين ظهر له جبرئيل عليه السلام في اول ما كان يعرف هو جبرئيل ام لا وكان يخاف
خوفا شديدا وبرعاه فاراد ان يلقي نفسه من الجبل فهداه حتى عرف انه جبرئيل عليه السلام التاسع
عشر انه وان كان عارفا بالله بقلبه الا انه ما كان في الظاهر لا يظهر لهم خلافا فعبر عن ذلك بالضلال
ولنقتصر على هذه الوجوه فان التوضيح لجميع ما ذكروه من الوجوه قليل الفائدة اما قوله تع ووجدك

عائلا

عائلا فاغنى ففيه مباحث الاول العائل ذو العيلة كما مر في قوله ان لا تعولوا ثم اطلق العائل على الفقير
وان لم يكن له عيال وفي هذا الموضع فيه قولان احدهما ان المراد هو الفقير وهو المشهور ثم في
كيفية الاغناء وجوه احدها انه تع اغناه بتربية ابي طالب ولما اختلف احوال ابي طالب اغناه
بمال خديجة ولما اختل ذلك اغناه بمال ابي بكر ولما اختل ذلك بالهجرة واغناه باعانة الانصار ثم
امره بالجهاد واغناه بالغنايم وثانيها واغناه باصحابه قال تع حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين
وثالثها اغناه بالقناعة يستوي عنده الفقر والغنى وانه استغنى بقناعته فان الغنى غنى النفس لا به
ورابعها انه كان عائلا عن البراهين والحجج فانزل الله تع عليه القران وعلمه قال وعلمك ما لم تكن تعلم
والقول الثاني هو انك كنت كثير العيال وهم الامة وكفاك وقيل فاغناهم بك لانهم فقراء بسبب جهلهم
وهنا سؤالات الاول ما الحكمة في انه تع اختار اليتيم قلنا فيه وجوه منها ان يعرف قدر اليتيم فيقوم
بامره ومنها ليكون اليتيم مشاركا له في الاسم فيكرم لاجل ذلك ومنها ان العادة جارية بان اليتيم
لا تخفى عيوبه بل تظهر فاختار له اليتيم ليتأمل كل احد في احواله ثم لا يجد عليه مطعنا ومنها جعله يتيما
ليعلم كل احد ان فضيلته فضل من الله ومنها ان اليتيم والفقر نقص في حق الخلق فلما صار اكرم الخلايق
مع هذين كان ذلك من جنس المعجزات الثاني ما الحكمة في ان الله تع ذكر هذه الاشياء والجواب ان لا ينسى
نفسه فيقع في العجب اما قوله تع فاما اليتيم فلا تقهر وقرئ ولا تكهر اي لا تعبس في وجهه والمعنى
عامله بمثل ما عاملتك به ثم قال تع واما السائل فلا تنهر يقال نهره وانتهره اذا استقبله بكلام يزجره
والمراد من السائل من يسال العلم وهو اختيار الحسن رح ومنهم من قال المراد مطلق السائل وهذا هو الاقرب
ثم انه تع عاتب رسوله في القران في شان الفقراء في ثلث مواضع احدها ما مر في تفسير عبس وتولى وثانيها
حين قال له قريش لو جعلت لنا مجلسا وللفقراء مجلسا اخر فهم ان يفعل ذلك فنزل قوله واصبر
نفسك مع الذين يدعون ربهم وثالثها كان جالسا فجاء عثمان بعذق تمر فوضعه بين يديه فاراد ان
ياكل فوقف سائل بالباب فقال رحم الله عبدا يرحمنا فامر بدفعه الى السائل فكره عثمان ذلك واراد ان ياكله
النبي عليه السلام فخرج واشتراه من السائل ثم رجع السائل ثلث مرات وكان يعطيه النبي عليه السلام الى ان قال

عليه السلام انت سائل ام بايع فنزل واما السائل فلا تنهر ثم قال واما بنعمة ربك فحدث وفيه وجوه احدها قال مجاهد تلك النعمة هي القران فان القران اعلم ما انعم الله به عليه وثانيها وهو رواية عن مجاهد ايضا ان تلك النعمة هي النبوة اي بلغ ما انزل اليك من ربك وثالثها اذا وفقك الله فراعيت حق اليتيم والسائل فذلك التوفيق نعمة من الله عليك فحدث بها ليقتدي بك غيرك فان قيل ما الحكمة في ان الله تع اخر حق نفسه عن حق اليتيم والعائل قلنا فيه وجوه منها كانه يقول انا غني وهما محتاجان وتقديم حق المحتاج اولى ومنها انه وضع حظهما الفعل ورضي لنفسه بالقول ومنها ان المقصود من جميع الطاعات استغراق القلب في ذكر الله تع فلهذا ختم بحديث القلب واللسان ثم اختار قوله فحدث على قوله فخبر ليكون ذلك حديثا عنده لا ينساه ويعيده مرة بعد مرة

سورة الم نشرح مكية وهي ثمان ايات

يروى عن طاوس وعمر بن عبد العزيز ان والضحى والم نشرح سورة واحدة والذي دعاهما الى ذلك هو ان قوله الم نشرح كالعطف على قوله الم يجدك يتيما فاوى وعند الجمهور من اهل التفسير ليس كذلك الا ان الاتصال بين اول هذه السورة واخر تلك السورة ظاهر لانهما كالكلام الواحد كما يقول لواحد اذكر الايادي في حقك الم نعطك اللباس الم نعطك السلاح والافراس بسم الله الرحمن الرحيم الم نشرح لك صدرك استفهم من انتفاء الصدر على سبيل الانكار فافاد اثبات الشرح وكانه قيل شرحنا لك صدرك وفي شرح الصدر قولان احدهما ما روي ان جبريل عليه السلام اتاه وشق صدره واخرج قلبه وغسله وانقاه من المعاصي ثم ملاه علما وايمانا ووضعه في صدره ثم القاضي ومن تابعه طعنوا في هذه الرواية وقالوا ان هذه الواقعة انما وقعت في حالة الصغر وذلك من المعجزات فلا يجوز ان تتقدم نبوته لان تاثير الغسل في ازالة الاجسام والمعاصي ليست باجسام فلا يكون للغسل فيها اثر وايضا لا يصح ان يملا القلب علما بل الله تع يخلق فيه العلوم منهم من اجاب عن الاول ان تقديم المعجزة على زمان البعثة جائز عند اهل السنة وهو المسمى بالارهاص واما الثاني والثالث فلا يبعد ان يكون ذلك كعلامة يصح ان يعبر عن ذلك المعنى بهذه العبارة والقول الثاني ان المراد من شرح الصدر ما يرجع الى المعرفة والطاعة ثم ذكروا

فيه

فيه وجوها احدها لما بعث الى الجن والانس وكان يضيق صدره عن منازعة الجن والانس والبراءة من كل عابد ومعبود سوى الله تع فاتاه الله تع من اياته ما اتسع لكل ما حمله وذلك بان اخرج عن قلبه جميع الهموم وبالجملة فشرح الصدر عبارة عن علمه بحقارة الدنيا وكمال الاخرة قال تع فمن يرد الله ان يهديه الاية وثانيها ان يفتح صدره حتى انه كان يتسع لجميع المهمات والشرح التوسعة ومعناه الاراحة عن الهموم ثم في هذا الموضع سؤالات الاول لم ذكر الصدر ولم يذكر القلب لان محل الوسوسة هو الصدر على ما قال يوسوس في صدور الناس فازالة تلك الوسوسة وابدالها بدواعي الخير هي الشرح فلا جرم خص الشرح بالصدر دون القلب الثاني لم قال الم نشرح لك صدرك ولم يقل الم نشرح صدرك والجواب ان فيه تنبيها على كون منافع الرسالة عائدة الى النبي عليه السلام كانه تع قال انما شرحنا صدرك لاجلك لا لاجلي الثالث لم قال الم نشرح ولم يقل الم اشرح والجواب ان حملناه على نون التعظيم فالمعنى كانه تع يقول لم اشرحه وحدي بل اعملت فيه ملائكتي فكنت ترى الملائكة حواليك وبين يديك فاديت الرسالة فانت قوي القلب ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك وفيه مباحث الاول قال المبرد هذا محمول على معنى لا على لفظه لانك لا تقول الم وضعنا بل على معناه فان معناه قد شرحنا الثاني معنى الوزر ثقل الذنب وقد مر في قوله تع وهم يحملون اوزارهم واما قوله انقض ظهرك قال اهل اللغة الاصل فيه ان الظهر اذا اثقله الحمل سمع له نقيض اي صوت خفي وهو صوت المحامل والرحال فهو مثل لما كان يثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من اوزاره الثالث احتج بهذه الاية من اثبت المعصية للانبياء والجواب عنه من وجهين احدهما ان من جوز الصغائر على الانبياء حمل هذه عليها لا يقال الذي انقض ظهرك يدل على كونه من الكبائر فان ذلك لشدة اعتماد النبي عليه السلام بوقوعه منه وثانيها ان يحمل ذلك على غير الذنب وفيه وجوه احدها قال قتادة للنبي عليه السلام ذنوب سلفت منه في الجاهلية قبل النبوة وقد اثقلته فغفرها له وثانيها ان المراد تخفيف اعباء النبوة التي تثقل الظهر في القيام على حقوقها وثالثها ان ذنوب الامة ورابعها معناه

عصمناك عن الوزر الذي ينقض ظهرك اذ كان حاصلا وخامسها الوزر ما اصابه
من الهيبة والفزع في اول ملاقاة جبرئيل عليه السلام حين اخذته الرعدة وكان
يرمي بنفسه من الجبل وسادسها ما كان يلحقه من الاذى وسابعها ان المراد من الوزر
والثقل الحيرة التي كانت له قبل المبعث لانه بكمال عقله لما نظر الى عظم نعم الله تع عليه وكان
ينقض ظهره من الجبال ان ما كان يعرف انه كيف يطيع ربه ثم قال تع **ورفعنا لك ذكرك**
في جميع ما ذكروه من النبوة وشهرته في الارض والسماء وان اسمه مكتوب على الكون وانه
يذكر معه في الشهادة والتشهد وغير ذلك فان في الآيات ما يدل على شرفه وعلو شانه قال
اطيعوا الله واطيعوا الرسول ومن يطع الله ورسوله ثم قال تعالى **فان مع العسر يسرا**
ان مع العسر يسرا وفيه مباحث الاول في التعلق بما قبله ان المشركين كانوا
يعيرون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر فشق ذلك عليه حتى سبق الى وهمه انهم انما رغبوا
عن الاسلام لكونه فقيرا حقيرا عندهم فعدد الله تع عليه منته في هذه السورة قال الم نشرح
لك صدرك الى هذه الاية ثم وعده بالغنى في الدنيا ليزيل عن قلبه ما حصل فيه من التأذي
بسبب الفقر والدليل عليه دخول الفاء في قوله تعالى فان مع العسر يسرا الثاني قال ابن عباس
رضي الله عنهما يقول الله تعالى خلقت عسرا واحدا وخلقت يسرين فلن يغلب عسر يسرين
وروي عن النبي عليه السلام انه قال لن يغلب عسر يسرين وقرأ هذه الاية في تقرير هذا
المعنى وجهان احدهما وهو قول الفراء والزجاج العسر مذكور بالالف واللام وليس هناك
معهود سابق فينصرف الى الحقيقة فيكون المراد بالعسر في اللفظين شيئا واحدا واما اليسر
فانه مذكور على سبيل التنكير فكان احدهما غير الآخر وزيفه الجرجاني رحمه الله وقال اذا قال
الرجل ان مع الفارس سيفا يلزم ان يكون فارس واحد مع سيفان ومعلوم ان غير ذلك غير
لازم وثانيهما ان الجملة الثانية تكرير للاولى كما في قوله تع ويل يومئذ للمكذبين والغرض
تقرير معناها في النفوس وتمكنها في القلوب والمراد من اليسرين يسر الدنيا وهو ما تيسر من

استفتاح

استفتاح البلاد ويسر الآخرة وهو ثواب الجنة كقوله هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين
وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب فالمراد من قوله لن يغلب العسر يسرين هذا واما التنكير
في اليسر فهو التفخيم كانه قيل ان مع العسر يسرا عظيما ولا يظن ان اليسر مع العسر دفعة واحدة
وكيف وانهما ضدان فلا يجتمعان اعتبارا وقوع الشيء اذا كان بعد شيء بمدة يسيرة يصح ان يقال انه معه
ثم قال تع **فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب** انه تع لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده
بالنعم الآتية بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة فقال اذا فرغت فانصب اي فاتعب قال
مقاتل وقتادة والضحاك اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك وقال عبد الله اذا
فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل وقال الحسن رضي الله عنه اذا فرغت من الغزو فاجتهد في
العبادة وقال علي بن ابي طلحة المعنى اذا كنت صحيحا فانصب يعني اجعل فراغك نصبا في العبادة
وبالجملة فالمعنى ان يواصل بين بعض العبادات وبعضها ان لا يخلي وقتا من اوقاته واما قوله والى
ربك فارغب اي اجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه وقيل
ارغب في سائر ما يلتمسه دنيا ودينا ونصرة على الاعداء الى ربك وقرئ فرغب اي رغب الناس
الى طلب ما عنده والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب **سورة والتين مكية وهي ثمان آيات**
واتصالها بتلك السورة ظاهر لاشتمال كل واحدة منهما على الانعام في خفاء الكلام
على الخصوص في حق الرسول عليه السلام واما الاتصال بالآخر ففي آخر الاول الامر بالرغبة لشكر النعم كما
قال والى ربك فارغب وفي الاول بيان النعمة كما قال تع والتين والزيتون بسم الله الرحمن الرحيم
والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين واعلم انه لا يتوان ان يقال ان التين والزيتون
ليسا من النعم الشريفة فكيف يليق القسم بهما فهذا حصل فيه قولان الاول ان المراد هو التين
المشهور والزيتون المشهور قال ابن عباس رضي الله عنهما هو تينكم وزيتونكم هذا ثم ذكروا
من خواص التين والزيتون ما هو المشهور اما التين فانه غذاء وفاكهة ودواء اما كونه
غذاء فالاطباء زعموا انه طعام لطيف سريع الهضم يلين الطبع ويخرج بطريق الرشح

ويقلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح مسام
الكبد والطحال وهو خير الفواكه واحمدها وروي انه اهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق
من التين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة
الجنة بلا عجم فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن علي بن موسى الرضا رحمه الله التين
تزيل نكهة الفم وتطول الشعر وهو امان من الفالج واما كونه دواء فلانه يتداوى في اخراج فضول
البدن ومن خواصه ايضا منها اطيب الظاهر والباطن ومنها ان شجرة التين يخرج الثمر قبل
الورد ومنها اذا سقط عن موضعها يعود مرة اخرى ومنها ان من نالها في المنام نال مالا
كثيرا ومن اكلها رزقه الله تعالى اولادا ومنها روي ان آدم عليه السلام لما عصى وفارقت ثيابه
تستر بورق التين واما الزيتون فشجرته من الشجرة المباركة فاكهة من وجه وادام من وجه ودواء
من وجه وهي في اغلب البلاد لا تحتاج الى تربية الناس وفيه الدهن النافع مع انها في الجبال
التي ليس فيها شيء من الدهنية وقيل من اخذ ورق الزيتون في المنام استمسك بالعروة الوثقى وروي
انه قال مريض لابن سيرين رايت في المنام كانه قيل كل اللاءين تشفى فقال كل الزيتون فانه
لا شرقية ولا غربية ولما كان فيهما من المصالح والمنافع ما عداه وغيره ما علمناه كان في اللائق
القسم بهما واما القول الثاني فليس المراد بهما هاتان الثمرتان ثم ذكروا وجوها احدها قال
ابن عباس رضي الله عنهما هما جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا
لانهما منبتا التين والزيتون وكانه تعالى اقسم بمنابت الانبياء فالجبل المختص بالتين لعيسى عليه
السلام والزيتون بالشام مبعث اكثر انبياء بني اسرائيل والطور مبعث موسى عليه السلام
والبلد الامين مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فيكون المراد من القسم تعظيم الانبياء واعلاء درجاتهم
وثانيهما انهما مسجدان التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس ومنهم من قال
التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وعن ابن عباس رضي الله عنهما التين مسجد نوح
المبني على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس فلما كانت هذه المساجد في هذه المواضع

التي يكثر فيها التين والزيتون لا جرم اكتفى بذكر التين والزيتون وثالثها انهما
بلدان التين دمشق والزيتون بيت المقدس ومنهم من قال التين الكوفة و
الزيتون الشام وقيل هما جبلان بين حلوان وهمدان اما قوله تعالى وطور سينين
فالمراد من الطور الجبل الذي كلم الله تعالى الى موسى عليه السلام واختلفوا في
سينين والاولى عند النحويين ان يكون سينين وسينا اسما للمكان الذي حصل
فيه الجبل اضيف الى ذلك المكان واما المفسرون فقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية
عكرمة الطور الجبل وسينين الحسن بلغة الحبشة وقال مجاهد سينين المبارك
وقال الكلبي هو الجبل المشجر وقال المقاتل كل جبل فيه شجر مثمر بلغة النبط اما
قوله تعالى وهذا البلد الامين فالمراد مكة والامين الامن قال في الكشاف من امن الرجل
امانة فهو امين ويجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول من امنه لانه مامون الغوائل
كما وصف بالامن في قوله حرما آمنا وذكروا في كونه امنا وجوها احدها انه تعالى
حفظه عن الفيل على ما يأتيك شرحه ان شاء الله تعالى وثانيها انها تحفظ لك جميع
الاشياء فمباح الدم عند الالتجاء اليه آمن بل من السباع والصيود ثم قال تعالى
لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم والمراد من الانسان هذه الماهية والتقويم
تصيير الشيء على ما ينبغي ان يكون في التاليف والتعديل يقال قومته تقويما فاستقام
وذكروا في ذلك الحسن وجوها احدها انه تعالى خلق كل ذي روح مكبا على وجهه
الا الانسان وانه تعالى خلقه مديد القامة يتناول ماكوله بيده وتبلغ يده الى جميع بدنه
وقال الاصم في اكمل عقل وفهم وادب وعلم وبالجملة فالاول بحسب الظاهر
والثاني بحسب الباطن اما قوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين ففيه وجهان قال
ابن عباس رضي الله عنهما يريد ارذل العمر مثل قوله ثم يرد الى ارذل العمر وقال ابن قتيبة
السافلون هم الضعفاء من لا يقدر على العمل الصالح وقال الفراء ولو كانت

اسفل سافل لكان صوابا لان لفظ الانسان واحد وانت تقول هذا افضل قائم
ولا افضل قائمين الا انه قيل سافلين على الجمع لان الانسان في معنى الجمع كقوله تعالى
والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون وثانيهما ما قاله مجاهد والحسن
ثم رددناه الى النار قال علي رضي الله عنه وضع ابواب جهنم بعضها اسفل من بعض فيبدأ
بالاسفل فيملأ وهو اسفل السافلين اما قوله تعالى **الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**
فاعلم ان هذا الاستثناء على القول الاول منقطع والمعنى لكن الذين كانوا صالحين في
الهرم فلهم ثواب دائم على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله تعالى اياهم بالشيخوخة
والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة واما على القول الثاني فالاستثناء
متصل ظاهر الاتصال اما قوله تعالى **فلهم اجر غير ممنون** اي غير منقوص ولا مقطوع
وقيل غير ممنون اي لا يمن به عليهم ثم قال تعالى **فما يكذبك بعد بالدين** وفيه سؤالات
احدهما من المخاطب والجواب انه خطاب للانسان على طريقة الالتفات والمعنى فما الذي
يلجيك الى هذا الكذب وقال الفراء انه خطاب مع محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى فمن يكذبك
ايها الرسول بعد هذه الدلائل وثانيهما ما وجه التعجب ان خلق الانسان من النطفة
وتقويمه بشرا سويا وتدرجه في مراتب الزيادة الى ان يكمل ويستوي ثم تنكسه
الى ان يبلغ ارذل العمر دليل واضح على قدرة الخالق على الحشر والنشر فمن شاهد هذه
الحالة واصر على انكار الحشر فلا شيء اعجب منه ثم قال **اليس الله باحكم
الحاكمين** وفيه بحثان احدهما انهم ذكروا في تفسيره وجهين احدهما ان هذا
تحقيق لما ذكر من خلق الانسان ثم رده الى ارذل العمر يقول الله تعالى اليس الذي فعل ذلك
باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا وثانيهما انه تنبيه من الله تعالى لنبيه عليه السلام
بانه يحكم بينه وبين خصومه يوم القيمة بالعدل والثاني من البحثين قال القاضي
هذه الآية من اقوى الدلائل على انه تعالى لا يفعل القبيح ولا يخلق افعال العباد ما فيه من

السفه

74

السفه والظلم اذ السفه مما ينافي الحكمة والظلم كذلك وهذا البحث من جملة ما قرر
غير مرة والجواب هو المعارضة بالعلم والداعي ولان السفيه من قامت به السفاهة
لا من خلق السفاهة كما ان المتحرك من قامت به الحركة لا من خلقها واعلم بان الامام
فخر الدين الرازي رحمه الله قال في تقرير امر المعاد ان المقصود من سورة والتين
بيان هذا المطلب وتقريره انه تعالى اقسم باربعة اشياء على امرين احدهما انه
خلق الانسان في احسن تقويم والثاني انه تعالى رده من تلك الخلقة الكاملة الى
اسفل السافلين وقد دل على الشرع على ان خالق بنية الانسان اعطى انواعا
عظيمة من العناية في تخليقه ثم الحس يدل على انه بعد الانتهاء الى الوقوف
ياخذ في التراجع الانتقاص قليلا حتى يصل الى غاية الضعف وهو المراد من قوله
تعالى ثم رددناه اسفل سافلين **ولقائل** ان يقول انه تعالى اذا خلق فعند ذلك
هل له عناية بتدبيرها وانه مما يليق الابطال او ليس له عناية وانه مما ينافي
الرعاية في التخليق **والجواب** عنه انه لا يكون واردا الا وان لا يكون للانسان سعادة
في الآخرة اصلا وذلك ممتنع لقوله تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية واما
السعي في اتمام البناء الرفيع اولا ثم في تخريبه ثانيا لا يليق بالحكمة فذلك مسلم
ان لم يكن التخريب بعد الاتمام مشتملا على المصالح فاما اذا كان البناء الرفيع
لتحصيل المقاصد والتخريب لعدم الاحتياج اليها بعد المقاصد وقد كان من
المعلوم ان تكون النفس الانسانية خلقت في مبداء الفطرة خالية من المعارف
الحقيقية والاخلاق الفاضلة فخلق الله البدن ليكون آلة في تحصيل تلك المعارف
قال تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم الآية فلما استعملت النفس الانسانية
هذه الآلة في تحصيل تلك [illegible] المقاصد وحصلت المقاصد على سبيل الكمال
وجب تخليصها عن تلك الآلة حتى يصل الى العالم النور ويتعلق بما فيه من الحور والقصور

ولما كان رأس المعارف معرفة الله تعالى ورأس الاعمال العبادة فقال الا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات يعني انا خلقنا الانسان في احسن تقويم حتى يكتسب الايمان والعمل الصالح
ثم رددناه اسفل سافلين حتى فيصل اليه اجر غير ممنون ثم انه تعالى لما
نبه على هذا البرهان القطعي قال فما يكذبك بعد بالدين اليس الله باحكم الحاكمين
فصح ان هذه السورة برهان قوي في صحة القول بالمعاد **سورة العلق مكية**
وهي تسع عشرة آية وهي متصلة بما قبلها لما ان تلك السورة مشتملة على
بيان انه تعالى خلق الانسان في احسن تقويم وهذه السورة على بيان انه خلق الانسان
من علق فالاول يوهم ان ذلك الحسن لا يبعد ان يكون بحسب المادة والثاني فيما
يزيل ذلك الوهم اذ المادة وهي العلق لا يقتضي الحسن بل الحسن فيه لكمال قدرته
ثم قال في آخر تلك السورة اليس الله باحكم الحاكمين وقال في اول هذه اقرأ
باسم ربك الذي خلق يعني اقرأ الى ان يجيء وقت الحكم بسم الله الرحمن الرحيم
اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق قال ابو عبيدة الباء زائدة والمعنى
اقرأ اسم ربك الذي خلق اي اذكر اسمه وهذا القول ضعيف لوجوه منها انه
ما حسن من الرسول ان يقول حينئذ ما انا بقارئ ومنها ان هذا الامر لا يليق
بالرسول وانه كان في ذكر الله تعالى دائما ومنها ان فيه ذكر الباء من غير فائدة و
ذلك لا يمكن والقول الثاني فيه ان المراد من قوله اقرأ اي اقرأ القرآن اذ القراءة
لا يستعمل الا فيه قال تعالى فاذا قرأناه فاتبع قرآنه وقال وقرآنا فرقناه على
الناس على مكث وقوله تعالى باسم ربك يحتمل وجوها احدها ان يكون محل باسم
ربك النصب على الحال فيكون التقدير اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك اي قل
بسم الله ثم اقرأ وثانيها ان يكون المعنى اقرأ القرآن مستعينا باسم ربك وتحقيقه
انه لما قال له اقرأ فقال لست بقارئ فقال اقرأ باسم ربك اي استعن باسم

ربك وثالثها ان قوله اقرأ باسم ربك اي اجعل هذا الفعل لله وافعله لاجله
فان قيل كيف هذا التأويل في قولك قبل الاكل بسم الله **فنقول** يعني ليتقوى
بذلك على التقوى في طاعة الله ليصير ذلك المباح طاعة اما قوله تعالى ربك فسؤالات
الاول الرب من صفات الفعل والله من اسماء الذات واسماء الذات اشرف من اسماء
الفعل فلم قال باسم ربك ولم يقل باسم الله والجواب انه تعالى امر بالعبادة وصفات
الفعل وكان ذلك ابلغ في الحث على الطاعة الثاني ما الحكمة في ان اضاف ذاته اليه
فقال باسم ربك **والجواب** تارة اضاف ذاته اليه بالربوبية كما في هذا الموضع وتارة
يضيفه الى نفسه بالعبودية كانه تعالى يقول هو لي وانا له ولا شك ان الاول يدل
على تشريف النبي عليه السلام وتعظيمه الثالث لم ذكر عقيب قوله ربك قوله
الذي خلق الجواب ان قوله ربك يستدعي مربوبا وقوله الذي خلق يدل عليه ثم في
قوله تعالى الذي خلق كل شيء فيتناول كل مخلوق اذ هو مطلق فليس حمله على البعض اولى
من حمله على الباقي واما قوله تعالى بعد ذلك خلق الانسان من علق تخصيصا للانسان
بالذكر فذلك لما انه اشرف ولما ان التنزيل اليه وثانيها ان يكون قوله
اقرأ باسم ربك الذي خلق مبهما ثم فسره بقوله خلق الانسان من علق تخصيصا
لخلق الانسان ودلالة على عجيب فطرته الثالث اتفق المتكلمون على ان اول الواجبات
معرفة الله تعالى او النظر في معرفة الله تعالى او القصد الى ذلك النظر على الاختلاف المشهور
ثم ان الحكيم سبحانه لما اراد ان يبعثه رسولا الى المشركين فلو قال له اقرأ باسم
ربك الذي لا شريك له لابوا ان يقبلوا ذلك منه لكنه تعالى قدم في ذلك مقدمة تلجئهم
الى الاعتراف به وذلك لما ان الالهية مفتقرة الى الخالقية فاذا لم يكن الخالقية لم يكن
الالهية ولهذا قال تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق الثالث انما قال من علق على الجمع لان
الانسان في معنى الجمع كما في قوله تعالى ان الانسان لفي خسر اما قوله تعالى **اقرأ وربك الاكرم**

الذات لا يستوجب شيئا وانما يستوجب العبادة بصفاته

الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ففيه من المباحث الاول منهم من قال اقرأ اولا
لنفسك وثانيا للتبليغ او الاول للتعلم من جبريل والثاني للتعليم الثاني الكرم
في معنى الجود وهو افادة ما ينبغي لا للعوض وقد مر الكلام فيه ثم ذكروا في بيان اكرميته
تعالى وجوها احدها انه كريم يحسن وقت الجناية لكن لا يبقى احسانه كما كان قبل
الجناية وانه تعالى يزيد في احسانه بعد الجناية ومنه قول القائل متى زدت تقصيرا تزدني
تفضلا كأني بالتقصير استوجب الفضلا وثانيها انك كريم لكن ربك الاكرم وكيف
لا وقد كان كرمه لمحض الكرم لا لغرض وثالثها انه الاكرم لانه له الابتداء في كل كرم
واحسان ورابعها يحتمل ان يكون هذا حثا على القراءة اي هو الاكرم فيجازيك وتحتمل
ان يكون المعنى تجرد لدعوة الخلق ولا تخف احدا فانا اكرم انصرك نصرة وافرة
الثالث انه تعالى وصف نفسه اولا بانه خلق الانسان من علق وثانيا بانه علم بالقلم
ولا مناسبة بينهما في الظاهر لكن التحقيق ان اول مراتب الانسان كونه علقة
وهي اخس المراتب وآخر مراتبه كونه عالما بحقائق الاشياء وهي اشرف مراتبه
فكأنه تعالى يقول انتقلت من اخس المراتب الى اعلى المراتب فلا بد لك من مدبر ينقلك
من تلك الحالة الخسيسة الى هذه الحالة الشريفة ثم فيه تنبيه على ان العلم اشرف
الصفات ومن يعطي الاشرف فهو الاكرم الرابع قوله باسم ربك الذي خلق خلق
الانسان من علق اشارة الى الدلالة العقلية على كمال القدرة والحكمة والعلم
والرحمة وقوله الذي علم بالقلم اشارة الى الاحكام المكتوبة التي لا سبيل الى معرفتها
الا بالسمع فالاول كانه اشارة الى معرفة الربوبية والثاني الى النبوة الخامس
المراد علم الانسان الكتابة بالقلم وانه قريب من الاول اذ المراد هو التنبيه على فضيلة
الكتابة يروى ان سليمان عليه السلام سأل عفريتا عن الكلام فقال ريح لا يبقى قال
فما قيده قال الكتابة فالقلم صياد يصيد العلوم يبكي ويضحك بركوعه يسجد

الامام

الامام و يبقى العلوم على مر الليالي والايام اما قوله تعالى علم الانسان
ما لم يعلم فيحتمل ان يكون المراد علمه بالقلم وعلمه ايضا غير ذلك ولم يذكر واو النسق
وقد يجري مثل هذا في الكلام يقول اكرمتك احسنت اليك فيحتمل ان يكون المراد
من اللفظين واحدا او يكون المعنى علم الانسان بالقلم ما لم يعلم فيكون قوله علم
الانسان ما لم يعلم بيانا لقوله علم بالقلم قال تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان رآه
استغنى ان الى ربك الرجعى وفيه مباحث الاول عند الاكثر المراد من الانسان
هنا انسان واحد وهو ابو جهل وقيل نزلت السورة من هنا الى آخرها في شأن
ابي جهل وقيل بل من قوله ارايت الذي ينهى الى آخر السورة قال ابن عباس رضي الله عنه
كان النبي عليه السلام يصلي فجاء ابو جهل فقال الم انهك عن هذا فزجره النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ابو جهل والله انك لتعلم ما بها نادٍ اكبر مني فانزل الله تعالى فليدع ناديه
سندع الزبانية وقال ابن عباس والله لو دعا ناديه لاخذته زبانية الله
فكانه تعالى لما عرفه انه مخلوق من علق فلا يليق به التكبر فهو عند ذلك ازداد
طغيانا وكفرا ويروى انه قال ليس في مكة اكرم مني والقول الثاني فيه ان المراد
من الانسان المذكور في هذه الآية جملة الانسان وهذا هو الاقرب وان كان الاول
اظهر وانه وعيد وزجر عن اتباع هوى النفس ثم انه تعالى اكد هذا الزجر بقوله
ان الى ربك الرجعى اي الى حيث لا مالك سواه فيقع المحاسبة على ما كان منه من العمل و
المؤاخذة بحسب ذلك الثاني قوله تعالى كلا فيه وجوه احدها انه ردع وزجر لمن كفر
بنعمة الله بطغيانه وثانيها قال مقاتل كلا لا يعلم الانسان ان الله هو الذي
خلقه من العلقة وعلمه بعد الجهل وذلك لانه عند صيرورته غنيا فيطغى و
يتكبر وثالثها ذكر الجرجاني صاحب النظم ان كلا ههنا بمعنى حقا لانه ليس قبله
ولا بعده شيء يكون كلا ردا له وهذا كما قالوا في كلا والقمر وانهم زعموا انه بمعنى

اي والقسم الثالث هو الطغيان هو التكبر والتمرد وتحقيق الكلام في هذه
الآية وان الله تع لما ذكر في مقدمة السورة دلائل ظاهرة على الوحدة والقدرة
والحكمة اتبعها بما هو السبب الاصلي في الغفلة عنها وهو حب الدنيا والاشتغال بالمال
والجاه **فان قيل** ان فرعون ادعى الربوبية فقال تع في حقه اذهب الى فرعون انه
طغى وهنا ذكر في ابي جهل ليطغى فاكده بهذه اللام فما السبب في هذا التاكيد
فنقول فيه وجوه احدها ان قوله انه طغى قبل ان يعرض عليه الادلة وقبل
ان يدعي الربوبية واما هنا فانه تعالى ذكر هذه الآية تسلية لرسوله صلى الله عليه
وسلم حين رده عليه اقبح الرد وثانيها ان فرعون ما كان يزيد كفره على القول
وما كان يتعرض لقتل موسى عليه السلام مع القدرة عليه في الظاهر ولا لايذائه
بخلاف ابي جهل فانه مع قلة جاهه كان يقصد قتل النبي عليه السلام وايذائه وثالثها
ان فرعون احسن الى موسى اولا وقال آخرا آمنت واما ابو جهل فانه يحسد النبي
عليه السلام في صباه وقال في آخر عمره بلغوا عني محمدا اني اموت ولا احد ابغض
الي منه اما قوله تع ان رآه استغنى ففيه مباحث الاول قال الاخفش لان رآه
فحذف اللام كما يقال انكم لتطغون ان رايتم غناكم الثاني قال الفراء انما قال ان
رآه ولم يقل راى نفسه كما يقال قتل نفسه لان راى من الافعال التي تستدعي
اسما وخبرا نحو الظن والعرب تطرح النفس من هذا الجنس فتقول رايتني
وظننتني وحسبتني الثالث في قوله استغنى وجهان احدهما بالعشيرة
والمراد من الآية ليس هو الاول لان الله تعالى قد يبتلي بالثروة ولا يزيد الا
تواضعا كسليمان عليه السلام فانه كان يجالس المساكين ويقول مسكين جالس
مسكينا وعبد الرحمن بن رضي الله عنه ما طغى مع كثرة امواله بل العاقل يعلم انه
عند الغنى اكثر حاجة الى الله منه عند الفقر لانه حال الفقر لا يتمنى الا سلامة نفسه

وفي حال الغنى يتمنى سلامة نفسه وماليكه ومطاياه ثم في الآية وجه ثالث
وهو ان استغنى من باب الطلب فالمعنى انه رأى ان حصول غناه لطلبه وبذل جهده
لا انه تع اعطاه الرابع اول السورة يدل على مدح العلم واخرها على مذمة المال وكفى
ذلك مرغبا في الدين والعلم ومنفرا عن الدنيا والمال ثم قال تعالى ان الى ربك الرجعى وفيه
مباحث الاول هذا الكلام واقع على طريق الالتفات الى الانسان تهديدا له وتحذيرا من
عاقبة الطغيان الثاني الرجعى والمرجع والرجوع وهي باجمعها مصادر وفي معنى الآية
وجهان احدهما انه يرى ثواب طاعته وعقاب تمرده وتكبره وطغيانه ونظيره
قوله تع ولا تحسبن الله غافلا الى قوله الابصار وهذه الموعظة لا تؤثر الا في قلب من
له قدم صدق وثانيهما انه يرده ويرجعه الى النقصان والفقر والموت كما رده من النقصان
الى الكمال حيث نقله من الجمادية الى الحيوانية مثلا وقوله تع **ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى**
وفيه مباحث الاول روي عن ابي جهل انه قال هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا
نعم قال فوالذي يحلف به لئن رايته لاطأن عنقه فجاءه ثم انه راى رسول الله في الصلوة
فنكص على عقبيه فقالوا له ما لك يا ابا الحكم فقال ان بيني وبينه لخندقا من النار وهو
لاسديد الثاني قوله ارايت خطاب مع الرسول على سبيل التعجب ووجه التعجب فيه امور
احدها انه عليه السلام قال اللهم اعز الاسلام اما بابي جهل بن هشام او بعمر وكانه
تعالى قال كنت تظن انه يعز الاسلام بكون مثله ينهى عبدا اذا صلى وثانيها انه
كان يلقب بابي الحكم وكانه تع يقول كيف يليق به هذا اللقب وينهى العبد عن خدمة
ربه يوصف بالحكمة عن طاعة الرحمن ويسجد للاوثان وثالثها ان ذلك الاحمق يأمر و
ينهى ويعتقد انه يجب على الغير طاعته مع انه ليس بخالق ولا رب الثالث قال ينهى عبدا
اذا صلى لم يقل ينهاك وفيه فوائد احدها ان التنكير في قوله عبدا يدل على كونه كاملا في
العبودية كقول ابي حنيفة رحمه الله واما عبد الله فعبد الله فكانه تع قال ينهى اشد الخلق

عبوديته عن العبودية وذلك محض الجهل والحمق وثانيها انه ابلغ في الذم لان المعنى
ان هذا دأبه وعادته فينهى كل ما يرى وثالثها ان هذا التكليف كان من نهى عن الصلوة
روي عن علي رضي الله عنه انه راى في المصلى اقواما يصلون قبل صلوة العيد فقال
ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك فقيل له الا تنهاهم فقال اخشى ان ادخل
قوله ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى فلم يصرح بالنهي عن الصلوة وعن ابي حنيفة رحمه
مثل هذا الادب حين قال ابو يوسف يقول المصلي حين يرفع راسه من الركوع اللهم
اغفر لي قال يقول ربنا لك الحمد ويسجد ولم يصرح بالنهي ورابعها انه تفخيم لشان
النبي عليه السلام لما مر غير مرة ان التنكير يدل على التفخيم ثم قال تع ارايت ان كان على
الهدى او امر بالتقوى وفيه مباحث الاول قوله ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى
للنبي عليه وسلم وقوله ارايت ان كذب وتولى من بعد ايضا للنبي فيلزم ان لا يكون
المتوسط لغير النبي عليه السلام والا لخرج الكلام عن النظم ثم انه تع يقول ارايت
ان كان هذا الكافر ولم يقل لو كان اشارة الى المستقبل كانه يقول ارايت ان صار على
الهدى واشتغل بامر نفسه اما كان يليق به ذلك وهو رجل عاقل فلو اختار الدين
والاهتداء والامر بالتقوى لكان ذلك خيرا له من الكفر القول الثاني فيه انه خطاب
للكافر لان الله تعالى كالمشاهد للظالم والمظلوم وكالمولى قام بين يديه عبدان
فيخاطب هذا مرة وذلك مرة اخرى فلما قال للنبي عليه السلام ارايت الذي ينهى
عبدا اذا صلى التفت الى الكافر فقال ارايت يا كافر ان كانت صلوته هدى ودعاؤه
الى الله امرا بالتقوى اتنهاه مع ذلك الثاني لقائل ان يقول الهدى فعل فلم قال
او امر بالتقوى فنقول جوابه من وجوه منها ان الذي كان يشق على ابي جهل من
افعال الرسول هو الصلوة والدعاء الى الله فلهذا ضمه اليه ومنها ان النبي عليه السلام
لا يوجد الا في اصلاح نفسه وذلك بفعل الصلوة او في اصلاح غيره وذلك الامر

بالتقوى ومنها انه عليه السلام كان في صلوته على الهدى وعلى الامر بالتقوى فان
فعل الصلوة دعوة بلسان الفعل ثم قال تع ارايت ان كذب وتولى وفيه قولان احدهما
انه خطاب مع الرسول وذلك لان الدلائل التي ذكرها في اول هذه السورة في غاية الظهور
وكان من كذب بتلك الدلائل وتولى يعلم بعقله انه على الباطل فلهذا قال تع ارايت يا محمد
ان كذب هذا الكافر عن تلك الدلائل وتولى عن خدمة خالقه الم يعلم بعقله انه تعالى
يرى منه هذه الافعال القبيحة وثانيهما انه خطاب للكافر والمعنى ان كان محمد كاذبا
او متوليا الا يعلم بان الله يرى اما قوله تعالى الم يعلم بان الله يرى فالمقصود منه
التهديد بالحشر والنشر وايصال الجزاء كل احد اليه ثم هذه الآية وان نزلت في شان
ابي جهل وكل من نهى عن طاعة الله تع فهو شريك ابي جهل في هذا الوعيد ثم قال تع
كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب
في كلا وجوه احدها ردع له ومنع من نهيه عن العبادة كما مر وثانيها كلا لن يصل
ابو جهل الى ما يقول انه يقتل محمدا او ثالثها قال مقاتل كلا لا يعلم ان الله يرى وان كان
يعلم اذا كان لا ينتفع بما لا يعلمه فكانه لا يعلم ثم قال تع لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعا
بالناصية وفيه مباحث الاول في قوله لنسفعا وجوه احدها لناخذن بناصيته
ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة كما في قوله تعالى
فيؤخذ بالنواصي والاقدام وثانيها السفع الضرب اي لنلطمن وجهه وثالثها
لنسودن وجهه وقالوا والسفع ثلاثة احجار توضع عليها القدر سميت به لسوادها
والسفعة سواد في الخدين الثاني قرئ لنسفعن بالنون المشددة اي الفاعل
لهذا الفعل هو الله والملائكة على ما قال فان الله هو مولاه الآية وقرأ ابن مسعود
رضي الله عنه لاسفعن اي يقول الله تع انا الذي اتولى اهانته الثالث هذا السفع يحتمل
ان يكون المراد الى النار في الآخرة وان يكون المراد منه في الدنيا وقيل المراد يوم بدر

وهو يشعر بانه تعالى يمكن المسلمين من ناصيته حتى يجرونه الى القتل اذا عاد
الى النهي فلما عاد لاجرم مكنهم الله تعالى من ناصيته يوم بدر الرابع الناصية
شعر الجبهة فقد يسمى مكان الشعر ناصية ثم انه تعالى كنى في هذا الموضع عن
الوجه والرأس بالناصية الخامس انه تعالى عرف الناصية بحرف التعريف كانه
تعالى يقول الناصية المعروفة عندكم بالذات لا بالصفات ناصية واي ناصية كاذبة
وانما وصف بالكذب لانه كان كاذبا على الله في رسوله محمد عليه السلام وفي انه
ساحر او كذاب ثم وصف الناصية بانها خاطئة والفرق بين الخاطئ والمخطئ
ان الخاطئ معاقب والمخطئ غير معاقب ثم وصف الخاطئة الكاذبة السادس
ناصية بدل من الناصية وجاز بدلها عن المعرفة وهي نكرة لانها وصفت فاستقلت
بفائدة السابع قرئ ناصية بالرفع والتقدير هي ناصية وبالنصب وكلاهما على
الشتم واعلم ان الرسول عليه السلام لما اغلظ في القول لابي جهل وتلا عليه هذه
الآيات قال يا محمد بمن تهددني واني لاكثر هذا الوادي ناديا فافتخر بجماعته
الذين كانوا ياكلون حطامه فنزلت قوله فليدع ناديه سندع الزبانية وفيه
مباحث الاول قد مر من تفسير النادي عند قوله وتأتون في ناديكم المنكر قال
ابو عبيدة ناديه اي اهل مسلحه مجلسه وبالجملة فالمراد من النادي اهل النادي
ولا يسمى المكان ناديا حتى يكون فيه اهله وسمي ناديا لان القوم يندون اليه
ندوا وندوة ومنه دار الندوة بمكة وهي دار المشاورة وقيل سميت ناديا
لانه مجلس الندى والجود الثاني قال المبرد واحد الزبانية زبنية واصله
من زبنته اذا دفعته وقال الاخفش بل واحدها الزباني ومنهم من قال
الزابن وقال الآخرون هذا من الجمع الذي لا واحد له في اللغة مثل ابابيل وعباديد
وبالجملة فالمراد ملائكة العذاب قال مقاتل هم خزنة جهنم وقال قتادة الزبانية

هم الشرط في كلام العرب وهم الملائكة الغلاظ الشداد وملائكة النار سموا
زبانية لانهم يزبنون الكفار اي يدفعونهم في جهنم الثالث في الآية قولان احدهما
فليفعل ما ذكر من انه يدعو انصاره ويستعين بهم في مناصبة محمد فانه
لو فعل ذلك فنحن ندعو الزبانية الذين لا طاقة لناديه وقومه بهم وثانيهما ان
في الآية تقديما وتأخيرا اي لنسفعا بالناصية سندع الزبانية في الآخرة فليدع
هو ناديه حينئذ فليستنقذوه الرابع قال القاضي قوله فليدع ناديه يدل على المعجز لان
هذا يكون تحريضا للكافر على دعواه ناديه وقومه ومتى فعل الكافر ذلك ترتب
عليه دعوة الزبانية فلما لم يجسر الكافر على ذلك دل على ظهور المعجزة الخامس قرئ سندعى
على المجهول ولعل فائدة السين هو المراد من قوله عليه السلام لانصرنك ولو بعد حين
ثم قال كلا وهو ردع لابي جهل كما مر وقيل معناه الا لا تطعه وهو كقوله ولا تطع
المكذبين واسجد وعند اكثر اهل التأويل اراد به صل وتوفر على عبادة الله تعالى
فعلا وابلاغا ومنهم من قال بل المراد الخضوع وقيل بل المراد نفس السجود في
الصلوة ثم قال تعالى واقترب والمراد وابتغ بسجودك قرب المنزلة من ربك وقيل المراد
واسجد يا محمد واقترب يا ابا جهل منه حتى تبصر ما ينالك من اخذ الزبانية اياك فكانه
تعالى امره بالسجود ليزداد غيظ الكافر ليغيظ بهم الكفار والسبب لازدياد الغيظ
هو ان الكافر كان يمنعه من القيام فكان غيظه وغضبه عند مشاهدة السجود اتم
ثم قال تعالى واقترب منه يا ابا جهل وضع قدمك عليه فان الرجل ساجد مشغول بنفسه
وهذا تهكم (اي استهزاء) واستحقار لشانه والله اعلم **سورة القدر مختلف فيها وهي خمس آيات** امر الله
في اول سورة القلم بقراءة القرآن فقال اقرأ اي اقرأ القرآن ثم اشار في اول سورة
القدر الى ما يدل على فضيلة القراءة فقال انا انزلناه في ليلة القدر وكذلك في آخر تلك السورة
امر بالسجود وبالاقتراب الى الحضرة بذلك قال عليه السلام اقرب ما يكون العبد من ربه
اذا سجد والسجود مشتمل على الفوائد في جميع الاوقات على الخصوص في اوقات مخصوصة

بزيادة الفضيلة كليلة القدر وما يقرب منها فان فيها من الفوائد ما لا يكون في
الغير من الاوقات بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه في ليلة القدر وما ادريك ما ليلة القدر فيه مباحث
الاول اتفقوا على ان المراد انا انزلناه القران في ليلة القدر الا انه تع لم يصرح بالذكر
لان هذه العبارة تدل على القران من وجوه منها انه اسند انزاله اليه ومنها تعظيم
الوقت الذي انزل فيه ومنها ان ذكره بالضمير يشهد بالنباهة والاستغناء عن
التصريح الثاني انه تع قال في بعض المواضع اني كقوله اني جاعل في الارض خليفة
وفي بعض المواضع انا كقوله انا انزلناه في ليلة القدر انا اعطيناك الكوثر اتفقوا
انا تارة يراد به الجمع وذلك فيما نحن فيه محال لان الدلائل دلت على وحدة الصانع
دلالة قطعية كما مر فيكون محمولا على التعظيم لا على الجمع الثالث اذا قيل ما معنى انه
انزل ليلة القدر مع العلم بانه انزل نجوما قلنا فيه وجوه احدها قال الشعبي
ابتدا بانزاله ليلة القدر لان البعث كان في رمضان وقال ابن عباس رضي الله عنهما
انزلت الى السماء الدنيا جملة ليلة القدر ثم الى الارض نجوما وقد مر الكلام فيه عند قوله
شهر رمضان الذي انزل فيه القران لا يقال فعلى هذا القول لم لم يقل انزلناه الى السماء
لان اطلاقه يوهم الانزال الا انه فوض لان انزاله الى السماء كانزاله الى الارض لانه
لم يكن ليشرع في امر ثم لا يتمه وهو كغايب جاء الى نواحي البلد يقال جاء فلان ولم يجئ
الاخر فالجواب هو ان التقدير انزلنا هذا الذكر في ليلة القدر اي في فضل ليلة القدر
وبيان شرفه الرابع القدر مصدر قدرت والمراد به ما يمضيه الله من الامور وقال انا
كل شيء خلقناه بقدر والقدر والقدر واحد الا انه بالتسكين اسم قال الواحدي
القدر في اللغة بمعنى التقدير وهو جعل الشيء على مساواة غيره من غير زيادة ولا نقصان
واما التسمية بهذا الاسم فقد قيل لانها ليلة تقدير الامور والاحكام عن ابن عباس
رضي الله عنه ان الله تع قدر ما يكون في تلك السنة من مطر ورزق وغير ذلك والمراد منه

اظهار

80

اظهار تلك المقادير في تلك الليلة بان يكتبها في اللوح المحفوظ لما انه تعالى قدر في الازل
وهو اختيار عامة العلماء من الخ الزهري انه قال ليلة القدر ليلة العظمة والشرف
من قولهم لفلان قدر عند فلان اي شرف ومنزلة ويدل عليه قوله تع
ليلة القدر خير من الف شهر وعن ابي بكر الوراق سميت بها لانها نزل
فيها كتاب ذو قدر على لسان ملك ذو قدر على امة لها قدر ولعل الله ذكر في هذه
السورة بهذا السبب وقيل ليلة القدر اي الضيق فان الارض تضيق من الملائكة
الخامس اخفى هذه الليلة لوجوه احدها انه تع اخفاها كما اخفى كثيرا من الاشياء
اخفى رضاه في الطاعات حتى يرغبوا في الكل واخفى غضبه في المعاصي ليحترزوا
عن الكل واخفى وليه فيما بين الناس حتى تعظموا الكل واخفى الاسم الاعظم ليعظموا
كل الاسماء واخفى هذه الليلة ليعظموا جميع ليالي رمضان وثانيها كانه تعالى
لو عينت ليلة القدر وانا عالم بتجاسركم على المعصية فربما دعتك الشهوة في تلك
الليلة الى المعصية فكانه تع يقول اذا علمت ليلة القدر فان اطعت فيها اكتسبت
ثواب الف شهر وان عصيت فيها اكتسبت عقاب الف شهر ودفع العقاب اولى
من جلب الثواب وثالثها اني اخفيت هذه الليلة حتى يجتهد المكلف في طلبها
فيكتسب ثواب الاجتهاد السادس اختلفوا في هذه الليلة هل يستتبع اليوم
قال الشعبي نعم يومها كليلتها ولعل الوجه فيه ان ذكر الليالي يستتبع الايام السابع
هذه الليلة هل هي باقية قال الخليل من قال ان فضلها لنزول القران يقول
انقطعت وعند الجمهور هي باقية وعلى هذا هل هي مختصة برمضان روي عن ابن
مسعود رضي الله عنه انه قال من يقم الحول يصيبها وفسرها عكرمة بليلة البراءة وعند
الجمهور انها مختصة برمضان وعلى هذا اختلفوا في التعيين بوجوه منها انها
الليلة الاولى من رمضان وعند الحسن رحمه الله هي الليلة السابعة عشر منه وعن انس رضي

واحتجوا بقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القران انا انزلناه
في ليلة القدر فوجب ان يكون ليلة القدر في رمضان
صح

انها التاسعة عشر وعند محمد بن اسحاق رحمه الله الحادية والعشرون وعن ابن عباس
رضي الله عنه الثالثة والعشرون وعند ابن مسعود رضي الله عنه الرابعة والعشرون
وعند ابي ذر رضي الله عنه الخامسة والعشرون وعن ابي بن كعب وجماعة من الصحابة
رضوان الله عليهم السابعة والعشرون وقال بعضهم التاسعة والعشرون والدلائل
الدالة على هذه الاقوال الاخبار والآثار وبالجملة فان شهر رمضان شهر عظيم
والليالي فيه عظيمة لا محالة روى وهب ان صحف ابراهيم عليه السلام انزلت في
الليلة الاولى من رمضان والتورية لست ليال مضين من رمضان بعد صحف
ابراهيم بسبعمائة سنة وانزل الزبور على داود عليه السلام لثنتي عشرة ليلة خلت
من رمضان بعد التورية بخمسمائة عام وانزل الانجيل على عيسى عليه السلام لثماني
عشرة ليلة خلت من رمضان بعد الزبور بستمائة عام وعشرين عاما وكان القران
نزل على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم في كل ليلة قدر من السنة الى السنة كان جبرئيل
عليه السلام ينزل به من بيت العزة في السماء السابعة الى سماء الدنيا فانزل الله تع
القران في عشرين سنة فلما كان الشهر هو الشهر الذي حصلت فيه هذه الخيرات
العظيمة لا جرم كان في غاية الشرف والقدر والرتبة ثم قال تع وما ادريك ما ليلة
القدر يعني لم يبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها ثم انه تع بين فضيلته
من ثلثة اوجه الاول قوله ليلة القدر خير من الف شهر وفيه مباحث الاول في
تفسير الآية وجوه احدها ان العبادة فيها خير من الف شهر ليس فيها هذه الليلة
وانما كان كذلك لما يريد الله فيها من المنافع والارزاق وانواع الخير وثانيها
قال مجاهد كان في بني اسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد حتى يمسي
فعل ذلك الف شهر فتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون من ذلك فانزل
الله تع بهذه الآية اي ليلة القدر لامتك خير من الف شهر لذلك الرجل الذي

على

حمل السلاح الف شهر وثالثها قال مالك بن انس رضي الله عنه ارى رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعمار الناس فاستقصر اعمار امته وخاف ان لا يبلغوا من الاعمار مثل ما بلغ
سائر الامم فاعطاه الله تع ليلة القدر وهي خير من الف شهر لسائر الامم
الثاني في الآية بشارة عظيمة وفيها تهديد عظيم اما البشارة فهي ان الله تع ذكر
ان هذه الليلة خير ولم يبين قدر الخيرية وهذا كقوله عليه السلام مبارزة
علي مع عمرو بن ود افضل من عمل امتي الى يوم القيمة فلم يقل مثل عمله بل قال
افضل واما التهديد فهو انه توعد صاحب الكبيرة بالدخول في النار وان
احيى مائة من القدر لا تخلصه من ذلك العذاب المستحق بتطفيف حبة واحدة
فهذا فيه اشارة الى تعظيم حال الذنب والمعصية الثالث لقائل ان يقول نقل
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اجرك على قدر نصبك ومن المعلوم
ان الطاعة في الف شهر اشق من الطاعة في ليلة واحدة فكيف يعقل استواهما
والجواب ان الفعل الواحد فقد يختلف حاله في الحسن والقبح لسبب اختلاف
الوجوه المنضمة اليه الا ترى ان صلوة الجماعة تفضل على صلوة الفرد بكذا درجة
وعلى هذا فان هذا من جملة ما له نظائر كثيرة الوجه من فضائل هذه الليلة قوله تع
تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر فيه مباحث الاول اعلم ان نظر
الملائكة على الارواح ونظر البشر على الاشباح ثم ان الملائكة لما راوا روح الانسان
انه محل للصفات الذميمة من الشهوة والغضب ما قبلوه فقالوا اتجعل فيها من
يفسد فيها الآية فلما راوا بعد ذلك في الروح الصورة الحسنة وهي معرفة الله تعالى
وطاعته احبوه فنزلوا عليه معتذرين عما قالوا اولا فهذا المراد من قوله تعالى
تنزل الملائكة الثاني ظاهر قوله تنزل الملائكة يقتضي نزول كل الملائكة وذلك
متعذر عند البعض لان الارض لا تحتمل الكل فذهبوا الى ان نزولهم بالجملة الى السماء

الدنيا وعند البعض هو ايضا مستبعد لانه لا يحتمل الكل بل المروي انهم ينزلون
فوجا فوجا كما ان اهل الحج يدخلون الكعبة بالكلية فوجا بعد فوج والاختيار
عند الاكثر انهم ينزلون الى الارض وهو الاوجه لان الغرض هو الترغيب في احياء هذه
الليلة فلانه يحصل ذلك في هذه الليلة مع علو شانها اولى **فان قيل** قوله انا لنحن
الصافون ينافي قوله تنزل الملائكة **قلنا** نصرف الحالتين الى زمانين مختلفين
ثم انهم اختلفوا في ان نزولهم ليشاهدوا البشر لحسنهم واشتياقهم الى لقاء
البشر وليشاهدوا عبادة البشر وجدهم واجتهادهم في الطاعة وليسلموا
عليهم روي عن النبي عليه السلام ينزلون ليسلموا علينا وليشفعوا لنا ومنهم
من قال انه جعل فضيلة هذه الليلة في الاشتغال بطاعته في الارض فهم ينزلون
الى الارض ليصير طاعاتهم اكثر ثوابا ثم من الناس من خص لفظ الملائكة ببعض فرق
الملائكة عن كعب ان سدرة المنتهى على حد السماء السابعة فيها ملائكة لا يعلم
عددهم الا الله يعبدون الله ومقام جبريل في وسطها ليس فيها ملك الا وقد اعطي
الرأفة والرحمة للمؤمنين ينزلون مع جبريل عليه السلام ليلة القدر فلا يبقى بقعة
من الارض الا وعليها ملك ساجدا او قائم يدعو للمؤمنين والمؤمنات وجبريل لا يدع
احدا من الناس الا صافحهم وعلامة ذلك من اقشعر جلده ورق قلبه ودمعت عيناه
فان ذلك من مصافحة جبريل من قال ثلث مرات لا اله الا الله غفر له بواحدة و
نجاه من النار بواحدة وادخله الجنة بواحدة الثالث ذكروا في الروح اقوالا احدها انه ملك
عظيم وثانيها طائفة من الملائكة لا تراهم الا ليلة كالزهاد الذين لا تراهم الا يوم
العيد وثالثها انه لا يبعد ان يكون عيسى عليه السلام لانه اسمه ثم انه ينزل مع
الملائكة ليطالع امة محمد ورابعها انه القرآن وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا
وخامسها الرحمة قرئ لا تيأسوا من روح الله بالرفع كانه تعالى يقول الملائكة تنزل و

ورحمتي تنزل في اثرهم فيجدون لسعادة الدنيا وسعادة الآخرة وسادسها الروح
اشرف الملائكة وسابعها هم الحفظة والكرام الكاتبين والاصح ان الروح هنا
جبريل عليه السلام وتخصيصه بالذكر لزيادة شرفه اما قوله باذن ربهم فانه
يدل على انهم كانوا مشتاقين الينا ويرغبون **فان قيل** كيف يرغبون الينا مع علمهم
بكثرة معاصينا **قلنا** لا يقفون على تفصيل المعاصي روي انهم يطالعون اللوح
فيرون فيها طاعة المكلف مفصلة فاذا وصلوا الى معاصيه ارخي الستر فلا يرونه
فحي يقولون سبحان من اظهر الجميل وستر القبيح ثم انهم يرون في الارض من انواع الطاعات
اشياء ما رأوها في عالم السموات احدها ان الاغنياء يجيئون بالطعام من بيوتهم فيجعلونها
ضيافة للفقراء ياكلون ويعبدون الله وثانيها انهم يسمعون انين العصاة ومثل
هذا لا يوجد في السموات وثالثها انهم يرون على الطاعة مع وجود المانع عنها وهو الشهوة
والغضب وهذا ايضا من جملة ما لا يوجد في السموات الثاني هذه الآية دالة على
عصمة الملائكة ونظيرها قوله وما نتنزل الا بامر ربك وقوله ولا يسبقونه بالقول
وفيها دقيقة وهي انه تعالى لم يقل مأذونين بل قال باذن ربهم وهو اشارة الى انهم لا يتصرفون
تصرفا الا باذنه الثالث قوله تعالى ربهم يفيد تعظيما للملائكة وتحقير العصاة كانه
تعالى قال كانوا لي فكنت لهم اما قوله تعالى من كل امر فمعناه تنزل الملائكة والروح فيها
من اجل كل امر والمعنى ان كل واحد منهم انما نزل لمهم آخر ثم ذكروا فيه وجوها
احدها انهم كانوا في اشغال كثيرة بعضهم بالركوع وبعضهم بالسجود وبعضهم بالدعاء
وعلى هذا وثانيها وهو قول الاكثر من اجل امر قدر في تلك السنة من خير او شر وفيه اشكال
لان نزولهم انما كانت عبادة فكانهم قالوا ما نزلنا الى الارض لهذا لكن لاجل كل امر فيه
مصلحة المكلفين وعم لفظ الامر ليعم خير الدنيا والآخرة وثالثها من كل امري
اي من اجل كل انسان روي انهم لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة الا يسلموا عليه **فان قيل**

قد روى انه يقسم الاجال والارزاق ليلة النصف من شعبان والاته يقولون
ان ذلك يكون ليلة القدر قلنا عن النبي عليه السلام انه قال ان الله تع المقدر في
ليلة البراة فاذا كان ليلة القدر يسلمها الى اربابها وقيل يقدر ليلة البراة الاجال
والارزاق وليلة القدر يقدر الامور التي فيها الخير والبركة والسلامة وقيل يقدر في
ليلة القدر ما يتعلق به اعزاز الدين وما فيه النفع العظيم للمسلمين واما ليلة البراة
فيكتب فيها اسماء من يموت فيسلم الى ملك الموت الوجه الخامس في فضائل هذه الليلة قوله
تعالى سلام هي حتى مطلع الفجر وفيه مباحث الاول في قوله سلام وجوه احدها ان
ليلة القدر الى طلوع الفجر سلام اي يسلم الملائكة على المطيعين فيراد في النزول وكثرة
السلام وصفة الليلة بانها سلام وثانيها انها سلام من الشرور والافات وثالثها
قال ابو مسلم اي الليلة سالمة عن الرياح والاذى والصواعق وما اشبه ذلك ورابعها
سلامة لا يستطيع الشيطان فيها سوء وخامسها ان الوقف عند قوله من كل امر
سلام فيتصل السلام بما قبله والمعنى ان تقدير الخير والبركة والسلام يدوم الى
طلوع الفجر وهذا الوجه ضعيف وسادسها انها من اولها الى مطلع الفجر سالمة
في ان العبادة كل واحد من اجزائها خير من الف شهر ليست كسائر الليالي في انه
يستحب للفرض الثلث الاول وللعبادة النصف وللدعاء السحر بل هي متساوية
الاجزاء وسابعها سلام هي اي جنة هي لان السلام من اسماء الجنة الثاني المطلع
الطلوع يقال الفجر طلوعا ومطلعا والمعنى انه يدوم ذلك السلام الى طلوع الفجر ومن
قرأ بكسر اللام فهو اسم لوقت الطلوع وكذا مكان الطلوع مطلع قاله الزجاج اما ابو
عبيد والفراء وغيرهما فانهم اختاروا فتح اللام لانه بمعنى المصدر قال ابو علي يحمله
على المصدر لان من المصادر التي ينبغي ان يكون على الفعل ما قد كسر كما في قوله تع ويسألونك
عن المحيض والله اعلم بالصواب سورة القيمة مكية وقيل مدنية وهي ثماني ايات

بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلوا
صحفا مطهرة فيها كتب قيمة فيه مباحث الاول في بيان النظم وذلك ان سورة القدر
مشتملة على بيان فضيلة ليلة القدر وفضيلة ما فيها من الطاعات وهذه السورة مشتملة
على بيان فضيلة رسول محمد عليه السلام وفضيلة دينه وشريعته وكما ان ليلة القدر
افضل بالنسبة الى سائر الليالي فكذلك الرسول بالنسبة الى سائر الانبياء وشريعته
بالنسبة الى سائر الشرايع واما اخر تلك السورة في بيان ما يزيل ظلمة الليل وهو
طلوع الفجر واول هذه السورة في بيان ما يزيل ظلمة الكفر وهو ظهور دولة محمد صلى الله عليه وسلم
الثاني قال الواحدي رحمه الله في البسيط هذه الاية من اصعب ما يكون في القرآن نظما
وتفسيرا ولم يبين كيفية الاشكال فيها واما الامام فخر الدين الرازي رحمه الله بينه
وقال ان تقدير الاية لم يكن الذين كفروا منفكين حتى تأتيهم البينة التي هي الرسول
اي لم يكونوا منفكين عن الكفر الذي كانوا عليه ثم ان كلمة حتى لانتهاء الغاية فهذه
الاية يقتضي انهم صاروا منفكين عن كفرهم عند اتيان الرسول ثم قال بعد ذلك و
ما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وهذا يقتضي ان كفرهم
قد ازداد عند مجي الرسول فح يحصل بين الاية الاولى والاية الثانية مناقضة
في الظاهر هذا هو منتهى الاشكال والجواب الاحسن عنه قال في الكشاف وجه
ان الكفار من الفريقين اهل الكتاب وعبدة الاوثان كانوا يقولون قبل مبعث محمد
عليه السلام ان الانفكاك لا يمكن من ديننا البتة حتى يبعث النبي الموعود الذي
هو مكتوب في التورية والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تع ما كانوا
يقولونه ثم قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب يعني انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة
والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا اقرهم على الكفر الا
مجي الرسول وحاصل هذا الجواب يرجع الى حرف وهو ان قوله تع لم يكن الذين كفروا

منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة حكاية عنهم وقال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب
اخبار عن الواقع فالمعنى ان الذي وقع كان خلاف ما ادعوا والجواب الثاني ان تقدير
الآية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم وان جاءتهم البينة وعلى هذا التقدير
يزول الاشكال هكذا ذكره القاضي الا ان تفسير لفظ حتى بليس على وفق اللغة والجواب
الثالث انا لا نحمل قوله منفكين عن الكفر بل على كونهم منفكين عن ذكر محمد بالمناقب
والفضائل والمعنى لما جاءهم محمد تفرقوا حتى تأتيهم البينة قال ابن عرفة حتى
اتاهم فاللفظ لفظ المضارع ومعناه الماضي كما في قوله ما تتلوا الشياطين اي ما
تلت والوجه الرابع في الآية هو انه تعالى حكم على الكفار انهم ما كانوا منفكين عن كفرهم
الى وقت مجيء الرسول وكلمة حتى يقتضي ان يكون الحال بعد ذلك بخلاف ما كان قبل ذلك
والامر هكذا لان ذلك الجموع ما بقوا على الكفر بل تفرقوا فمنهم من صار مؤمنا ومنهم
من صار كافرا والوجه الخامس هو ان الكفار كانوا قبل مبعث الرسول منفكين عن
التردد في كفرهم بل كانوا جازمين معتقدين في حقيته ثم ذلك الجزم زال بعد المبعث
فصاروا شاكين متحيرين في ذلك الدين وفي سائر الاديان الثاني من المباحث الكفار
كانوا على نوعين احدهما اهل الكتاب كاليهود والنصارى وكانوا كفارا بالحادهم
ما كفروا كقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله وتحريفهم كتاب الله وثانيهما
المشركون فذكر الله تعالى النوعين بقوله الذين كفروا على الاجمال ثم اردف ذلك
الاجمال بالتفصيل وهو قوله من اهل الكتاب والمشركين ثم في هذا الموضع سؤالات
الاول تقدير الآية لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب ومن المشركين فهذا يقتضي ان
اهل الكتاب منهم كافر ومنهم ليس بكافر وهذا حق وان اهل الشرك منهم كافر
ومنهم ليس بكافر وهذا ليس بحق والجواب من وجوه منها ان كلمة من هنا ليس
للتبعيض بل للتبيين كما في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان ومنها ان الذين

كفروا بمحمد بعضهم من اهل الكتاب وبعضهم من المشركين فادخال كلمة من لهذا
السبب ومنها ان يكون المشركون ايضا وصفا لاهل الكتاب وذلك لان النصارى
على التثليث واليهود على التشبيه وهذا كله شرك السؤال الثاني المجوس
هل يدخلون في هذا الكتاب قلنا انهم يدخلون عند البعض من العلماء كقوله عليه السلام
سنوا بهم سنة اهل الكتاب ومنهم من انكر ذلك لانه تعالى انما ذكر من الكفار من كان في
بلاد العرب وهم اليهود والنصارى لا غير السؤال الثالث وما الفائدة في تقديم
اهل الكتاب في الكفر على المشركين حيث قال لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
والجواب ان الواو لا يفيد الترتيب ومع هذا ففيه من الفوائد احدها ان السورة مدنية
فكان اهل الكتاب هم المقصود وثانيها ان قدرتهم على معرفة صدق محمد اتم فكان
اصرارهم على الكفر اقبح وثالثها انهم لكونهم علماء يقتدي غيرهم بهم فكان كفرهم اصلا
لكفر غيرهم السؤال الرابع لم قال من اهل الكتاب ولم يقل من اليهود والنصارى
والجواب لان قوله من اهل الكتاب يدل على كونهم علماء وذلك يقتضي اما مزيد تعظيم واما
مزيد قبح الكفر الثالث من المباحث قال القفال رحمه الله الانفكاك هو انفراج الشيء عن
الشيء واصله من الفك وهو الفتح والزوال ومنه فكاك الرهن وهو زواله عن الانغلاق
الذي كان ومنه فكاك الاسير فثبت ان انفكاك الشيء من الشيء هو ان يزايله بعد التحامه
به كالعظم اذا انفك عن مفصله واما البينة فهي الحجة الظاهرة التي بها يتميز الحق عن
الباطل ثم في المراد من البينة لما في ذاته من الرغائب ما لا يكون في غير ذاته من الاخلاق
الفاضلة والخصال الحميدة والجد والاجتهاد في تقرير النبوة والرسالة ولما كان في نفسه
بينة وحجة فقد سماه الله تعالى سراجا منيرا والدليل على ان المراد من البينة الرسول
قوله تعالى رسول من الله فهو رفع على البدل من البينة وقرأ عبد الله رسولا حالا من البينة
واللام في البينة للعهد والذي سبق ذكره في التوراة والانجيل ولا يبعد ان يقال انه

للتفخيم اي هو البينة التي لا مزيد عليها والتعريف قد يكون للتفخيم وكذا التنكير
وقد جمع الله بينهما في حق الرسول ههنا القول الثاني ان المراد من البينة مطلق
الرسل وهو قول ابي مسلم قال المراد من قوله حتى تاتيهم البينة اي حتى تاتيهم رسل
من ملائكة الله تتلوا عليهم صحفا مطهرة القول الثالث وهو قول قتادة البينة
هو القرآن ونظيره قوله اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى ثم قال بعده رسول
من الله لا بد فيه من مضاف محذوف والتقدير وتلك البينة وحي رسول الله يتلوا صحفا
مطهرة فيها كتب قيمة الصحف جمع صحيفة وهي ظرف للمكتوب وفي المطهرة وجوه احدها كتب
هو كقوله تع لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وثانيها مطهرة عن الذكر القبيح
وثالثها مطهرة اي ينبغي ان لا يمسها الا المطهرون واعلم ان المطهرين وان جرت
نعتا للصحف في الظاهر فهي نعت لما في الصحف وهو القرآن واما الكتب فالمراد منها
الآيات المكتوبة في الصحف وقيل الكتب قد تكون بمعنى الحكم كقوله كتب الله لاغلبن فيحتمل
ان يكون المراد من قوله كتب قيمة اي احكام قيمة قال الزجاج قيمة اي مستقيمة لا عوج
فيها وهو كقولهم قام الدليل على كذا اذا ظهر واستقام وقيل القيمة بمعنى القائمة اي هي
قائمة مستقلة بالحجة والدلالة فان قيل كيف نسب تلاوة الصحف المطهرة الى الرسول
مع انه كان اميا قلنا اذا تلى مثل المسطور في تلك الصحف كان تاليا ما فيها
اما قوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة ففيه مباحث الاول للقائل ان يقول
انه تعالى ذكر في اول السورة اهل الكتاب والمشركين وههنا ذكر اهل الكتاب فقط فما
السبب فيه والجواب ان اهل الكتاب كانوا عالمين بنبوة محمد عليه السلام لما انهم وجدوها
في كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق مع العلم كان من لا كتاب له ادخل في هذا الوصف الثاني
ان من الناس من قال هذه الآية تبطل قول القدرية الذين قالوا ان الكفار تفرقوا في
الشقاوة والسعادة في اصلاب الآباء وقبل ان ياتيهم البينة والجواب ان هذا ضعيف

يعني ليس تفرقهم لقصور في الحجة بل لعنادهم فسلفهم هكذا كانوا لم يتفرقوا في السبب

اذ المراد منه علم الله تع بذلك وارادته له وانه حاصل في الازل انما ظهوره من المكلف
فانما وقع بعد الحالة المخصوصة الثالث المقصود من هذه الآية تسلية الرسول اي عبادة
العجل الامر بعد ما جاءتهم البينة فهي عادة قديمة لهم ثم قال تع وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة وفيه مباحث الاول
المراد من قوله تعالى وما امروا اي في التورية والانجيل الا بالدين الحنيفي فيكون المراد انهم
كانوا مامورين بذلك الا انه تعالى لما اتبعه بقوله وذلك دين القيمة علمنا ان ذلك الحكم
كما انه كان مشروعا في حقهم فهو مشروع في حقنا وقيل المراد وما امر اهل الكتاب
على لسان محمد عليه السلام الا بهذه الاشياء وهذا القول اولى لان الآية على هذا التقدير تفيد شرعا
جديدا وفيه من الفوائد ولان محمدا عليه السلام قد تقدم ذكره وسائر الانبياء لم يتقدم
ذكرهم الثاني في قوله الا ليعبدوا الله دقيقة وهي ان هذا اللام لام الغرض فلا يمكن
حمله على ظاهره لان من فعل فعلا لغرض كان مستكملا بذلك الغرض والاستكمال في حق
من له الكمال محال ولان ذلك الغرض ان كان قديما لزم من قدمه قدم الفعل وان كان محدثا
افتقر الى غرض آخر ولزم التسلسل وذلك محال فلا بد من التاويل ثم قال الفراء
العرب يجعل اللام في موضع ان في الامر والارادة كثيرا من ذلك قوله تع يريد الله ليبين
لكم ويريدون ليطفؤا نور الله وهي في قراءة عبد الله وما امروا الا ان يعبدوا الله
فثبت ان المراد وما امروا الا ان يعبدوا الله مخلصين له الدين والاخلاص عبارة
عن ان يكون الفعل لله من جميع الوجوه ثم المعتزلة لما جوزوا تعليل افعال الله تعالى
بالاغراض اجروا الآية على ظاهرها فقالوا معنى الآية وما امروا بشيء الا لاجل ان يعبدوا
الله الثالث امروا مذكور بلفظ ما لم يسم فاعله كما في قوله تعالى كتب عليكم الصيام
كتب عليكم القصاص وفيه من الفوائد لا محالة منها ان الذي لا يامرهم صريحا لانه ربما يرد
عليه فيعظم جنايتهم فاما اذا لم يصرح بالامر فيخف جنايته الرد الرابع اللام من قوله تع

وما امروا الا ليعبدوا الله يدل على مذهب اهل السنة حيث قالوا العبادة ما
وجبت لكونها مفضية الى الثواب او الى الخلاص عن العقاب بل لاجل انه عبد
وهو ربه حتى اذا لم يحصل في الدين لا ثواب ولا عقاب وجبت العبادة لمحض العبودية
وفيه اشارة الى انه من عبد الله للثواب والعقاب فالمعبود في الحقيقة هو الثواب والعقاب
والحق واسطة الخامس العبادة هي التذلل ومنه طريق معبد اي مذلل ومن زعم انها
طاعة فقد اخطأ لان جماعة عبدوا الملائكة والاصنام مثلا وما اطاعوهم لكن في
الشرع صارت اسما لكل طاعة اديت لله على وجه التذلل والنهاية في التعظيم والكلام
في العبادة قد مر من قبل غير مرة السادس قوله مخلصين نصب على الحال فهو تنبيه
على ما يجب من تحصيل الاخلاص من ابتداء الفعل الى انتهائه والمخلص هو الذي يأتي
بالحسن لحسنه والواجب لوجوبه فيأتي بالفعل لوجهه لا لغرض اصلا ولهذا لا يجوز
الزكوة الى الوالدين والمولودين والعبيد والاماء لانه على سبيل الاخلاص ثم في قوله
مخلصين اقوال مختلفة فمنهم من قال اي مقرين له بالعبادة ومنهم من قال قاصدين
بقلوبهم رضى الله في العبادة ومنهم من قال وهو قول الزجاج اي يعبدونه موحدين
له لا يعبدون معه غيره ويدل على هذا قوله وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا اما قوله
حنفاء ففيه اقوال الاول قال مجاهد متبعين دين ابراهيم عليه السلام قال ان اتبع ملة
ابراهيم حنيفا وكان من المشركين وكانه تعالى يقول اني كنت نقلا احدا في دينك فقلد
ابراهيم عليه السلام فانه خليل الله وخليفته في ارضه القول الثاني فيه المراد من قوله
حنفاء اي مستقيمين والحنف هو الاستقامة وانما سمي مائل القدم احنف على سبيل التفاؤل
كما يقال للاعمى بصير القول الثالث قال ابن عباس رضي الله عنه حجاجا وذلك لانه ذكر العبادة
اولا ثم قال حنفاء وانما قدم الحج على الصلوة لان في الحج صلوة وانفاق مال الرابع من الاقوال
حنفاء اي جامعين لجميع الدين اذ الحنيفية كل الدين الخامس منها وهو قول قتادة هي

الختان

86 الختان وتحريم نكاح المحارم اي محترزين لنكاح المحارم فقوله حنفاء اشارة الى النفي ثم
اردفه بالاثبات وهو قوله ويقيموا الصلوة السادس منها وهو قول ابي مسلم اصله في
الحنف في الرجل وهو ان يميل ابهامها عن اخواتها حتى يقبل على الابهام الاخرى فيكون
الحنيف هو الذي يعدل على الاديان كلها الى الاسلام السابع وهو قول الربيع الحنيف
الذي يستقبل القبلة بصلوته وانما قال ذلك لانه قال عند التكبير وجهت وجهي
الى قوله حنيفا واما الكلام في اقامة الصلوة وايتاء الزكوة وقد مر غير مرة ثم قال تعالى
وذلك دين القيمة وفيه مباحث الاول قال الزجاج والمبرد ذلك دين الملة القيمة والمراد
دين القيمة اما المستقيمة او القائمة الثاني في هذه الآية لطائف احدها ان الكمال في كل
شيء انما يحصل اذا حصل الاصل والفرع معا فقوم اطنبوا في الاعمال من غير احكام
الاصول وهم اليهود والنصارى والمجوس فانهم اتعبوا انفسهم في العبادات لكنهم
ما حصلوا الدين الحق وقوم حصلوا الاصول واهملوا الفروع وهم المرجئة الذين
قالوا لا يضر الذنب مع الايمان والله تعالى خطأ الفريقين في هذين الفريقين في هذه الآية
وبين انه لا بد من العلم والاخلاص في قوله مخلصين ومن العمل في قوله ويقيموا الصلوة
ويؤتوا الزكوة ثم قال وذلك المجموع كله هو الدين القيمة اي البينة المستقيمة المعتدلة
ثم القيم من يقوم بمصالح من يعجز عن اقامة مصالح نفسه فكانه سبحانه يقول القائم
بتحصيل مصالحكم عاجلا وآجلا هو المجموع واما فائدة الترتيب فهو ان الحكيم سبحانه امر
رسوله ان يدعوهم الى اسهل شيء وهو القول والاعتقاد فقال مخلصين ثم لما
اجابوا واراد فرض لهم الصلوة التي بعد ادائها يبقى النفس سالمة عما كانت ثم لما اجابوا
واراد منهم الصدقة وعلم انها يشق عليهم قال لا زكوة في مال حتى يحول عليه الحول ثم
ذكر الكل وذلك دين القيمة الثالث احتج بهذه الآية من قال الايمان عبارة عن مجموع القول
والاعتقاد والعمل فقال ههنا المجموع هو الدين والدين هو الاسلام والاسلام هو الايمان

فاذن المجموع هو الايمان والدليل هو انه تعالى ذكر في هذه الآية مجموع هذه الثلاثة ثم قال
ذلك دين القيمة اي ذلك المذكور هو دين القيمة ثم الدين هو الاسلام كقوله تعالى
ان الدين عند الله الاسلام والاسلام هو الايمان والا لكان غير مقبول عند الله لقوله تعالى
ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه لكن الايمان بالاجماع مقبول عند الله
فهو اذن عين الاسلام ولما ثبت ان مجموع هذه الثلاثة هو الايمان بطل قول من يقول
الايمان اسم لمجرد المعرفة او لمجرد الاقرار او لهما معا والجواب لم لا يجوز ان يكون الاشارة
بقوله وذلك الى الاخلاص فقط وهذا هو الاقرب فانه لا حاجة الى الاضمار او نقول سلمنا
ان قوله وذلك الى المجموع ما تقدم لكنه يدل على ان ذلك المجموع هو الدين القيم والدين القيم هو
الدين الكامل فاذا لم يوجد المجموع لم يكن الدين القيم حاصلا لكن لم قلتم بانه اصل الدين
لا يكون حاصلا قوله تعالى ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها
اولئك هم شر البرية انه تعالى لما ذكر حال الكفار اولا في قوله لم يكن الذين كفروا من اهل
الكتاب والمشركين ثم ذكر ثانيا حال المؤمنين في قوله وما امروا الا ليعبدوا الله اعاد
في آخر هذه السورة ذكر هذين الفريقين فبدا بحال الكفار فقال ان الذين كفروا
وذكر من احوالهم امرين احدهما الخلود في النار وثانيهما انهم شر الخلق وفي الآية
سؤالات الاول لم قدم اهل الكتاب على المشركين في الذكر الجواب عنه ان جنايتهم اهل
الكتاب في حق الرسول كانت اعظم لانهم انكروه مع العلم به ولان اهل الشرك دخلوا
تحت قوله ان الذين كفروا امر غير مشكل بخلاف اهل الكتاب فيكون ذكرهم بعد قوله تعالى ان
الذين كفروا اهم واولى من ذكر اهل الشرك الثاني لم ذكر الله تعالى كفروا بلفظ الفعل
والمشركين باسم الفاعل والجواب ان اهل الكتاب ما كانوا كافرين من اول الامر لانهم كانوا
مصدقين بالتوراة والانجيل ومقرين بمبعث محمد عليه السلام ثم انهم كفروا بذلك بعد
المبعث بخلاف المشركين الثالث ان المشركين كانوا ينكرون الصانع تعالى وتقدس

وينكرون

وينكرون النبوة والحشر والنشر والقيامة اما اهل الكتاب فلا ينكرون من جملة هذه الاشياء
الا النبوة فكان كفرهم اخف من كفر المشرك فكيف يجوز التسوية بينهما في العذاب و
الجواب ان التسوية بين الفريقين في الخلود بعد الدخول في النار لا في مراتب الدركات
والعقوبات ثم كانه قال قائل هب انه لا رجاء للخروج فهل لهم رجاء الاخراج لا بل كانوا
خالدين فيها ثم كانه قيل هل يكون هناك احد يرحمهم عليهم فقال لا لانهم شر البرية الرابع
ما السبب في انه لم يقل في صفة اهل العذاب خالدين فيها ابدا وقال في صفة اهل الثواب
خالدين فيها ابدا والجواب عنه من وجوه منها التنبيه على ان رحمته تعالى ازيد من غضبه
ومنها ان العقوبات من جملة ما يجري فيه التداخل بخلاف المثوبات الخامس كيف وجوه
القراءة في لفظ البرية والجواب قرا نافع البريئة بالهمز والباقون بغير همز وهو من
برأ الله الخلق والقياس فيها الهمز الا انه ترك كالنبي والذرية والهمز فيها كالرد الى الاصل
المتروك وانه يدل على فساد قول من قال انه من البرى الذي هو التراب السادس ما الفائدة
في قوله هم شر البرية والجواب انه يفيد النفي والاثبات اي هم دون غيرهم واما انهم
شر البرية فانهم من شر السراق لانهم سرقوا من كتاب الله وشر من قطاع الطريق
لانهم قطعوا طريق الدين الحق على الخلق وشر من الجهال لان الكفر مع العلم يكون كفر عناد
فيكون اقبح السابع هذه الآية هل يجري على عمومها والجواب لا بل هو مخصوص بالصورتين
احديهما ان من تاب منهم واسلم والاخرى ان من مضى من الكفار لا يدخل في الآية
لان فرعون كان شرا منهم وهذه الصورة على قول بعضهم فالاية الثانية وهي الآية الدالة
على ثواب المؤمنين فعامة لانهم خير الامم قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
اولئك هم خير البرية وفيه مباحث الاول في حسن تقديم الوعيد على الوعد
وجوه احدها ان الوعيد كالدواء والوعد كالغذاء ويجب تقديم الدواء ليصح البدن فينتفع
بالغذاء وثانيها ان الجلد بعد الدبغ يصير صالحا للمداس وللخف اما قبله فلا وهذا

ظاهر في حال الانشاء وثالثها ان فيه بشارة واشارة الى ان الختم بالخير الثاني هذه
الاية تدل على ان الطاعات غير داخلة في مسمى الايمان لما ان الاعمال الصالحة معطوفة
على الايمان والمعطوف غير المعطوف عليه الثالث قال تعالى ان الذين امنوا ولم يقل
ان المؤمنين اشارة الى انهم اقاموا سوق الاسلام حال كساده وبذلوا للجهد
والاموال لاجله ولهذا استحقوا الفضيلة العظمى كما قال لا يستوي منكم من قبل
الفتح الرابع قوله تعالى وعملوا الصالحات مقابلة الجمع بالجمع فلا يكلف الواحد بجميع الصالحات
لما احتج بعضهم بهذه الاية في تفضيل البشر على الملك وهذا ضعيف لان
من النحاة من قال ان البرية بنو ادم من البرا وهو التراب فلا يدخل فيه الملك و
لان قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات غير مختص بالبشر بل يدخل فيه الملك
ثم من الدلائل ما يدل على ان الملك افضل وقد مر الكلام فيه قوله تعالى **جزاؤهم عند ربهم جنات** جنات
عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا اعلم ان التفسير ظاهر واما غير التفسير
من اللطائف فوجوه احدها ان المكلف لما تامل وجد نفسه مخلوقا مع المحن والافات
كما عرف في وقت وجوده في الرحم الى ان يخرج وبعده ايضا الى ان يبلغ الحلم ثم عند ذلك
شد عليه مسامير العقل والتكليف والمكلف كالمتحير يقول من الذي يفعل بي هذه
الافعال وانا بريء عن الجناية فلم يزل في التفكر حتى ظفر بالفاعل ووجده عالما
قادرا حكيما وعلم ان جميع ذلك في المحن والافات محض الكرم والرحمة فاقبل على الشكر
ثم وقع في خاطره ان يقابل احسانه بالخدمة والطاعة فقام بالطاعات فالله تعالى
اعطى في مقابلة تلك الطاعات جزاء المطيع جزاء وافرا وثانيها قال جزاؤهم فاضاف
الجزاء اليهم والاضافة المطلقة تدل على الملك فكيف الجمع بينه وبين قوله
الذي احلنا دار المقامة من فضله الجواب عند اهل السنة ان هذا الجزاء بحسب الفضل
وبحسب الوضع لا بحسب الاستحقاق وعند المعتزلة قوله تعالى الذي احلنا دار المقامة من

فضله

فضله ان كلمة من ابتداء الغاية والمعنى ان استحقاق هذا الجزاء انما حصل بحسب فضلك
السابق من الايجاد واعطاء القدرة والعقل وازالة الاعذار ولما وصلنا الى هذه
الدرجة وثالثها في قوله عند ربهم لطائف احدها قال بعض الفقهاء ولو قال لك عندي او علي
فلان انصرف الى الدين ولو ان يدعي الوديعة ولو قال لا شيء لي عند فلان ينصرف الى الوديعة
دون الدين ولو قال لا شيء لي قبل فلان انصرف الى الدين والوديعة معا اذا عرفت هذا فقوله
عند ربهم يفيد انه وديعة والوديعة عين ولو قال لفلان علي كذا فهو اقرار بالدين والعين
اشرف من الدين فقوله عند ربهم يفيد انه كالمال المعين الحاضر العتيد **فان قيل** الوديعة
امانة غير مضمونة والدين مضمون والمضمون خير مما كان غير مضمون **قلنا** خبرا ذا لتصور
الهلاك وهذا في حق الله تعالى محال ولا جرم **قلنا** الوديعة هنا خير من المضمون وثانيها
انه قال عند ربهم وفيه بشارة عظيمة كانه تعالى يقول انا الذي ربيتك واعطيتك في
الوجود والحيوة والعقل افترى انك اذا اكتسبت شيئا وجعلته وديعة عندي فانا اضيعه
كلا ان هذا مما لا يكون واما قوله تعالى جزاؤهم عند ربهم جنات ففيه فوائد احدها انه قابل
الجمع بالجمع وهو يقتضي انقسام الافراد كما في قوله تعالى جعلوا اصابعهم في اذانهم
واستغشوا ثيابهم واما قوله جنات عدن فانه يفيد الاقامة لا يخرجون ولا يبغون
عنها حولا يقال عدن بالمكان اذا اقام وروي جنات عدن اي وسط الجنة وقيل عدن
من المعدن اي هو معدن النعيم والامن والسلامة منهم من قال انها سميت جنة
ماخوذة من الجن او الجنون او الجنة او الجنين فان كانت من الجن فهم المخصوصون عند بسرعة
الحركة يطوفون العالم في لحظة واحدة فكانه تعالى قال انها في اتصالها بالمكلف الى
منتهاها في غاية الاسراع مثل حركة الجن وان كانت من الجنون فهو ان الجنة
لو راها عاقل لصار كالمجنون لولا انه تعالى يفضل بتثبيته وان كانت من الجنة فانها جنة
واقية تقيك من النار وان كانت من الجنين فلان المكلف فيها كالجنين في الرحم لا يمسه

برد ولا حر لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا واما قوله تع تجري اسناده الى ال
الماء الجاري اشرف في الراكد بل كانه تعالى قال طاعتك جارية الى الاجل فانهار كرمي جارية
الى الابد ثم قال من تحتها لان التبعيض في البستان اما بسبب عمق الماء فذكر الجري
الدائم واما بسبب الغرق للكثرة فذكر تحتها ثم الالف واللام في الانهار للتعريف فيكون
منصرفة الى الانهار المذكورة في القرآن بهذا الماء واللبن والعسل والخمر واعلم انه تعالى
لما وصف الجنة اتبعه بما هو افضل من الجنة وهو الخلود اولا والرضا ثانيا روي عن
النبي عليه السلام انه قال الخلود في الجنة خير من الجنة ورضا الله تع في الجنة خير من الجنة
اما الصفة الاولى وهي الخلود فانه تع وصف الجنة مرة بجنات عدن ومرة بجنات النعيم
ومرة بدار السلام وهذه الاوصاف الثلثة على حسب الاوصاف الثلثة في المؤمن وهي
اعتقاد وقول وعمل واما الصفة الثانية وهي الرضا فالمؤمن خلق من جسد وروح
فجنة الجسد هي الجنة الموصوفة وجنة الروح هي رضا الرب والانسان مبدا امره من
عالم الحس ومنتهى امره من عالم العقل والروح فلا جرم ابتدا بالجنة وانتهى بالرضى
ثم قدم رضى الله عنهم على قوله ورضوا عنه لان الازلي سابق على غير الازلي ثم قال تعالى
رضي الله عنهم ورضوا عنه ولم يقل رضي الرب عنهم لان رضى الرب في مقابلة الاعمال
الصالحة فلو عبر عنه بلفظ الفعل كان ذلك يدل على سبق الرضى على العمل الصالح وليس
كذلك اذا عبر عنه بلفظ الكلم فقوله رضي الله عنهم اي الله ان يمدحهم ويثنيهم وقوله
ورضوا عنه اي رضوا بما جزاهم من النعم اما قوله تع ذلك لمن خشي ربه ففيه مباحث
الاول الخوف في الطاعة حالة خشية قال الله تع والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة
ولعل الخشية اشد من الخوف والكلام فيهما قد مر الثاني هذه الآية اذا ضم اليها
آية اخرى صار المجموع دليلا على فضل العلم والعلماء وذلك لانه تعالى انما يخشى الله
من عباده العلماء الثالث قالوا هذه الآية تدل على ان المرء لا ينتهي الى حد يصير معه

امنا بان يعلم انه من اهل الجنة وهذا ضعيف فان الانبياء عليهم السلام قد علموا انهم
من اهل الجنة وهم مع ذلك من اشد العباد خشية لله تعالى سورة الزلزلة مختلف
فيها وهي تسع آيات بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض زلزالها
فيه مباحث الاول في المناسبة بينها وبين السورة المتقدمة انه تع لما ذكر في تلك السورة
وعيد الكافر ووعد المؤمن اراد ان يزيد في وعيد الكفار فقال اجازيهم وقت كذا وكذا
ثم في آخر تلك السورة قال جزاؤهم عند ربهم وكان المكلف يقول ومتى يكون ذلك يا رب
فقال الله تع اذا زلزلت الارض زلزالها الثاني قوله اذا بحثان احدهما ان لقائل ان
يقول اذا للوقت فكيف وجه البداية بها في السورة فنقول كانوا يسألونه عن الساعة
فقال اذا زلزلت الارض كانه تع قال لا سبيل الى تعيينه بحسب وقته بل السبيل الى تعيينه بحسب
علاماته وثانيهما قالوا كلمة ان في المجوز واذا في المقطوع به تقول ان دخلت الدار فانت
طالق لان الدخول مجوز اما اذا اردت التعليق بما يوجد قطعا لا تقول ان بل تقول اذا
جاء غد فانت طالق لانه يوجد لا محالة هذا هو الاصل فان استعمل على خلافه فمجاز فلما
كان الزلزال مقطوعا به قال اذا زلزلت الارض الثالث قال الفراء الزلزال بالكسر المصدر
والزلزال بالفتح الاسم وقد قرئ بهما والمعنى حركت حركة شديدة كما قال تع اذا رجت
الارض رجا ومنهم من ابى ذلك وقال بل المراد تحركت واضطربت والدليل عليه
انه تع يخبر عنها في جميع السورة كالخبر عن المختار القادر واعلم ان زلزل للحركة الشديدة
العظيمة لما فيه من معنى التكرير وهو كالصرصر في الريح ولاجل شدة هذه الحركة
وصفها الله تع بالتعظيم فقال ان زلزلة الساعة شيء عظيم الرابع قال مجاهد المراد
من الزلزلة في هذه الآية الزلزلة الاولى ومنهم من قال بل هي الزلزلة الثانية بدليل
انه تع جعل من لوازمها انها تخرج الارض اثقالها وذلك انما يكون في الزلزلة الثانية
الخامس في قوله تع زلزالها بالاضافة وجوه منها القدر اللائق بها في الحكمة كقولك اكرم التقي

اكرامه نريد ما يستوجبه من الاكرام ومنها ان يكون المعنى جميع ما هو ممكن من الزلزال
ومنها الزلزال الموعود والمكتوب عليها اما قوله تعالى **واخرجت الارض اثقالها**
في الاثقال قولان احدهما انه جمع ثقل وهو متاع البيت جعل ما في جوفها من الدفائن
اثقالها قال الاخفش وابو عبيدة اذا كان الميت في بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان
فوقها فهو ثقل عليها وقيل سمي الانس والجن بالثقلين لهذا المعنى وثانيها
اثقالها اسرارها فيومئذ يكشف الاسرار اما قوله تعالى **وقال الانسان ما لها يومئذ**
تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها ففيه مباحث الاول ما لها انما زلزلت هذه
الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها وذلك اما عند النفخة الاولى حين تلفظ ما فيها
من الكنوز والدفائن او عند النفخة الثانية حين تلفظ ما فيها من الاموات الثاني
قيل هذا قول الكافر وهو كما يقولون من بعثنا من مرقدنا فاما المؤمن فيقول
هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون وقيل بل هو عام في المؤمن والكافر اي الانسان
الذي هو من زوج ظلوم الذي من شانه الغفلة والجهالة يقول ما لها وهو ليس
بسوال بل هو للتعجب لما يرى من العجائب التي لم يسمع بها الاذان ولا ينطق بها اللسان
الثالث انما قال ما لها على غير المواجهة لانه يعاتب بهذا الكلام نفسه كانه يقول يا نفس
ما للارض تقول في ذلك يعني يا نفس هذا بسبب معاصيك فالكفار يقولون مثل هذا الكلام
واهل الايمان يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن اما قوله تعالى يومئذ تحدث اخبارها
ففيه سوالات الاول اين مفعولا تحدث والجواب قد حذف اولهما والاصل تحدث الخلق
اخبارها الا ان المقصود ذكر التحديث لا ذكر الخلق الثاني ما معنى تحديث الارض
قلنا فيه وجوه منها وهو قول ابي مسلم يومئذ تتبين لكل احد جزاء اعماله فكانها حدثت
بذلك ومنها وهو قول الجمهور ان الله تعالى يجعل الارض حيوانا عاقلا ناطقا ويعرفها
جميع ما عمل عليها وحينئذ تشهد لمن اطاع وعلى من عصى قال عليه السلام ان الارض لتخبر يوم
الارض
اطاع

القيمة

89

القيمة بكل عمل عمل على ظهرها ثم تلا هذه الآية الثالث اذا ويومئذ ما ناصبها
والجواب يومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث الرابع لفظ التحديث يفيد الاستيناس
فما وجه هذا اللفظ والجواب ان الارض كانها تشكو مع اولياء الله وملائكته اما قوله
بان ربك اوحى لها ففيه سوالات الاول بما تعلقت الباء في قوله بان ربك وجوابه تحدث ومعناه
تحدث اخبارها بسبب ان ربك اوحى لها الثاني لم يقل اوحى اليها والجواب اوحى لها
اي اوحى اليها وقيل لعله انما قال لها اي فعلنا ذلك لاجلها **يومئذ يصدر الناس**
اشتاتا ليروا اعمالهم الصدر ضد الورود فيحتمل ان يريد يصدرون عن الارض
الى عرصة القيمة ويحتمل ان يردوا عرصة القيمة للمحاسبة ثم يصدرون عنها الى موضع
الثواب والعقاب وان كان قوله اشتاتا اقرب الى الوجه الاول الثاني وقوله ليروا اعمالهم
اقرب الى الوجه الاول ايضا لان رؤية عملهم مكتوب في المصاحف فهو اقرب الى الحقيقة
وقوله اشتاتا فيه وجوه منها ان بعضهم يذهب به الى الموقف راكبا مع الثياب الحسنة
وبياض الوجه والمنادي ينادي بين يديه هذا ولي الله وبعضهم يذهب بهم على خلاف
ذلك مع السلاسل والاغلال والمنادي ينادي انه عدو الله ومنها اشتاتا اي كل فريق
مع شكله اليهودي والنصراني ومنها اشتاتا من اقطار الارض من كل ناحية ثم انه تع
من كل ناحية ثم انه تع ذكر المقصود وقال ليروا اعمالهم قال بعضهم ليروا صحائف
اعمالهم لان الكتاب موضع بين يدي الرجل فيقال هذا طلاقك وهذا بعض عمل براءة ومنهم
من قال ليروا جزاء اعمالهم وهو الجنة او النار وفي قراءة النبي عليه السلام ليروا بالفتح ثم
قال تع **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** وفيه مباحث الاول
مثقال ذرة اي زنة ذرة قال ابن عباس رضي الله عنهما اذا وضعت راحتك على الارض ثم
رفعتها فكل ما لزق به من التراب مثقال الذرة فليس من عبد عمل خيرا او شرا قليلا كان
او كثيرا الا اراه الله اياه الثاني في رواية عاصم يره برفع الياء والباقون يره وقراء

بعضهم بين بالجزم الثاني في الآية اشكال وهو ان حسنات الكافر محبطة بكفره وسيئات
المؤمن معفوة اما ابتداء واما بسبب اجتناب الكبائر فما معنى الجزاء مثاقيل الذر من الخير والشر
اجاب عنه اهل التفسير من وجوه احدها فمن يعمل مثقال ذرة من خير وهو كافر فانه يرى
ثواب ذلك في الدنيا حتى يلقى الآخرة وليس له فيها خير ومن يعمل مثقال ذرة شرا وهو
مؤمن يرى عقوبة ذلك في الدنيا حتى يلقى الآخرة وليس له فيها شر وهذا هو مروي عن
ابن عباس رضي الله عنه ويدل على صحة هذا التأويل ما روى انه عليه السلام قال لابي بكر يا ابا بكر
ما رأيت في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ويدخر الله لك مثاقيل الخير حتى توفاها
يوم القيمة وثانيها قال ابن عباس رضي الله عنه ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا او شرا
الا اراه الله تعالى اياه فاما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته واما الكافر فيرد
حسناته ويعذب بسيئاته وثالثها المراد فمن يعمل من السعداء مثقال ذرة خيرا
يره ومن يعمل من الاشقياء مثقال ذرة شرا يره الرابع لقائل ان يقول ان كان الامر
الى هذا الحد فاين الكرم والجواب هذا هو الكرم لان المعصية وان قلت ففيها استخفاف
والكريم لا يحتمله والطاعة وان قلت ففيها تعظيم والكريم لا يضيعه ثم التحقيق ان
المق وهو النية والقصد فاذا كان العمل قليلا لكن النية خالصة فقد حصل المطلوب
وان كان العمل كثيرا والنية فاترة فالمقصود فائت قال مقاتل نزلت هذه الآية كان
احدهما يأتيه السائل فيستقل ان يعطيه التمرة والكسرة والجوزة ويقول ما هذا
بشيء وانما نؤجر على ما نعطي وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير ويقول لا شيء علي
في هذا انما الوعيد بالنار على الكبائر فنزلت هذه الآية ترغيبا في القليل من الخير فانه يوشك
ان يكثر وتحذيرا من اليسير من الذنب فانه يوشك ان يكثر ولهذا قال عليه السلام
اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة سورة والعاديات مختلف
فيها وهي احدى عشرة آية ومناسبة لتلك السورة لان تلك السورة متضمنة

القليل

القليل من الاعمال لا يكون معطلا خيرا كان او شرا حتى اذا كان ذلك الخير مثل
عدو الفرس والغبار الصادر من ذلك العدو والاصوات الحاصلة من انفاس ذلك الفرس
مثلا كما في اول هذه السورة فانه لا يكون ضايعا بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات
ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا الضبح انفاس الخيل اذا عدون وهو
صوت ليس بصهيل ولا حمحمة ولكنه صوت نفس ثم اختلفوا في المراد بالعاديات
على قولين الاول ما روي عن علي وابن مسعود رضي الله عنهما انها الابل وعلى هذا القول
فالموريات قدحا ان الحوافر ترمي بالحجر من شدة العدو فتضرب بحجر آخر فتوري
النار او يكون المعنى الذين يركبون الابل وهم الحجيج اذا اوقدوا نيرانهم بالمزدلفة
فالمغيرات الاغارة سرعة السير وهم يندفعون صبيحة يوم النحر مسرعين الى منى
فاثرن به نقعا يعني غبارا بالعدو وعن محمد بن كعب النقع ما بين المزدلفة الى منى
فوسطن به جمعا يعني مزدلفة لانها تسمى الجمع لاجتماع الحاج بها وعلى هذا التقدير
فوجه القسم ما ذكر من المنافع الكثيرة فيه في قوله افلا ينظرون الى الابل كيف
خلقت ولا يبعد ان الغرض ذكر ابل الحج الترغيب في الحج كانه تعالى يقول جعلت ذلك
مقسما به فكيف اضيع عملك وفيه تعريض لمن يرغب عن الحج فان الكنود هو الكفور
والذي لم يحج بعد الوجوب موصوف بذلك كما في قوله ولله على الناس حج البيت الى قوله
ومن كفر القول الثاني قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك واكثر المحققين
رضي الله عنهم انه الخيل وروي ذلك مرفوعا واعلم بان الالفاظ بهذه الآية ينادي
ان المراد هو الخيل اذ الضبح لا يكون الا للفرس فاستعماله في الابل يكون بطريق المجاز
والعدول عن الحقيقة الى المجاز بغير ضرورة لا يجوز وايضا فالقدح يظهر بالحافر ما
لا يظهر بخف الابل وكذا قوله فالمغيرات صبحا لانه بالخيل اسهل منه بغيره فاذا
عرفت هذا فنقول هنا مباحث الاول انه تعالى اقسم بالخيل لان لها في العدو من الخصال

الحيوان ما ليست لسائر الدواب فانها تصلح للطلب والهرب والكر والفر فالله تعالى
اقسم بفرس الغازي لما فيه من منافع الدنيا والدين وفيه تنبيه على ان الانسان يجب ان
يمسكه لا للزينة والتفاخر بل لهذه المنفعة وانما قال ضبحا لان ذلك امارة يظهر بها التعب
وانه يبذل كل الوسع ولا يقف عند التعب الثاني ذكروا في انتصاب ضبحا وجوها احدها
قال الزجاج والعاديات تضبح ضبحا وثانيها ان يكون والعاديات في معنى والضابحات لان
الضبح يكون مع العدو وهو قول الفراء وثالثها قال اهل البصرة التقدير والعاديات ضابحة
فقوله ضبحا نصب على الحال اما قوله تعالى فالموريات قدحا فالايراء اخراج النار والقدح الصك
تقول قدح فاصطك ثم في تفسير الاية وجوه احدها قال ابن عباس رضي الله عنه يريد ضرب
الخيل بحوافرها الجبل فاورت منه النار وقال مقاتل يعني الخيل يقدحن بحوافرهن في
الحجارة نارا ثم من الناس من يقول انها نعل الحديد تصك الحجر فتخرج النار والاول ابلغ
لان على ذلك التقدير يكون السنابك نفسها كالحديد كما انتصب ضبحا وثانيها قال
قوم هذه الايات في الخيل ولكن ايراءها ان تهيج الحرب بين اصحابها وبين عدوهم كما
قال كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ومنه يقال للحرب اذا التحمت حمي الوطيس
وثالثها هم الذين يغزون فيورون بالليل نيرانهم لحاجتهم فالموريات هم الجماعة الغزاة
ورابعها هي الالسنة تورى نار العداوة لعظم ما تتكلم به وخامسها هي افكار
الرجال تورى نار المكر والخديعة وسادسها فالمنجحات امرا يعني الذين وجدوا مقصودهم
وفازوا بمطلوبهم من الغزو والحج يقال للمنجح في حاجته ورى زنده والاقرب من هذه
الوجوه هو الاول اما قوله تعالى فالمغيرات صبحا يعني الخيل تغير على العدو وقت الصبح وكانوا
يغيرون صباحا لانهم في الليل يكونون في الظلمة فلا يبصرون شيئا كما في النهار واما
الذين حملوا هذه الايات على الابل قالوا المراد هو الابل يدفع ركبانها يوم النحر من جمع الى منى
ومعنى الاغارة في اللغة الاسراع يقال اغار اذا اسرع اما قوله تعالى فاثرن به نقعا

ففيه مباحث الاول النقع هو الغبار سمي نقعا لانه يرتفع وقيل هو من النقع في الماء فكان
صاحب الغبار غاص فيه كما يغوص الرجل في الماء والقول الثاني ان النقع هو الصياح
يقال ثار الغبار والدخان اي ارتفع واثرت الغبار اي هيجته والمعنى ان الخيل
اثرن الغبار لشدة العدو الثاني الضمير في به على قول الفراء عائد الى المكان الذي انتهى
اليه والموضع الذي تقع فيه الاغارة وقيل انه عائد الى الزمان الذي وقعت فيه الاغارة
اي فاثرن به العدو نقعا الثالث فان قيل علام عطف قوله فاثرن قلنا على الفعل
الذي وضع اسم الفاعل موضعه والتقدير واللاتي عدون فاورين فاغرن الرابع قرئ
فاثرن بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التاثير فيه معنى الاظهار اما قوله تعالى
فوسطن به جمعا ان الانسان لربه لكنود وانه على ذلك لشهيد وانه
لحب الخير لشديد ففيه مباحث الاول قال الليث وسطت النهر والمفازة اي
صرت في وسطها والضمير في به يرجع الى العدو يعني جمع العدو والمعنى صرن بعدو
هن وسط جمع العدو ومن حمل الايات على الابل قال يعني جمع منى وقيل الضمير عائد الى
النقع اي وسطن بالنقع الجمع وقيل المراد ان العاديات وسطن ملتبسات بالنقع جمعا من جموع الاعداء
الثاني قرئ فوسطن بالتشديد للتعدية والباء مزيدة للتوكيد ثم ان الناس اكثروا في
صفة الخيل وعن النبي صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير واعلم انه تعالى
لما ذكر المقسم به ذكر المقسم عليه وهو امور ثلاثة احدها وهو قوله ان الانسان
لربه لكنود قال الواحدي اصل الكنود منع الخير والحق والكنود الذي يمنع ما عليه
والارض الكنود هي التي لا تنبت شيئا وقال ابن عباس رضي الله عنهما الكنود هو الكفور
وهو قول الاكثر وقيل انه في لغة قوم هو العاصي وفي لغة قوم هو البخيل وبالجملة
فمعنى الكنود لا يخرج عن ان يكون كفرا او فسقا وكيف ما كان فلا يمكن حمله على كل الناس
فلا بد من صرفه الى كافر معين او الى كل كافر وثانيها قوله وانه على ذلك لشهيد يعني

ان الانسان على كونه كنودا لشهيد يشهد على نفسه في الآخرة ويعترف بذنوبه
وقيل المراد وان الله على ذلك لشهيد وهذا اولى لان الضمير عائد الى الاقرب ويكون
ذلك كالوعيد والزجر له عن المعاصي والدليل على القول الاول قوله تع وانه لحب الخير
لشديد فان الضمير فيه عائد الى الانسان وثانيها قوله تع وانه لحب الخير لشديد الخير
للمال من قوله تع ان ترك خيرا وقوله تع واذا مسه الخير والشديد البخيل ثم في التفسير
وجوه منها انه لحب المال لبخيل ومنها المراد من الشديد القوي ويكون المعنى انه لحب
المال وايثار الدنيا وطلبها قوي يقال هو شديد لهذا الامر وقوي له اذا كان مطيعا
له ضابطا ومنها انه لحب الخير غير هش منبسط بل شديد منقبض منها قال الفراء
وانه لحب الخير لشديد الحب الا انه اكتفى بالحب الاول عن الثاني ومنها قال قطرب اي انه
شديد حب الخير كقولك انه لزيد ضروب اي انه ضروب زيد واعلم انه تع لما عدد عليه
قبائح افعاله خوفه فقال تع **افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور** وفيه بحثان الاول
الكلام في بعثر مضى في قوله واذا القبور بعثرت اي بعثت وقرئ بحثر الثاني
لقائل ان يقول لم قال بعثر ما في القبور ولم يقل بعثر من في القبور ثم انه لما قال ما في
القبور فلم قال ان ربهم ولم يقل انه ربها بها يومئذ لخبير والجواب عن الاول هو ان ما في
الارض من غير المكلف اكثر فاخرج الكلام على الاغلب او يقال انهم حال ما يبعثون
لا يكونون احياء عقلاء بل بعد ذلك يصيرون كذلك فلا جرم كان الضمير الاول ضمير
غير العقلاء والضمير الثاني ضمير العقلاء ثم قال تعالى **وحصل ما في الصدور**
قال ابو عبيدة اي ميز ما في الصدور وقال الليث الحاصل من كل شيء ما بقي وذهب
ما سواه والتحصيل تمييز ما يحصل وفي التفسير وجوه احدها معنى حصل جمع في
الصحف اي اظهر محصلا مجموعا ومنها انه لا بد من التمييز بين الواجب وغير الواجب
من المندوب والمحظور وغيره فكان لكل واحد حكما يليق به ويختص ومنها ان

كثيرا

كثيرا ما يكون باطن الانسان خلاف ظاهره اما يوم القيمة فانه يتكشف الاسرار وينهتك
الاستار قال تع يوم تبلى السرائر وقرئ بالفتح والتخفيف بمعنى ظهر ثم قال تعالى
ان ربهم بهم يومئذ لخبير وفيه سؤالات الاول انه يوهم ان علمه بهم في ذلك اليوم
انما حصل بسبب الخبرة وذلك على الله تع محال والجواب كانه تع يقول ان من لم يكن عالما
فانه يصير بسبب الاختبار عالما فمن كان لم يزل عالما الا يكون خبيرا والجواب الثاني
لم خص اعمال القلوب بالذكر في قوله وحصل ما في الصدور واهمل ذكر اعمال
الجوارح الجواب لان اعمال القلوب نحو الارادات سابقة على اعمال الجوارح وللازمة
لها ولهذا جعلها الله تع الاصل في المدح والذم وقال فقال وجلت قلوبهم وقال
آثم قلبه الثالث لم قال وحصل ما في الصدور ولم يقل وحصل ما في القلوب والجواب
المذكور ان القلب مطية الروح وهو بالطبع محب لمعرفة الله تع وخدمته وانما
المنازع في هذا الباب هو النفس ومحلها ما يقرب من الصدر وقال يوسوس في صدور
الناس الرابع الضمير في قوله ان ربهم بهم عائد الى الانسان وهو واحد والجواب انه في معنى
الجمع كما في قوله تع ان الانسان لفي خسر فانه في معنى الجمع والا لما صح قوله الا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات **سورة القارعة مكية وهي عشر آيات** انه تع لما ختم السورة
المتقدمة ان ربهم بهم يومئذ لخبير فكانه قيل وكيف ذلك اليوم فقيل هي القارعة
وصفه بها بسم الله الرحمن الرحيم **القارعة ما القارعة وما ادريك
ما القارعة** وفيه مباحث الاول القرع الضرب بشدة ثم سميت الحادثة العظيمة
من حوادث الدهر قارعة قال تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة ومنه
تقارعوا اذا تضاربوا بالسيوف واتفقوا على ان القارعة اسم من اسماء القيمة ثم في سبب
هذه التسمية وجوه منها انها هي الصيحة التي يموت منها الخلائق وهي الصيحة لان في
الصيحة الاولى يذهب العقول قال تع فصعق من في السموات والارض ومنها ان القارعة

هي التي تقرع الناس بالاهوال والافزاع وذلك في السموات بالانشقاق والانفطار
وفي الشمس والقمر بالتكوير وفي الكواكب بالانتثار وفي الجبال بالنسف وفي الارض
بالطي وهو قول الكلبي ومنها انها تقرع اعداء الله بالعذاب والخزي والنكال وهو
قول مقاتل وهذا هو الاقرب من قول الكلبي كقوله تعالى وهم من فزع يومئذ آمنون
الثاني في اعراب قوله القارعة ما القارعة وجوه احدها انه تحذير وقد جاء التحذير
بالرفع والنصب تقول الاسد الاسد فيجوز بالرفع والنصب وثانيها فيه اضمار اي
ستأتيكم القارعة وثالثها رفع بالابتداء وخبره ما القارعة وقيل الخبر ما ادريك
ما القارعة الثالث قوله وما ادريك ما القارعة وجوه احدها لا علم لك بكنهها
لانها في الشدة بحيث لا يبلغها وهم احد ولا فهمه وكيف ما قدرته فهو اعظم من تقديرك
كانه تعالى قال قوارع الدنيا في جنب تلك القارعة كانها ليست بقوارع فان قيل قال ههنا
وما ادريك ما القارعة وقال في آخر السورة فامه هاوية وما ادريك ماهيه ولم يقل
وما ادريك ما هاوية قلنا الفرق ان كونها قارعة امر محسوس وكونها هاوية ليس
كذلك الرابع قال اهل التحقيق القارعة ما القارعة اشد من قوله الحاقة ما الحاقة لان
النازل آخرا لا بد وان يكون ابلغ لان المقصود منه زيادة التنبيه وهذه الزيادة لا تحصل
الا اذا كانت اقوى وبالجملة فالحاقة بالنظر الى المعنى اشد لكونه راجعا الى معنى
العدل والقارعة اشد لما انها تهجم على القلوب بالامر الهائل ثم قال تعالى يوم
يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش
قال في الكشاف الظرف نصب بمضمر دلت عليه القارعة اي تقرع يوم يكون الناس
كذا واعلم انه تعالى وصف ذلك اليوم بامرين احدهما كون الناس فيه كالفراش وثانيهما
كون الجبال فيه كالعهن اما الفراش فهو الحيوان الذي يتهافت في النار وسمي
فراشا لتفرشه وانتشاره ثم انه تعالى شبه الخلق وقت البعث بالفراش مرة وما

وبالجراد مرة اما وجه التشبيه فلان الفراش اذا ثار لم يتجه لجهة واحدة بل كل واحدة
منها يذهب الى جهة اخرى والمبثوث المتفرق يقال بثه اذا فرقه واما وجه التشبيه
بالجراد فذلك في الكثرة قال الفراء الغوغاء الجراد يركب بعضه بعضا واما ان الجراد
اكثر من الفراش فذلك لا يقدح في التشبيه الذي مر ذكره وانما قال البحر في التشبيه لانهم
يكونون في ذلك اليوم اذل من الفراش اذ الفراش لا يعذب وهم يعذبون فنظيره
كالانعام بل هم اضل وتكون الجبال كالعهن المنفوش العهن الصوف ذو الالوان و
قد مر تحقيقه عند قوله وتكون الجبال كالعهن وقراءة ابن مسعود كالصوف المنفوش
ثم انه تعالى اخبر ان الجبال مختلفة الالوان على ما قال وههنا مباحث الاول كانه تعالى
نبه على ان تاثير تلك القرعة في الجبال هو انها صارت كالعهن المنفوش فكيف يكون حال
الانسان عند سماعها ولا يبعد ان يكون المراد ان جبال النار تصير كالعهن لشدة
حمرتها الثاني قد وصف الله تغير الاحوال على الجبال من وجوه منها ان تصير قطعا كما
قال ودكت الجبال دكا ومنها ان تصير كثيبا مهيلا ومنها ان تصير سرابا كما قال تعالى
وسيرت الجبال فكانت سرابا ومنها ان تصير كالعهن المنفوش وهي اجزاء كالذر رابد
الثالث لم يقل يوم يكون الناس كالفراش والجبال كالعهن المنفوش لان التكرير في هذا
المقام ابلغ في التحذير واعلم انه تعالى لما وصف يوم القيمة قسم الناس فيه الى قسمين فقال
تعالى فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وفي الموازين قولان
احدهما انه جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله وثانيهما انه جمع ميزان
قال ابن عباس رضي الله عنه الميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه الا الاعمال قال اهل الكلام
ان نفس الحسنات والسيئات لا توزن او يجعل النور علامة الحسنات والظلمة علامة
السيئات والفائدة في ذلك ظهور حال صاحب الحسنات وصاحب السيئات في الجمع العظيم
اعانة لذلك بازدياد السرور في قلبه واهانة لهذا باظهار القصور في عمله اما ما

قوله تعالى فهو في عيشة راضية والعيش مصدر بمعنى العيش كالخيفة بمعنى الخوف
واما الراضية فقال الزجاج اي عيشة ذات رضى يرضاها صاحبها كلابن وتامر
بمعنى ذو لبن وذو تمر ولهذا قال المفسرون تفسيرها مرضية على معنى يرضاها
صاحبها ثم قال تعالى واما من خفت موازينه فامه هاوية وما ادريك ماهيه
نار حامية خفت موازينه اي قلت حسناته فرجحت السيئات قال مقاتل انما
يكون كذلك لان الحق ثقيل والباطل خفيف اما قوله فامه هاوية ففيه وجوه منها
ان الهاوية من اسماء النار العميقة لهوي بها اهل النار فيها مهوى بعيدا والمعنى فماواه
النار وقيل للماوى ام على سبيل التشبيه ومنها فام راسه هاوية في النار ذكره الاخفش
والكلبي وقتادة لانهم يهوون في النار على رؤسهم ومنها انهم اذا دعوا على الرجل
بالهلاك قالوا هوت امه لانه اذا هوى اي سقط وهلك هوت امه حزنا فكانه
قيل فاما من خف موازينه فقد هلك ثم قال وما ادريك ماهيه قال الكشاف
هي ضمير الداهية التي دل عليها قوله فامه هاوية او ضمير هاوية والهاء للسكت
فاذا وصل جاز فيها فالاختيار الوقف بالهاء لاتباع المصحف ثم قال نار حامية
والمعنى ان سائر النيران بالنسبة اليها ليست حامية وهذا القدر كاف في التنبيه على
قوة سخونتها نعوذ بالله منها سورة التكاثر مكية ثماني ايات بسم الله الرحمن الرحيم
الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف
تعلمون فيه مباحث الاول في المناسبة بينها وبين السورة المتقدمة ان في تلك من
اسباب تلك الاحوال فان خف موازينه فهو الذي كان مشغولا بالتفاخر والتكاثر
واضاعة العمر الثاني الالهاء الصرف الى اللهو واللهو الانصراف الى ما يدعو اليه
الهوى ومعلوم ان الانصراف الى الشيء يقتضي الاعراض عن غيره والتكاثر التباهي بكثرة
المال والجاه والمناقب والمناصب وقال ابو مسلم التكاثر تفاعل من التكثر والتفاعل

يقع على وجوه ثلثة يحتمل ان يكون الاثنين فيكون مفاعلة ويحتمل تكلف تقول تكارهت
على كذا اذا فعلته وانت كاره وتعاميت عن الامر اذا تكلفت عنه ثم التكاثر في هذه
الاية يحتمل الوجهين الاولين لانه كان من اثنين يقول كل واحد منهما لصاحبه انا
اكثر منك مالا واعز نفرا ويحتمل تكلف الكثرة فان الحريص متكلف جميع عمره تكثير
ماله الثالث اعلم ان التفاخر انما يكون باثبات الانسان نوعا من انواع السعادة لنفسه
والسعادة على اربعة اقسام دينية نحو العلوم والاخلاق الفاضلة وهي السعادة
السرمدية وبدنية نحو الصحة والكمال ومالية وهي بكثرة الاموال وانفاقية وهي ان
يحصل ما ينبغي من غير تكلف من المال والجاه وغير ذلك اما السعادة البدنية فانها من
المطالب لا لنفسها في الحقيقة بل لاجل السعادة الدينية السرمدية التي تسمى سعادة
نفسانية فالعاقل ينبغي ان يكون سعيه في تقديم الاهم فالتفاخر بالمال والجاه والاعوان
تفاخر باخس المراتب من اسباب السعادة ولا شك في ان الاشتغال به يمنع الانسان من
تحصيل السعادة النفسانية الباقية بالعلم والعمل فيكون ذلك على خلاف ما يلزمه
عقلا وشرعا فلهذا ذمهم الله تع فقال الهيكم التكاثر ويدخل فيه التكاثر بالمال والجاه
والاقارب والانصار وبكل ما يكون من الدنيا ولذاتها الثالث الهيكم يحتمل ان يكون اخبارا
عنهم ويحتمل ان يكون استفهاما بمعنى التوبيخ والتقريع اي الهيكم كما قرئ ءانذرتهم
ولانذرتهم الرابع الاية تدل على ان التفاخر والتكاثر مذموم لكنه لا يكون مطلقا فان
التفاخر بالسعادة الحقيقية غير مذموم ومن ذلك ما روي من تفاخر العباس بان السقاية
بيده وقد مر من قبل في قوله تع واما بنعمة ربك فحدث انه يجوز للانسان ان يفتخر بطاعته
ومحاسن اخلاقه اذا كان يظن ان غيره يقتدي به فالالف واللام في التكاثر ليس
للاستغراق بل للمعهود السابق وهو التكاثر في المال والجاه ونحو ذلك الخامس في تفسير
الاية وجوه احدها الهيكم التكاثر بالعدد روي انها نزلت في بني عبد سهم وبني

عبد مناف وتفاخروا انهم اكثر وكان بنو عبد مناف اكثر فقال بنو سهم عدوا مجموع
الاحياء والاموات منا ومنكم فزاد بنو سهم فنزلت الاية تدل على هذه الرواية قوله تعالى
حتى زرتم المقابر ثم في زيارة القبور فوائد من رقة القلب وازالة حب الدنيا ولاجل
ذلك قال عليه السلام كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها فان في زيارتها تذكرة
ثم انهم زاروا القبور بسبب قساوة القلب والاستغراق في حب الدنيا ولهذا ذكره
الله تعالى في معرض الذم وثانيها ان المراد هو التكاثر بالمال روى عبد الله بن الشخير
عن النبي عليه السلام انه كان يقرأ الهيكم وقال ابن آدم يقول مالي مالي وهل لك من مالك الا ما
اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت والمراد من قوله حتى
زرتم المقابر حتى متم يقال لمن مات زار قبره فيكون معنى الاية الهيكم حرصكم على
تكثير اموالكم عن طاعة ربكم حتى اتاكم الموت وانتم على ذلك ولقائل ان يقول كيف
يحمل عليه والزائر يزور ساعة ثم ينصرف والميت يبقى في قبره فكيف يقال زار
القبر فنقول قد يمكث الزائر لكن لا بد له من الرحيل وكذا اهل القبور فانهم يرحلون
الى مقام الحساب ولئن قال هب انه كذلك لكن قوله تعالى حتى زرتم المقابر اخبار عن
الماضي فكيف يحمل على المستقبل فنقول ان المخبر عمن تقدمهم وعظ لهم فهو كالخبر
عنهم لانهم كانوا على طريقتهم ومنه قوله تعالى وتقتلون النبيين وعن ابي مسلم انه
تعالى يتكلم بهذه السورة يوم القيمة يعير الكفار وهم في ذلك الوقت قد تقدمت
منهم زيارة القبور وثالثها الهيكم الحرص على المال وطلب الثروة حتى منعتم الحقوق
المالية الى حين الموت ثم يقول في تلك الحالة اوصيت لاجل الزكوة بكذا ولاجل
الحج بكذا ورابعها الهيكم التكاثر عن الالتفات الى الدين الا اذا زرتم المقابر هكذا
ينبغي ان يكون حالكم وهو ان يكون حظكم من دينكم ذلك القدر القليل من الانكسار
ونظيره قوله تعالى قليلا ما تشكرون اي لا اقنع منكم بهذا القدر من الشكر الشاذ

انه

95 انه تعالى لم يقل الهيكم التكاثر عن كذا لان المطلق ابلغ في الذم لما انه يدخل فيه جميع ما
يحتمل اما قوله تعالى كلا سوف تعلمون فانه يتصل بما قبله وبما بعده اما الاول فعلى وجه
الردع والتكذيب اي ليس الامر كما يتوهم هؤلاء من ان السعادة الحقيقية بكثرة العدد
والاموال اما الثاني فعلى معنى القسم اي حقا سوف تعلمون لكن حين يصير الفاسق
تائبا والكافر مسلما والحريص زاهدا اما التكرير ففيه وجوه منها انه للتاكيد وانه
وعيد بعد وعيد ومنها ان الاول عند الموت حين يقال له لا بشرى والثاني في سؤال
القبر والثالث عند النشور حين ينادي المنادي فلان شقي شقاوة لا سعادة
بعدها ابدا ومنها وهو قول الضحاك سوف تعلمون ايها الكفار ثم كلا سوف تعلمون
ايها المؤمنون ومنها ان كل احد يعلم قبح الظلم والكذب وحسن العدل والصدق ولكن
لا يعرف قدر اثارها ونتايجها ثم انه تعالى يقول سوف تعلم العلم المفصل لكن التفصيل
يحتمل التزايد فيقسم ذلك على الاحوال فعند المعاينة يزداد ثم عند السؤال ثم عند البعث
ثم عند الحساب ثم عند دخول الجنة والنار فكذلك وقع التكرير ومنها احدى الحالتين
عذاب القبر والاخرى عذاب القيمة وعن علي رضي الله عنه ان هذه الاية تدل على عذاب القبر ثم
قال تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين
وفيه مباحث الاول اتفقوا على ان جواب لو محذوف وقوله لترون الجحيم ليس جواب
لو لوجهين احدهما ان ما كان جواب لو في نفسه اثبات واثباته نفي فلو كان هذا جوابا
للو لوجب ان لا يحصل هذه الرؤية وذلك باطل فان هذه الرؤية واقعة قطعا فان
قيل المراد من هذه الرؤية رؤيتها بالقلب في الدنيا ان هذه الرؤية غير واقعة
قلنا ترك الظاهر خلاف الاصل وثانيهما ان قوله تعالى ولتسالن يومئذ عن النعيم
اخبار عن امر سيقع قطعا فعطفه على ما لا يوجد قبيح في النظم واعلم ان الجواب تركه
في مثل هذا الكلام احسن كما في قوله تعالى ولو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم

النار ولا عن ظهورهم ثم انهم ذكروا في جواب لو وجوها احدها قال الاخفش تعلمون
علم اليقين ما الهيكم التكاثر وثانيها قال ابو مسلم لو علمتم ماذا يجب عليكم لتمسكتم به او
علمتم لاي امر خلقتم لاشتغلتم به وثالثها انه حذف الجواب ليذهب الوهم كل مذهب
فيكون التهويل اعظم وكانه قال لو علمتم علم اليقين لفعلتم ولكنكم ضلال وجهلة
اللام في لترون الجحيم يدل على انه جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وان ما
اوعدوا به لا يدخله ريب وكرره معطوفا بثم تغليظا للتهديد بل الثاني انه تعالى
اعاد لفظ كلا وانما حسنت الاعادة لانه عقبه في كل موضع بغير ما عقب به الموضع
الاخر كانه تعالى قال لا تفعلوا هذا فانكم تستحقون به من العذاب كذا لا تفعلوا كذا فانكم
تستوجبون به ضربا اخر وهذا التكرير ليس بالمكروه بل هو مرضي عندهم وكلا في
هذا الموضع عند الحسن البصري رحمه الله بمعنى قولنا حقا كانه قيل حقا لو تعلمون
علم اليقين الثالث في قوله علم اليقين وجهان احدهما ان معناه علما يقينا فاضيف
الموصوف الى الصفة كما في قوله تعالى ولدار الاخرة وثانيهما ان اليقين هنا هو الموت
او البعث لانهما اذا وقعا جاء اليقين وزال الشك وقد جاء اليقين بمعنى الموت في قوله
واعبد ربك حتى ياتيك اليقين والمعنى لو تعلمون علم الموت وما يلقى الانسان معه وبعده
لم يلهكم التكاثر عن ذكر الله تعالى الرابع العلم من اشد البواعث على العمل فاذا كان
وقت العمل امامه كان وعدا وغبطة واذا كان على العكس كان حسرة وندامة
الخامس ان في الاية تهديدا عظيما للعلماء فانها تدل على انه اذا حصل اليقين بما في
التكاثر من الافة لتركوا التكاثر والتفاخر وانه يقتضي ان من لا يترك التكاثر و
التفاخر لا يحصل له اليقين فالويل للعالم الذي لا يكون عاملا ثم الوجه السادس
في تكرير الرؤية وجوه احدها انه لتاكيد الوعيد ونون التاكيد يقتضي ان يكون تلك
الرؤية اضطرارية وثانيها ان الاولى هي الرؤية من البعيد اذا راتهم من مكان

بعيد

96

بعيد سمعوا لها تغيظا والثانية من القريب اذا صاروا على شفير النار وثالثها
ان الاولى عند الورود والثانية عند الدخول فيها ورابعها ان الاولى هي الموعد
والثانية هي المشاهدة وخامسها ان لا يكون المراد لترون الجحيم غير مرة فيكون ذكر
الرؤية مرتين عبارة عن تتابع الرؤية **فان قيل** ما الفائدة في تخصيص الرؤية الثا نية
باليقين **قلنا** لانهم راوا لهبها لا غير وفي المرة الثانية راوا انفس الحفرة وكيفية
السقوط فيها وما فيها من الموذيات السابع قراءة العامة لترونه بفتح التاء وقرئ
بضمها والمعنى انهم يحشرون اليها فيرونها وهذه القراءة مروية عن ابن عامر والكسائي
وعن الفراء قراءة العامة اشبه بكلام العرب قوله تعالى **ثم لتسالن يومئذ عن
النعيم** فيه مباحث الاول في الذي يسال عن النعيم قولان احدهما انهم الكفار عن
الحسن لا يسال عن النعيم الا اهل النار وهذا على وفق الظاهر لان الكفار الهيكم التكا ثر
في الدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله تعالى والاشتغال بشكره فالله تعالى يسالهم عنها
يوم القيمة وثانيهما انه عام في حق المؤمن والكافر روي عن عمر رضي الله عنه انه قال عن
اي نعيم نسال عنه يا رسول الله وقد اخرجنا من ديارنا واموالنا فقال عليه ظلال
المساكين والاشجار والماء البارد في اليوم الحار وعن معاذ رضي الله عنه عن النبي عليه السلام
انه قال ان العبد ليسال يوم القيمة حتى عن كحل عينيه واعلم ان السؤال يعم المؤمن
والكافر لكن سؤال الكافر سؤال توبيخ لانه ما شكر وسؤال المؤمن سؤال تشريف
لانه شكر واطاع الثاني ذكروا في النعيم المسؤول عنه وجوها منها انه خمس شبع
البطون وبارد الشراب ولذة النوم وظلال المساكن واعتدال الخلق ومنها ما
وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه انه الامن والصحة والفراغ ومنها وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما
وجابر رضي الله عنهم ملاذ الماكول والمشروب ومنها قال الحسين بن الفضل تخفيف الشرائع
وتيسير القران ومنها قال ابن عمر رضي الله عنهما انه الماء البارد ومنها قال الباقر انه

العاقبة ومنهم من قال النعيم هو رسول الله الذي انعم الله به على هذا العالم فانقذهم به من الضلالة انما سمعت قوله تع لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا والاولى انه يحمل على جميع النعم ويدل عليه وجوه احدها ان الالف واللام يفيد الاستغراق وثانيها انه ليس صرف اللفظ الى البعض اولى من صرفه الى الباقي وثالثها انه تع قال يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم والمراد منه جميع النعم من فلق البحر والانجاء من فرعون وانزال المن والسلوى وغير ذلك ثم النعم على اقسام كثيرة بحسب الظاهر والباطن والدين والدنيا متصلة ومنفصلة ولا يمكن تعديدها بحسب الاجناس خصوصا بحسب الانواع والاشخاص قال تع وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وبالجملة فالحق ان السؤال يعم المؤمن والكافر عن جميع النعم قليلها وكثيرها اذ كل ذلك يجب ان يكون مصروفا الى طاعة الله لا الى معصيته فيكون السؤال واقعا عن الكل الثالث اختلفوا في ان هذا السؤال اين يكون والقول الاول ان هذا السؤال انما يكون في موقف الحساب **فان قيل** كيف هو والله تع اخبر ان هذا السؤال متاخر عن مشاهدة جهنم بقوله ثم لتسئلن **قلنا** المراد من قوله ثم لتسئلن انكم تسالون يوم القيمة وهو كقوله فك رقبة او اطعام الى قوله كان من الذين امنوا والقول الثاني انهم اذا دخلوا النار سئلوا عن النعيم عن النعيم توبيخا لهم كما قال كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها وقال تع ما سلككم في سقر ولا شك النجي الرسول نعمة من الله فقد سئلوا عنه بعد دخول النار فقال انهم اذا صاروا في الجحيم وشاهدوها يقال لهم انما حصل لكم عند العذاب لانكم في دار الدنيا اشتغلتم بالنعيم عن العمل الذي ينجيكم من هذه النار ولو صرفتم عمركم الى طاعة ربكم لكنتم اليوم من اهل النجاة والكافرين بالدرجات فيكون ذلك من الملائكة سؤالا عن نعيمهم في الدنيا

سورة العصر مكية وهي ثلث ايات بسم الله الرحمن الرحيم **والعصر** واعلم ان سورة التكاثر مشتملة على ان الكفار

اشتغلوا

اشتغلوا بالتكاثر والتفاخر عند حصول النعم وما اشتغلوا بشكر النعمة وعلى انهم سئلوا عن شكر تلك النعم كما مر وهذه السورة مشتملة على القسم بالعصر ان ترك شكر النعمة فهو في الخسر وفي العصر قوال الاول انه الدهر لما روي عن النبي عليه السلام انه قال لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله ثم ان الدهر مشتمل على الاعاجيب من السراء والضراء والصحة والسقم والغنى والفقر بل فيه ما هو اعجب من كل عجيب وهو ان العقل لا يقوى على ان يحكم بالعدم ولا بالوجود وايضا اذ الحاضر غير قابل للقسمة وماله وجود بالحقيقة فهو الحاضر ولان بقية عمر المرء لا قيمة له فلو ضيعت الف سنة ثم تبت في اللمحة الاخيرة من العمر فقد حصل لك نعيم الجنة ابد الاباد بتلك اللمحة فما الدهر الثاني وهو قول ابي مسلم المراد بالعصر احد طرفي النهار والسبب فيه وجوه احدها انه تع اقسم بالعشي كما اقسم بالضحى لاشتمالها على دلائل القدرة فان كل بكرة كانها القيمة يصير الاموات احياء وكل عشية كذلك يصير الاحياء امواتا وروي في ما تقدم في قيامة وثانيها قال الحسن رحمه الله انما اقسم بهذا الوقت تنبيها على ان الاسواق قد دنى وقت انقطاعها وانتهاء التجارة والكسب فيها وهذا ايضا فيما نبه بك على احوال القيمة فان التاجر في هذا الوقت يحاسب نفسه وينظر في معاملته مع الخلق من اول اليوم الى هذا الوقت فيعلم انه رابح او خاسر وثالثها ان هذا الوقت وقت معظم لما روي عن النبي عليه السلام انه قال من حلف بعد العصر كاذبا لا يكلمه الله ولا ينظر اليه يوم القيمة فكما اقسم في حق الرابح بالضحى فكذا اقسم في الخاسر بالعصر وذلك لانه اقسم بالضحى في حق الرابح بوعد الرسول ان امره الى الاقبال وهنا في حق الخاسر ان امره الى الادبار كانه يقول بعض النهار باق فيحثه على التدارك بالتوبة الثالث وهو قول مقاتل اراد صلوة العصر لفضلها بدليل قوله تع والصلوة الوسطى صلوة العصر في مصحف حفصة وقيل في قوله تع تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان بالله انها

صلوة العصر ولان صلوة بها يختتم طاعات النهار فهي كالتوبة بها يحصل ختم
الاعمال فاقسم بهذه الصلوة تفخيما لشانها فان قيل صلوة العصر فعلنا فكيف
ان يقال اقسم الله تعالى بها والجواب انه ليس قسما من حيث انها فعلنا بل من حيث انها امر
شريف تعبدنا الله بها الرابع المراد بالعصر عصر الرسول صلعم وهو زمانه فالله تعالى اقسم بزمانه
في هذه الآية وبمكانه في قوله وانت حل بهذا البلد وبعمره في قوله لعمرك وهذه كلها كالظرف
له فاذا وجب تعظيم الظرف فقس عليه حال المظروف قوله تعالى ان الانسان لفي خسر وفيه
مباحث الاول ان الالف واللام في الانسان يحتمل ان يكون للجنس ويحتمل ان يكون للعهد
فلهذا قالوا فيه قولين احدهما المراد منه الجنس ويدل عليه استثناء الذين آمنوا و
عملوا الصالحات وثانيهما المراد منه العهد قال ابن عباس رضي الله عنه يريد جماعة من المشركين
كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد المطلب وقال مقاتل نزلت في شخص
معين وهو ابو لهب وفي خبر مرفوع انه ابو جهل روى ان هؤلاء كانوا يقولون
ان محمدا لفي خسران فاقسم الله تعالى ان الامر بالضد مما يتوهمون الثاني الخسر الخسران كما
قيل الكفر الكفران ومعناه النقصان وذهاب راس المال ثم انا ان حملنا الانسان على
الجنس كان معنى الخسر هلاك نفسه وعمره وماله الا المؤمن العامل فانه ما هلك عمره
وماله بل اكتسب بهما سعادة ابدية وان حملنا لفظ الانسان على الكافر كان المراد كونه
في الضلالة والكفر الا من آمن الثالث انما قال لفي خسر ولم يقل لفي الخسر لان التنكير
يفيد التهويل تارة والتحقير اخرى فان حملناه على الاول كان المعنى ان الانسان لفي
خسر عظيم لا يعلم كنهه الا الله وان حملناه على الثاني كان المعنى ان خسران الانسان
دون خسران الشيطان والاقرب هو الاول الرابع لقائل ان يقول قوله في خسر يفيد انه
في واحد من انواع الخسر والجواب ان الخسر الحقيقي هو حرمانه عن خدمة ربه واما
البواقي وهو الحرمان عن الجنة والوقوع في النار فانها بالنسبة الى الاول كالعدم وهذا

كما ان الكمال في وجوده فوائد ثم قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي لما كان
هذا المقصود اجل المقاصد كان سائر المقاصد بالنسبة اليه كالعدم واعلم انه تعالى قرن
بهذه الآية قرائن يدل على مبالغته تعالى في بيان كون الانسان في الخسران منها كلمة ان فانها
للتاكيد ومنها حرف اللام في لفي خسر ومنها حرف الظرف وهو في فانه يفيد ان الخسر يجمع
راس المال وراس ماله هو عمره وبالجملة فالانسان اذا تامل في احواله علم انه لا يكون خاليا من
الخسران سواء كان في الطاعة او في المعصية اما اذا كان في المعصية فظاهر واما اذا كان في
الطاعة فكذلك لانه لا طاعة الا ويمكن الاتيان بها ويغيرها على وجه احسن من ذلك لان مراتب
الخضوع والخشوع لله غير متناهية واعلم ان هذه الآية كالتنبيه على ان الاصل في الانسان
ان يكون في الخسران اي في ضربة الخسران اذ المؤمن لا يكون في الخسران اي في جميع الوجوه فان
قيل انه تعالى قال في سورة التين لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه
اسفل سافلين فههنا يدل على ان الابتداء من الكمال والانتهاء الى النقصان وههنا يدل
على الابتداء من النقصان والانتهاء الى الكمال فكيف وجه الجمع قلنا المذكور في تلك
السورة احوال البدن وفي هذه السورة احوال النفس فلا تناقض بين اللفظين
الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر
الايمان والعمل الصالح من جملة ما قد مر تفسيره غير مرة ثم في هذا القول من المسائل الاول
احتج به من قال العمل غير داخل في مسمى الايمان فانه اذا كان داخلا يلزم التكرار ولا يمكن
ان يقال هذا التكرير واقع في القرآن كقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن
نوح وقوله وملائكته وجبريل وميكائيل لانا نقول هناك انما حسن لان اعادته
يدل على كونه اشرف انواع ذلك الكلي والعمل الصالح ليس اشرف الامور المسماة بالايمان
فبطل هذا التاويل وقال الحليمي هذا التكرير واقع لا محالة لان الايمان وان لم يكن مشتملا
على العمل الصالح فالعمل الصالح مشتمل على الايمان فيكون قوله وعملوا الصالحات مكتفيا

عن ذكر قوله الذين امنوا اجاب الاولون فقالوا انا لا نمنع ورود التكرير لاجل
التاكيد لكن الاصل عدمه وبهذا القدر في الاستدلال الثاني في هذا الاستثناء امور ثلثة
منها انه تسلية للمؤمن من فوت عمره وشبابه لان العمل قد اوصله الى ما هو خير من
عمره وشبابه ومنها انه تنبيه على ان كل ما دعاك الى طاعة الله تعالى فهو الصلاح وكل ما
شغلك عن الله بغيره فهو الفساد ومنها قالت المعتزلة تسمية الاعمال بالصالحات
تنبيه على ان وجه حسنها ليس هو الامر على ما يقوله الاشعرية لكن الامر انما ورد لكونها في
انفسها مشتملة على وجوه الصلاح اجابوا منها انه تعالى وصف بكونها صالحة ولم يبين
انها صالحة بسبب وجوه عائدة اليها او بسبب الامر الثالث لقائل ان يقول انه في جانب
الخسر ذكر الحكم ولم يذكر السبب وفي جانب الربح ذكر السبب وهو الايمان والعمل الصالح
ولم يذكر الحكم قلنا انما لم يذكر السبب في الخسر لان الخسر كما يحصل بالفعل يحصل بالترك
وهو عدم الاقدام على الطاعة اما الربح فانه لا يحصل الا بالفعل اما قوله تعالى وتواصوا بالحق
الاية انه تعالى لما بين في اهل الاستثناء انهم خرجوا عن ان يكونوا في خسر وصاروا
ارباب السعادة من حيث انهم تمسكوا بما يؤديهم الى الفوز بالثواب والنجاة من العذاب
وصفهم بعد ذلك بانهم قد صاروا لشدة محبتهم للطاعة لا يقتصرون على ما يخصهم
بل يوصون غيرهم بمثل طريقتهم ليكونوا اسبابا لطاعات الغير كما ينبغي ان يكون عليه
اهل الدين وعلى هذا الوجه قال تعالى يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا فالتواصي
بالحق يدخل فيه سائر الدين من علم وعمل والتواصي بالصبر يدخل فيه حمل النفس على مشقة التكليف
في القيام بما يجب وفي اجتنابهم عما يحرم وهنا مباحث الاول هذه الاية وعيد شديد
وذلك لانه تعالى حكم بالخسار على جميع الناس الا من كان آتيا بالاشياء الاربعة وهي الايمان
والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر فدل ذلك على ان النجاة مفتقرة الى مجموع
الامور كما يلزم المكلف تحصيل ما يخص نفسه فكذلك يلزمه في غيره امور منها الدعاء

الى الدين والنصيحة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان يحب له ما يحب لنفسه ثم كرر
التواصي ليتضمن الاول الدعاء والثاني الثبات عليه والاول الامر بالمعروف والثاني النهي
عن المنكر ومنه قوله تعالى وانه عن المنكر واصبر قال عمر رضي الله عنه رحم الله من اهدى الى
عيوبي الثاني دلت الاية على ان الحق ثقيل وان المحن تلازمه فلذلك قرن التواصي
انما قال وتواصوا ولم يقل ويتواصون لان الغرض مدحهم بما صدر عنهم في الماضي
وذلك بعد ترغيبهم الى الثبات عليه في المستقبل سورة الهمزة وهي تسع ايات
وانها متصلة بتلك السورة لما ان في تلك السورة اشارة الى دعوة الخلق الى الحق
والنصيحة لهم والصبر على ما صدر عنهم من الهمز واللمز والعتاب والاعتساف وغير
ذلك من الحركات فان ذلك يفضي الى العقاب والصبر يفضي الى الثواب وفي هذه السورة اشارة
الى ما يكون من تلك الحركات والى ما يلزم منها من العقوبات بسم الله الرحمن الرحيم ويل
لكل همزة لمزة الويل لفظ الذم والسخط وقيل اصله وي لفلان ثم كثرت
في كلامهم فوصلت باللام وقيل انه جبل في جهنم فان قيل لم قال في هذا الموضع
ويل لكل همزة وفي مواضع اخر ولكم الويل قلنا لان هناك قالوا يا ويلنا انا كنا
ظالمين فقال ولكم الويل وهنا ليس كذلك لانه لا يعلم كنهه الا الله وقيل في ويل
انها كلمة تقبيح فنبه بهذه الكلمة على قبح افعالهم ثم اختلفوا في الوعيد الذي في
هذه السورة انه لكل من يتصف بهذه الطريقة في الافعال الردية او مخصوص
باقوام معينين فعند اهل التحقيق انه عام لما ان خصوص السبب لا يقدح في عموم
اللفظ وعند غيرهم انه مختص باناس معينين ثم قال عطاء والكلبي انها نزلت في
الاخنس بن شريق كان يلمز الناس ويغتابهم وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال مقاتل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبي عليه السلام من ورائه و
يطعن عليه في وجهه وقال محمد بن اسحق ما زلنا نسمع ان هذه السورة نزلت في

أمية بن خلف قال الفراء وكون اللفظ عاما لا ينافي أن يكون المراد منه شخصا معينا
الثاني من المباحث الهمز الكسر واللمز الطعن والمراد الكسر من أعراض الناس
وقرئ ويل لكل همزة لمزة بسكون الميم وللمفسرين فيهما عبارات قال ابن عباس رضي الله عنه
المغتاب واللمزة العياب وعن ابن زيد الهمزة باليد واللمزة باللسان وعن أبي العالية
الهمزة بالمواجهة واللمزة بظهر الغيب ومنهم من قال الهمزة جهرا واللمزة سرا
ومنهم من قال الهمزة اللمزة الذي يلقب الناس بما يكرهون ويدخل فيه من يحاكي الناس
بأقوالهم وأفعالهم وأصواتهم ليضحكوا وعند الحسن رضي الله عنه الهمزة الذي
يهمز جليسه أي يكسر واللمزة الذي يذكر أخاه بالسوء وعن أبي الجوزاء قال قلت
لابن عباس ويل لكل همزة لمزة من هؤلاء قال النمامون المفرقون بين الأحبة
الباغون للناس بالعيب واعلم أن جميع الوجوه متقاربة راجعة إلى أصل واحد
وهو الطعن وإظهار العيب وأنه على أنواع بحسب ما يكون بالجد كما يكون عند الحسد
وبحسب ما يكون بالهزل كما يكون عند السخرية وبحسب ما يكون لكل واحد من هذه الأقسام
قد يكون باللفظ وقد يكون بالإشارة وكذلك لحاضر وقد يكون لغائب والكل داخل
تحت النهي والزجر ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس منصبا في الدين
كان الطعن فيه أعظم ولهذا قال ويل لكل همزة لمزة ثم قال تعالى **الذي**
جمع مالا وعدده وفيه مباحث الأول الذي بدل من كل أو نصب على الذم
وإنما وصفه بهذا الوصف لأنه يجري مجرى السبب والعلة في الهمز واللمز وهو
إعجابه بما جمع من المال وظنه أن الفضل فيه لأجل ذلك الثاني قرأ حمزة والكسائي
وابن عامر جمع بالتشديد والباقون بالتخفيف والتشديد يفيد أنه جمع من
هنا وهنا والتخفيف لا يفيد ذلك وأما قوله تعالى مالا فالتنكير فيه وجهان أحدهما
أن يقال المال اسم لكل ما في الدنيا من الأشياء التي يجري فيها الشح والضنة

فقال

100

قال تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا فمال الإنسان الواحد بالنسبة إلى ما في
الدنيا حقير فكيف يليق به أن يفتخر بذلك القليل وثانيهما أن المراد منه التعظيم
أي مالا بلغ في الخبث والفساد إلى أقصى النهايات ولو كان كذلك فلا يليق بالعاقل
أن يفتخر به وأما قوله وعدده ففيه وجوه أحدها أنه مأخوذ من العدة وهي الذخيرة
يقال أعددت الشيء لكذا وعددته أي أمسكته له وجعلته عدة وذخيرة لحوادث
الدهر وثانيها عدده أي أحصاه والتشديد لكثرة المعدود وثالثها عدده
أي كثره يقال في بني فلان عدد أي كثرة وقرأ بعضهم بالتخفيف وفيه وجهان
أحدهما أن يكون جمع المال وحفظ عدده وأحصاه وثانيهما جمع ماله وقومه
الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد إذا كان له عدد وافر من الأنصار و
الرجال متى كان أدخل في التفاخر ثم وصفه تعالى بضرب آخر من الجهل فقال **يحسب أن**
ماله أخلده كلا لينبذن في الحطمة وما أدراك ما الحطمة أخلده و
خلده بمعنى وفي التفسير وجوه أحدها أن يكون المعنى طول المال أمله حتى أصبح لفرط
غفلته وطول أمله يحسب أن ماله خالدا في الدنيا وإنما قال أخلده ولم يقل يخلده لأن
المراد يحسب هذا الإنسان أن المال ضمن له الخلود وأعطاه الأمان من الموت وثانيها يعمل
الأعمال المحكمة كما في البناء بالآجر والجص عمل من يظن أنه يبقى حيا أو لأجل
أن يذكر بسببه بعد الموت وثالثها أنه رأى فضيلة نفسه في حصول المال فاعتقد
أنه إذا انتقص صار ساقطا في أعين الناس فيحفظه ليبقى رجلا وحيا كاملا معتبرا
عند الخلق ورابعها أن هذا تعريض بالعمل الصالح أما قوله كلا ففيه وجهان أحدهما
أنه ردع له عن حسبانه أي ليس كما يظن أن المال يخلد بل العلم والصلاح وثانيهما
أن معناه حقا لينبذن واللام في لينبذن لام جواب القسم فدل ذلك على حصول
معنى القسم في كلا وأما قوله تعالى لينبذن فإنما ذكر بلفظ النبذ الدال على الإهانة

لان الكافر كان يعتقد انه من اهل الكرامة وقرئ لينبذن اي هو وماله لينبذنه
بضم الدال واما الحطمة فعلى قول المبرد انها النار التي تحطم كل ما وقع فيها ورجل
حطمة اي شديد الاكل يأتي على زاد القوم واصل الحطم في اللغة الكسر قال المفسرون
الحطمة اسم من اسماء النار وهي الدركة الثانية من دركات النار وقال مقاتل هي التي تحطم
العظام وتأكل اللحوم حتى تهجم على القلوب واما الفائدة في ذكر النار هنا ظاهر لان الهامز
بكسر عرضه ليضع قدره والنار تكسر الهامز ويلقيه في حضيض جهنم ليعرف الهامز
قدره فكانه تع يقول ان كنت همزة لمزة فوراءك الحطمة ولما ذكر الوصفين وهما الهمز
واللمز ذكر ما يقابلهما فقال الحطمة وما ادريك ما الحطمة قوله تع نار الله الموقدة التي
تطلع على الافئدة انها عليهم مؤصدة في عمد ممددة واما قوله نار الله فالاضافة للتفخيم اي هي
نار لا كسائر النيران والموقدة التي لا تخمد ابدا وروي عن النبي عليه السلام انه قال
اوقد عليها الف سنة حتى احمرت ثم الف سنة حتى ابيضت ثم الف سنة حتى
اسودت فهي سوداء مظلمة اما قوله تع تطلع على الافئدة انه تع طالع واطلع عليه
اذا علاه ثم في التفسير وجهان احدهما ان النار تدخل في اجوافهم حتى تصل
صدورهم وتطلع على افئدتهم ولا شيء في بدن الانسان الطف من الفؤاد واقرب الى
الاذى فكيف اذا طلعت نار جهنم واستولت عليه وثانيهما ان السبب تخصيص الافئدة
بذلك هو انها مواطن الكفر والعقائد روي عن النبي عليه السلام ان النار تأكل
اهلها حتى اذا طلعت على افئدتهم انتهت ثم انه تع يعيد لحمهم وعظمهم مرة اخرى
اما قوله انها عليهم مؤصدة فقال الحسن رضي الله عنه مؤصدة اي مطبقة اصدت الباب
واوصدته لغتان ولم يقل مطبقة لان المؤصدة هي الابواب المغلقة والاطباق لا يفيد
معنى الباب واعلم ان الاية تفيد المبالغة في العذاب من وجوه احدها ان قوله لينبذن يقتضي
انه موضع له عمق جدا وثانيها انه لو شاء لجعل ذلك الموضع بحيث لا يكون له باب لكنه

بالباب ليذكرهم الخروج فيزيد في حسرتهم وثالثها انه تع قال عليهم نار مؤصدة
ولم يقل مؤصدة عليهم لان قوله عليهم مؤصدة يفيد ان المقصود اولا كونهم بهذه
الحالة ولا يفيد ذلك هذا المعنى واما قوله تعالى في عمد ممددة ففيه مباحث الاول قرئ في
عمد بضمتين وبفتحتين وبسكون الميم قال ابو علي والمبرد العمد جمع عمود على غير
واحده فاما الجمع على واحده فهو العمد مثل زبور وزبر ورسول ورسل الثاني العمود
هو المستطيل من خشب او حديد مثلا وهو اصل للبناء يقال عمود البيت للذي
يقوم به البيت الثالث في تفسير الاية وجهان احدهما انها عمد علقت بها تلك الابواب
كنحو ما يعلق به الدروب وفي بمعنى الباء انها عليهم مؤصدة بعمد ممددة وثانيهما ان يكون
المعنى انها عليهم مؤصدة حال كونهم موثقين في عمد ممددة سورة الفيل مكية وهي
خمس آيات بسم الله الرحمن الرحيم الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الم يجعل
كيدهم في تضليل انه تعالى ذكر في تلك السورة ما ينزجر المتمرد من افعاله القبيحة وذكر
ذلك على سبيل المبالغة ليخافوا ويتوجهوا الى حضرة الله تع وطاعته وذكر في هذه السورة
ما يحمل المطيع على المبالغة في الخدمة والمواظبة على شكر النعمة فان المقصود في كل واحدة
منهما التوجه الى الحضرة الازلية جلت قدرته وعمت كلمته واعلم اولا انه روي
ان ابرهة بن الصباح ملك اليمن من قبل النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها
القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج من بني كنانة رجل وتغوط فيها ليلا
فاغضبه ذلك وقيل اجج رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن
الكعبة فخرج بالجند ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما وثمانية اخرى وقيل اثنى
عشر وقيل الف فلما بلغ قريبا من مكة خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال
تهامة ليرجع فابى وعبى جيشه وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم
يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى سائر الجهات هرول ثم ان ابرهة اخذ لعبد المطلب

مائتي بعير فخرج اليهم فيها فعظم في عين ابرهة وكان رجلا جسيما وسيما
وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني جئت
لاهدم البيت فاخذ بحلقته وهو يقول اللهم ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك ان كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما بدا لك يا رب لا ارجوا
لهم سواكا يا رب فامنع عنهم حماكا فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال
والله انها لطير غريبة ما هي بنجدية ولا تهامية وكان مع كل طائر حجر في منقاره وحجران
في رجليه اكبر من العدس واصغر من الحمصة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه رأى منها عند
ام هانئ نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري فكان الحجر يقع على رأس الرجل
فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه فهلكوا في كل طريق ومنهل وروي ابرهة
فتساقطت اناملة وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم
وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه
الحجر فخر ميتا بين يديه ثم في هذا الموضع سؤالات الاول لم قال الم تر ان هذه الواقعة
وقعت قبل المبعث بزمان طويل والجواب المراد من الرؤية العلم والتذكير وهو
اشارة الى ان الخبر به متواتر فكان العلم الحاصل به ضروريا مساويا في القوة والجلاء
للرؤية لا يقال فلم قال الم تعلم ان الله على كل شيء قدير لانا نقول ما لا يتصور ادراكه
لا يستعمل فيه الا العلم واما الذي يتصور ادراكه نحو الفيل فانه يجوز ان يستعمل
فيه الرؤية الثاني لم قال الم تر كيف فعل ربك والجواب لان الاشياء لها ذوات ولها كيفيات
باعتبارها يدل على مدلولاتها وهذه الكيفية يسميها المتكلمون وجه الدليل
واستحقاق المدح انما يحصل برؤية هذه الكيفيات لا برؤية الذوات ولهذا قال تعالى
افلم ينظروا الى السماء كيف بنيناها ولا شك ان هذه الواقعة تدل على قدرة الصانع
وعلمه وحكمته وتدل على شرف محمد عليه السلام عند من يجوز تقديم المعجز على

ولم يقل الم تر ما فعل ربك صح

زمنا

زمان البعثة تاسيسا لنبوته وارهاصا لها ولا يمكن ان يقال انه كسائر الاحاديث
الضعيفة لانه لم يكن من عام الفيل ومبعث الرسول الا نيف واربعون سنة ويوم
تلا الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الآية السورة كان قد بقي بمكة جمع شاهدوا تلك الواقعة
ولو كان النقل ضعيفا لشافهوه بالتكذيب علما لم يكن كذلك علمنا انه لا سبيل للطعن
فيه الثالث لم قال فعل ولم يقل جعل او خلق او عمل والجواب لان خلق يستعمل في ابتداء
الفعل وجعل في الكيفيات قال تعالى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور وعمل
بعد الطلب والفعل عام في الكل فيكون اولى لان هذه القصة مشتملة على معنى الخلق
والجعل والعمل وذكر كل واحد منهما على التعيين يفضي الى الاطناب وكان يذكر على
سبيل الايجاز الرابع لم قال ربك ولم يقل فعل الرب والجواب قوله ربك يناسب قوله الم تر
بخلاف قوله فعل الرب فان ذلك لا يدل على اختصاصه بالحضرة وعلى انه تعالى
فعل لاجله كما فعل لاجل انه تعالى ربه وايضا كانه تعالى قال انما فعلت لاصحاب الفيل تعظيما
لك وتشريفا لمقدمك فكنت مربيا قبل قدومك فكيف اترك تربيتك بعد ظهورك
الخامس قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك مذكور في موضع التعجب وهذه الاشياء بالنسبة
الى قدرة الله تعالى ليست لها هذا التعجب والجواب ان الكعبة قبلة صلواتك وقلبك قبلة معرفتك
ثم انا حفظنا قبلة عملك عن الاعداء فلان يسعى في حفظ قبلة دينك عن الآثام السادس
لم قال اصحاب الفيل ولم يقل ارباب الفيل والجواب انه اذا وقعت المصاحبة بين
الشخصين يضاف الادنى منهما الى الاعلى فيقال صاحبه فقوله تعالى اصحاب الفيل يدل
على ان اولئك الاقوام كانوا اقل حالا وادون منزلة من الفيل نظيره قوله تعالى اولئك كالانعام
بل هم اضل السابع ان كفار قريش ملأوا الكعبة من الاوثان وعبدوها فالكعبة و
ذلك اقبح من تخريب جدار الكعبة وانه تعالى ما سلط عليهم في العذاب مثل ما سلط على
اولئك الاقوام والجواب يمكن ان يكون ذلك بسبب نسبتهم الى الرسول وبسبب دولة

فدوصهم ويمكن ان يكون ذلك لما انهم في حرم الكعبة وذلك موضع الامن قال تعالى ومن دخله كان امنا الثاني كيف قولهم في اعراب هذه الاية والجواب قال الزجاج كيف في موضع نصب بقوله فعل لا بقوله الم تر لان كيف من حروف الاستفهام ثم انه تع ذكر ما فعل بهم فقال تع الم يجعل كيدهم في تضليل وفيه مباحث الاول الكيد ارادة مضرة بالغير على سبيل الخفية فان قيل لم سماه كيدا وانه كان ظاهرا فانه كان يصرح انه يهدم البيت قلنا انه وان كان يظهر انه يهدم فقد اخفى سببه وهو الحسد واضمر الغرض منه وهو ايذاء الرسول الثاني قالت المعتزلة اضافة الكيد اليهم يدل على انه تع لا يرضى بالقبيح واهل السنة اجابوا عنه بانه يكفي في حسن الاضافة ادنى سبب الثالث في تضليل اي في تضييع وابطال يقال ظل كيده اذا فعله ضايعا قال تع وما كيد الكافرين الا في ضلال وقيل لامرئ القيس انه ضلال ملك ابيه اي ضيعه يعني انهم كادوا البيت اولا وارادوا ان يسيحوا امره بصرف الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع الحريق كما مر ثم كادوا ثانيا وارادوا اهلاكه فضلل بارسال الطير عليهم ثم قال تع وارسل عليهم طيرا ابابيل وفيه سؤالات الاول طيرا على التنكير والجواب اما للتحقير فانه مهما كان احقر كان صنع الله تع اعجب واما للتفخيم كانه يقول طيرا واي طير ترمي بحجارة صغيرة لا يخطى المقتل الثاني ما الابابيل والجواب قال ابو عبيدة ابابيل جماعات في تفرقة يقال جاءت الخيل ابابيل من هنا وهنا وعند الاخفش والفراء انه لا واحد لها نحو العباديد ومنهم من قال انه له واحد زعم ابو جعفر انه سمع واحدها ابالة وفي امثالهم ضغث على ابالة وهي الحزمة الكبيرة سميت الجماعة من الطير في نظامها بالابالة وقال الكسائي كنت اسمع النحويين يقولون ابول وابابيل كعجول وعجاجيل الثالث ما صفة تلك الطير الجواب روى ابن سيرين عن ابن عباس رضي الله عنه كانت طير لها خراطيم كخراطيم الفيل ثم منهم من قال انها تلون السواد ومنهم انها بلون البياض ومنهم انها تلون الخضرة ومنهم من قال انها بكل لون فوجا بعد فوج ثم قال تعالى

ترميهم

ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ماكول وفيه مباحث قرا ابو حنيفة رضي الله عنه ترميهم اي الله او الطير لانه اسم جمع مذكر وانما يؤنث على المعنى الثاني وقد مر من قبل ان كل طائر يحمل ثلثة احجار واحد في منقاره واثنان في رجليه يقتل كل واحد رجلا مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ما وقع منها حجر على موضع الا خرج من الجانب الاخر. وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال لما ارسل الله الحجارة على اصحاب الفيل لم يقع حجر على واحد منهم الا نفط جلده وهو قول سعيد بن جبير وكانت تلك الاحجار اصغرها مثل العدس واكبرها مثل الحمصة ثم من الناس من انكر ذلك وقال لو جوزنا ان يكون في الحجرة الصغيرة قوة يقوى بها على ان ينفذ من اعلى الانسان الى اسفله لجوزنا ان يكون الجبل العظيم خاليا عن الثقل وان يكون في وزن التبن وذلك يرفع الامان عن المشاهدات الثالث ذكروا في السجيل وجوها احدها كانه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما ان سجينا علم لديوان اعمالهم وكانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون وانه من الاسجال وهو الارسال وانما سمي ذلك الكتاب بهذا الاسم لانه كتب فيه العذاب والعذاب موصوف بالارسال لقوله تع وارسل عليهم طيرا ابابيل وقوله فارسلنا عليهم الطوفان فقوله من سجيل اي مما كتبه الله في ذلك الكتاب وثانيها السجيل الشديد وهو قول ابو عبيدة وثالثها قال ابن عباس رضي الله عنه سجيل معناه سنك و كل يعني بعضه حجر وبعضه طين ورابعها انه اسم لسماء الدنيا وخامسها انه اسم من اسماء جهنم فابدلت النون باللام واما قوله تع فجعلهم كعصف ماكول ففيه مباحث الاول ذكروا في تفسير العصف وجوها قد مر ذكرها في قوله والحب ذو العصف وذكروا ههنا وجوها منها انه ورق الزرع الذي يبقى في الارض بعد الحصاد وبعصفه الرياح فتاكله المواشي ومنها قال ابو مسلم رحمه الله العصف التبن لقوله ذو العصف والريحان كانه ما يعصف به الريح عند الذرة ومنها قال الفراء هو اطراف الزرع ومنها هو الحب

الذي اكل لبه وبقي قشره الثاني الماكول هو الذي اكل وذلك ان يكون المعنى كزرع
وتبن قد اكلته الدواب ثم القته روثا ثم يجف ويتفرق ان يكون اجزاوه شبه بقطعه
اوصالهم بتفرق اجزاء الروث الا ان العبارة عنه جاءت على ما عليه اداب القران او
كورق الزرع اذا وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود وقيل هو انه انه جعلهم كزرع
وقد اكل حبه وبقي تبنه يعني كعصف ماكول الحب وهو قول الحسن وقيل ماكول اي
انه مما يوكل كتبن ياكل الدواب وهو قول الضحاك الثالث قال بعضهم ان الحجاج خرب
الكعبة ولم يحدث شيء من ذلك فدل ذلك على ان قصة الفيل ما كانت على هذا الوجه
وان كانت هكذا الا ان السبب لتلك الواقعة امر اخر سوى تعظيم الكعبة الجواب انا
بينا ان ذلك وقع ارهاصا لامر محمد عليه السلام والارهاص انما يحتاج اليه قبل قدومه
اما بعد قدومه وتاكيد نبوته بالدلائل القاطعة فلا حاجة الى شيء من ذلك سورة
قريش مكية وهي اربع ايات بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش ايلافهم
فيه مباحث الاول اللام في قوله تع لايلاف قريش يحتمل وجوها ثلثة لانها اما
ان يكون متعلقة بالسورة التي قبلها او بالاية التي بعدها او لا يكون متعلقة لا بما قبلها
ولا بما بعدها الاول وفيه احتمالات احدها وهو قول الزجاج وابو عبيد التقدير
فجعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش اي اهلك الله اصحاب الفيل ليبقى قريش وما
قد الفوا من رحلة الشتاء والصيف وللا يقال هذا ضعيف لانه تع انما فعل ذلك بكفرهم
فان الجزاء على الكفر الى يوم القيمة كقوله تع يوم تجزى كل نفس بما كسبت وقوله تعالى
ولو يواخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة ولانه لو فعل بهم ذلك بكفرهم
لكان فعل بجميع الكفار وليس كذلك وثانيها ان يكون التقدير الم تر كيف فعل ربك باصحاب
الفيل لايلاف كانه تع قال كل ما فعلنا بهم فقد فعلناه لايلاف قريش وانه تع جعل كيدهم
في تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل حتى صاروا كعصف ماكول فكل ذلك انما كان

جعل لايلاف قريش وثانيها ان يكون اللام في قوله لايلاف قريش بمعنى الى كانه تع قال فعلنا
تلك الافعال المذكورة في تلك السورة وهي نعمة الى نعمة اخرى عليهم وهي ايلافهم رحلة
الشتاء والصيف بقوله نعمة الى نعمة ونعمة لنعمة بمعنى واحد وهذا هو قول الفراء ثم من
الناس من جعل كل واحدة من هاتين السورتين سورة واحدة لما مر في بيان الاتصال
بينهما فيما روي عن ابي بن كعب رضي الله عنه جعلهما في مصحفه سورة واحدة وبما روي عن
عمر رضي الله عنه انه قراهما في الصلوة من غير فصل ومنهم من قال انها منفصلة غير متعلقة
عنه الله بتلك السورة وتعلق الاول بالاخر ليس بحجة على انهما كالسورة الواحدة واما قوله ابي رضي
عنه الله لم يفصل بينهما فذلك معارض باتفاق غيره من الصحابة على الفصل بينهما واما قراة عمر رضي
فانها ليست بحجة لما انه يصح للامام ان يقرأ السورتين من غير فصل ثم لقائل ان يقول لم صار
ما فعل الله تع باصحاب الفيل سببا لايلاف قريش فنقول لا شك ان مكة كانت خالية عن
الزرع على ما قال بواد غير ذي زرع الى قوله فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم
من الثمرات اشرفا اهل مكة يرحلون للتجارة هاتين الرحلتين وياتون لانفسهم
ولاهل بلدهم ما يحتاجون اليه من الاطعمة والثياب وانهم انما كانوا يرحلون في اسفارهم
لان ملوك النواحي يعلمون اهل مكة لما انهم جيران بيت الله وسكان حرمه وولاة الكعبة
انهم حتى كانوا يسمون اهل الكعبة اهل الله فلو تم للحبشة ما عزموا عليه من هدم الكعبة
لزال عنهم هذه العزة ولبطلت تلك المزايا في التعظيم والاحترام ولصار سكان مكة كسكان
سائر النواحي فلما اهلك الله تع اصحاب الفيل ورد كيدهم ازداد وقع اهل مكة في القلوب
وازداد تعظيم ملوك الاطراف لهم فازدادت المنافع والمتاجر فلهذا قال تع الم تر كيف فعل ربك
باصحاب الفيل لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف ومما يدل عليه قوله تع فليعبدوا
رب هذا البيت اي رب هذا البيت الذي قصده اصحاب الفيل فانه دفعهم عن مقصودهم
لايلاف قريش ونفعهم القول الثاني وهو ان اللام في لايلاف قريش متعلقة بقوله فليعبدوا

وهو قول الخليل وسيبويه والتقدير فليعبدوا رب هذا البيت لإيلاف قريش أي ليجعلوا
عبادتهم شكرا لهذه النعمة واعترافا بها وإنما دخلت الفاء في قوله فليعبدوا لما في الكلام
من معنى الشرط فكأنه قيل إن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة التي هي نعمة
ظاهرة القول الثالث وهو أن يكون هذه اللام غير متعلقة لا بما قبلها ولا بما بعدها ثم
الزجاج قال قوم هذه اللام لام التعجب كأن المعنى اعجبوا لإيلاف قريش وذلك لأنهم كانوا
يبالغون في العناد ويصرون لجهلهم في عبادة الأوثان والله يؤلف شملهم ويدفع
الآفات عنهم ويرتب أسباب معاشهم وذلك أنه في غاية التعجب من عظيم حلم الله وكرمه وهذا
اختيار الكسائي والأخفش الثاني من المباحث ذكروا في الإيلاف ثلاثة أوجه أحدها
أن الإيلاف هو الإلف يقال ألفته إلفا وإلافا وإيلافا بمعنى واحد أي لزمته فيكون المعنى
لإلف قريش هاتين الرحلتين فيتصلا ولا ينقطعا وقرأ أبو جعفر لإلف قريش وقرأ
غيره من القراء لإلاف قريش وقرأ عكرمة ليألف قريش بغير همز وثانيها أن يكون
هذا من قولك لزمت موضع كذا ولزمته كذا والفيته أي إلفه ويكون المعنى إثبات الألفة
بالتدبير الذي يثبت الإلف والإلف غير الإيلاف والمعنى أن هذه الألفة إنما حصلت في قريش
بتدبير الله سبحانه وهو كقوله ولكن الله ألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وقد يكون
سببا للموانسة والاتفاق كما وقع عند انهزام أصحاب الفيل لقريش فيكون المصدر
هنا مضافا إلى المفعول وثالثها أن يكون الإيلاف هو التهيئة والتجهيز وهو قول الفراء
فيكون المصدر هنا مضافا إلى الفاعل والمعنى لتجهيز قريش رحلتيها الثالث منها التكرير
في قوله لإيلاف قريش إيلافهم هو أنا أطلق الإيلاف أولا ثم جعل المقيد بدلا لذلك المطلق
تفخيما للأمر الإيلاف وتذكيرا لعظيم المنة فيه والأقرب أن يكون قوله لإيلاف قريش عاما
لجميع كل موانسة وموافقة كان بينهم وفائدة ترك واو العطف التنبيه على أن كل النعم
ثم العرب يقول ألفت كذا أي لزمته والإلزام قد يكون بالتكليف وقد يكون بالمودة

والموانسة

105

والموانسة فإنه إذا أحب المرء شيئا لزمه ومنه ألزمهم كلمة التقوى كما أن الإلجاء
قد يكون لدفع الضرر كالهرب من السبع وقد يكون لجلب النفع العظيم كمن يعطيه مالا عظيما
ولا مانع من أحد لا عقلا ولا شرعا وهو المراد من قوله إيلافهم الرابع اتفقوا على أن
قريشا ولد النضر بن كنانة قال عليه السلام إنا بني النضر بن كنانة وذكروا في سبب هذه
التسمية وجوها أحدها أنه تصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر وعن معاوية
أنه سأل ابن عباس رضي الله عنه بم سميت قريش قال دابة في البحر تأكل ولا تؤكل والتصغير
للتعظيم وثانيها أنه مأخوذ من القرش وهو الكسب لأنهم كانوا كاسبين بتجاراتهم
وضربهم في البلاد وثالثها قال الليث كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب
في الحرم حتى اتخذوها مسكنا فسموا قريشا لأن التقرش التجمع تقرش القوم اجتمعوا
ولذلك سمي قصي مجمعا قال الشاعر أبوكم قصي كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر
قوله رحلة الشتاء والصيف وفيه مباحث الأول قال الليث الرحلة اسم الارتحال
وفي المراد من هذه الرحلة قولان أحدهما وهو المشهور كانت لقريش رحلتان رحلة
بالشتاء إلى اليمن لأن اليمن أدفأ وبالصيف إلى الشام واعلم أن وجه النعمة والمنة فيه
أنه لو تم لأصحاب الفيل ما أرادوه لترك أهل الأقطار تعظيمهم وأيضا لتفرقوا وصار
حالهم كحال اليهود المذكور في قوله وقطعناهم في الأرض أمما منهم الصالحون واجتماع
القبيلة الواحدة في مكان واحد داخل في النعمة فأن يكون الاجتماع من قبائل شتى ونبذ
تعالى من شرط السفر الموانسة والألفة ومنه قوله ولا جدال في الحج والسفر أحوج
إلى مكارم الأخلاق من الإقامة وثانيهما أن المراد رحلة الناس إلى أهل مكة فرحلة
الشتاء والصيف عمرة رجب وحج ذي الحجة لأنه كان أحدهما شتاء والآخر صيفا
وموسم منافع مكة يكون بهما ولو كان يتم لأصحاب الفيل ما أرادوا لتعطلت هذه المنفعة
الثاني نصب الرحلة بإيلافهم مفعولا به وأراد رحلتي الشتاء والصيف قوله تعالى

فليعبدوا رب هذا البيت اعلم ان الانعام على قسمين احدهما دفع المضرة وثانيهما
جلب المنفعة والاول اهم واقدم فلهذا اقدم الاول وبينه في سورة الفيل ثم بين
الثاني في هذه السورة وهنا مباحث الاول ذكرنا ان العبادة هي التذلل والخضوع
للمعبود على غاية ما يكون وقال ابن عباس فليوحدوا لانه هو الذي حفظ البيت دون الاوثان
وفي الآية وجه آخر وهو ان يكون معنى فليعبدوا اي فليتركوا رحلة الشتاء والصيف
وليشتغلوا بعبادة رب هذا البيت فانه يطعمهم من جوع ويؤمنهم من خوف الثاني
لعل تخصيص لفظ الرب تقرير لما قالوا لابرهة ان للبيت ربا سيحفظه ولم يعولوا في
ذلك على الاصنام فلزمهم لاقرارهم ان لا يعبدوا سواه كانه يقول لما عولتم في الحفظ
علي فاصرفوا العبادة الي الثالث الاضافة الي البيت تفيد التعظيم فتارة يضيف نفسه
الي البيت وتارة يضيف البيت الى نفسه فيقول طهر بيتي كما في العبد يضيف الى نفسه
تارة ويضيف نفسه اليه تارة ثم قال تعالى الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف
وفي هذا الاطعام وجوه منها انه تعالى لما آمنهم بالحرم حتى لم يتعرض لهم في رحلتهم كان
ذلك سبب اطعامهم بعد ما كانوا فيه من الجوع ومنها ما هو قول مقاتل شق عليهم
الذهاب الى اليمن والشام في الشتاء والصيف لطلب الرزق فبعث الله تعالى اهل الحبشة
لان يحملوا الطعام في السفن الى مكة فاهل مكة يخرجون اليهم ويشترون
طعامهم من جدة على مسيرة ليلتين فكفاهم الله مؤنة الرحلتين ومنها وهو
قول الكلبي هذه الآية انهم لما كذبوا محمدا عليه السلام فقال اللهم اجعلها عليهم سنين
كسني يوسف فاشتد عليهم القحط واصابهم الجهد وقالوا يا محمد ادع الله
فانا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخصبت البلاد واخصب اهل مكة
بعد القحط فذلك قوله اطعمهم من جوع ثم في الآية سؤالات الاول العبادة انما وجبت
لانه تعالى اعطى اصول النعم والاطعام ليس من اصول النعم فلما علق وجوب العبادة

بالاطعام

بالاطعام والجواب عنه انه تعالى لما ذكر انعامه عليهم بحبس الفيل وارسال الطير واهلاك
الحبشة وبين انه تعالى فعل ذلك لايلافهم ثم امرهم بالعبادة وكان السائل يقول لكنا نحن
محتاجون الى كسب الطعام والذب عن النفس فلو اشتغلنا بالعبادة فمن الذي
يطعمنا فقال الذي اطعمهم قبل ان يعبدوه الا يطعمهم اذا عبدوه الثاني اليس انه تعالى
جعل الدنيا ملكا لنا بقوله خلق لكم ما في الارض جميعا فكيف يحسن المنة علينا
بان اطعمنا من ملكنا والجواب انظر في الاشياء التي لابد منها قبل الاكل حتى يتم الطعام
وتهيئا وفي الاشياء التي لابد منها بعد الاكل حتى يتم الانتفاع بالطعام الثالث
المنة بالاطعام لا يليق بالكريم فكيف باكرم الاكرمين والجواب ليس الغرض منه
المنة بل الارشاد الى الاصلح لان المقصود من الاكل ليس تقوية الامتناع عن الطاعة بل تقوية
البنية على اداء الطاعة الرابع ما الفائدة في قوله تعالى من جوع والجواب فيه فوائد منها
التنبيه على ان امر الجوع شديد ومنها انه يذكرهم الحالة الاولى الرديئة وهي الجوع
حتى يعرفوا قدر النعمة الحاضرة ومنها التنبيه على ان خير الطعام ما سد الجوعة ولهذا
قال اطعمهم ولم يقل واشبعهم لان الاطعام يزيل الجوع والاشباع يورث
البطنة اما قوله وآمنهم من خوف ففي تفسيره وجوه احدها انهم كانوا يسيرون فروه
آمنين لا يتعرض لهم احد لا في سفرهم ولا في حضرهم وكان غيرهم لا يامنون من الغارة
في السفر والحضر قال تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا وثانيها انه تعالى آمنهم من
زحمة اصحاب الفيل وثالثها قال الضحاك وآمنهم من خوف الجذام ورابعها آمنهم
من ان يكون الخلافة في غيرهم وخامسها آمنهم بالاسلام وسادسها اطعمهم من جوع
الجهل بطعام الوحي وآمنهم من خوف الضلال ببيان الهدى ثم اطعام الطعام
الذي هو غذاء الروح لا يكون موجبا للشكر وفي الآية سؤالات الاول لم لم يقل آمنهم
عن جوع عن خوف الجواب حرف عن يقتضي ان يكون الجوع بعيدا عنهم وحرف من لا يقتضي

ذلك بل يقضى عند ما يجوعون يطعمون وحين يخافون يؤمنون الثانى قال من
جوع من خوف على سبيل التنكير والجواب يمكن ان يكون للتعظيم اما الجوع فلما
مر انه بعد اصابة الشدة حتى اكلوا الجيف واما الخوف فهو الخوف الذى
من اصحاب الفيل ويمكن ان يكون للتحقير ويكون المعنى انه لما لم يجوز لغاية كرمه
ابقاهم فى ذلك الجوع فكيف يجوز لما عبدوه ان يهمل امرهم ولا يبعد ان يكون المراد
منه انه اطعمهم من جوع دون جوع وامنهم ومن خوف دون خوف ليكون
الجوع الباقى والخوف الباقى يذكرهم ما كانوا فيه اولا من انواع الجوع والخوف حتى
يكونوا شاكرين من وجه وصابرين من وجه الثالث انه تع انما اطعمهم وامنهم اجابة
لدعوة ابراهيم عليه السلام فقوله اجعل هذا البلد امنا ولو كان كذلك لكان ذلك
منة على ابراهيم عليه السلام فكيف جعله منة على اولئك الحاضرين والجواب
انه تع لما قال انى جاعلك للناس اماما قال ابراهيم قال الله تع لا ينال عهدى الظالمين
فتادب ابراهيم بهذا الادب فحين قال اجعل هذا البلد امنا وارزق اهله من
الثمرات قيده بقوله من امن بالله فقال الله تع له لا حاجة الى هذا التقييد بل ومن
كفر فامتعه قليلا فكانه تع قال اما نعمة الامانة فهو دينية فلا تحصل الا لمن كان
تقيا واما نعمة الدنيا فهى تحصل للصالح والطالح واذا كان كذلك كان اطعام
الكافر وامانه من الخوف انعاما من الله ابتداء عليه لا لدعوة ابراهيم عليه السلام

سورة ارايت مكية وقيل مدنية وهى سبع ايات هذه السورة متصلة
بتلك السورة لما ان فى اخر تلك السورة ذكر امرهم بالعبادة بعد الانعام فى حقهم
بالاطعام وغير ذلك وفى اول هذه السورة ذكر الوعيد فى حق من اعرض عن العبادة
وكذب بالدين بسم الله الرحمن الرحيم ارايت الذى يكذب بالدين فيه
مباحث الاول قوله تعالى ارايت معناه هل عرفت الذى يكذب بالجزاء من هو

فان

فان لم يعرفه فهو الذى يدع اليتيم ثم هذا اللفظ وان كان فى صورة الاستفهام
فالغرض منه المبالغة فى التعجب وقد قيل فيه انه خطاب للرسول عليه السلام وقيل انه
خطاب لكل عاقل ارايت يا عاقل هذا الذى يكذب بالدين بعد ظهور الدلائل والايات
لا الغرض فكيف يليق بالعاقل جر العقوبة الابدية الى نفسه من غير غرض اولغرض فان
الثانى فى الاية قولان احدهما انها مختصة بشخص معين فقال ابن جريج نزلت فى سفيان
كان ينحر جزورين فى كل اسبوع فاتاه يتيم فسأله لحما فقرعه بعصاه وقال مقاتل
نزلت فى العاص بن وائل وكان من صفته الجمع بين التكذيب بيوم القيمة والاتيان
بافعال القبيحة وقال السدى نزلت فى الوليد بن المغيرة وحكى الماوردى انها نزلت
فى حق ابى جهل روى انه كان وصيا ليتيم فجاءه وهو عريان يسأله شيئا من مال نفسه
فدفعه فايس الصبى فقال له اكابر قريش قل لمحمد يشفع لك وكان غرضهم الاستهزاء به
ولم يعرف اليتيم ذلك فجاء الى النبى عليه السلام والتمس منه ذلك وهو عليه السلام ما
كان يرد محتاجا فذهب معه الى ابى جهل فقام ابو جهل ورحب به وبذل المال لليتيم
فعيرته قريش فقالوا اصبوت فقال لا والله ما صبوت لكن رايت عن يمينه وعن يساره
حربة خفت وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انها نزلت فى منافق جمع بين البخل والمراءاة
والقول الثانى فيه انه عام لكل من كان مكذبا بيوم الدين وذلك لان الاقدام على الطاعات
والاحجام عن المعاصى للرغبة فى الثواب والرهبة عن العقاب فمن كان منكرا للقيمة كان
فارغا عنهما وكان ذلك كالاصل لجميع المخطورات الثالث قرا بعضهم اريت بحذف
الهمزة قال الزجاج وهذا ليس بالاختيار لان الهمزة انما طرحت من المستقبل لكن حرف
الاستفهام لما كان فى اول الكلام سهل القاء الهمزة وقراءة ابن مسعود رضى الله عنه ارايتك
بزيادة حرف الخطاب كقوله ارايتك هذا الذى كرمت على الرابع فى تفسير الدين وجوه احدها
ان يكون المراد من يكذب بنفس الدين والاسلام ولا يبعد كيف يمكن انكار نفس الدين

وقد كان لكل احد دين فان المقالات الباطلة ليست بدين اذ الدين هو الخضوع لله و
هذه المذاهب انما خضوع للشهوة او للشبهة وثالثها وهو قول اكثر المفسرين
ان المراد ارايت الذي يكذب بالحساب والجزاء قال تعالى **فذلك الذي يدع اليتيم ولا
يحض على طعام المسكين** انه تعالى ذكر في بيان من يكذب بيوم الدين وصفين
احدهما من باب الفعل وهو قوله فذلك الذي يدع اليتيم وثانيهما من باب الترك وهو
قوله ولا يحض على طعام المسكين وانما اقتصر عليهما لانهما كانا من القبائح بحسب
الشرع فكذلك بحسب المروة والانسانية اما قوله تعالى يدع اليتيم فالمعنى انه يدفعه بعنف
وقد ذكروا فيه وجوها دفعه عن حقه وماله بالظلم وثانيها ترك المواساة معه وان
لم يكن المواساة واجبة وثالثها ان يزجره ويضربه ويستخف به وقرئ يدع اي يترك
ولا يدعو بجميع الاجانب مع انه عليه السلام قال ما من مائدة اعظم من مائدة عليها يتيم
وقرئ يدعو اليتيم اي يدعوه رياء ثم لا يطعمه ولا يعظمه وانما يدعوه استخداما
نفسه مثلا اما قوله تعالى ولا يحض على طعام المسكين ففيه وجهان احدهما انه لا يحض
على طعام المسكين واضافة الطعام الى المسكين يدل على ان ذلك الطعام حق
المسكين وحينئذ يكون منع المسكين منعه عن حقه وذلك يدل على غاية البخل
وقساوة القلب وخساسة الطبع وثانيهما انه لا يحض غيره على اطعام ذلك المسكين
بسبب انه لا يعتقد في ذلك الفعل ثوابا ثم في هذا الموضع سؤالان الاول اليس قد لا يحض
المرء في كثير من الاحوال ولا يكون اثما الجواب لانه غيره ينوب منابه او لانه لا يقبل قوله
او لمفسدة اخرى اما ههنا فليس كذلك بل لانه لا يفعل ذلك لانه مكذب في الدين الثاني
لم لم يقل ولا يطعم المسكين الجواب اذا منع من اليتيم حقه فكيف يطعم المسكين من
مال نفسه بل هو بخيل من مال غيره وهذا هو النهاية في البخل والخسة ثم قال تعالى
فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون الذين هم يراؤن ويمنعون

الماعون

الماعون وفيه مباحث الاول في اتصال هذه الاية بما قبلها وذلك انه لما دل ايذاء اليتيم
والمنع عن الطعام على النفاق فالصلوة لا مع الخشوع والخضوع اولى ان يدل على النفاق
وايضا كانه يقول اقدامه على ايذاء اليتيم وتركه للحث تقصير فيما يرجع الى الشفقة
على خلق الله وسهوه في الصلوة تقصير فيما يرجع الى التعظيم لامر الله فلما وقع التقصير
في الامرين فقد كملت شقاوته فلهذا قال فويل فان هذا اللفظ يستعمل عند الجريمة
الشديدة كقوله تعالى ويل للمطففين ويل لكل همزة وروي ان كل واحد من اهل النار يصيح
بحسب جريمته فقائل يقول ويلي من حب الجاه وقائل يقول ويلي من حب المال وآخر يقول
ويلي من صلوتي وآخر يقول ويلي من حمية الجاهلية فلهذا يستحب عند سماع مثل هذه الاية
ان يقول المرء ويلي ان لم يغفر لي الثاني يدل الاية على التهديد العظيم بفعل امور ثلثة
احدها السهو عن الصلوة وثانيها فعل المراياة وثالثها منع الماعون وكل ذلك من باب الذنوب
ولا يصير المرء به منافقا فلم حكم الله تعالى بمثل هذا الوعيد على فاعل هذه الافعال وتحمل هذا
الاشكال ذكروا فيه وجوها احدها فويل للمصلين اي فويل للمصلين من المنافقين
وعلى هذا التقدير يدل الاية على ان الكافر له زيادة عقوبة بسبب اقدامه على محظورات الشرع
دلالة ظنية وثانيها ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لو قال في صلوتهم ساهون لكان
هذا الوعيد للمؤمنين لكنه تعالى قال عن صلوتهم ساهون والساهي عن الصلوة هو الذي
لا يذكرها ويكون فارغا عنها لقائل ان يقول هذا ضعيف فان الفارغ عن الصلوة لا يوصف
كونه مصليا يمكن ان يوصف بحسب اللزوم كما هو مذهب البعض لا بحسب الاحياء ولانه
يمكن ان يكون مصليا بحسب الصورة ولا يمكن مصليا بحسب الحقيقة بل يكون فارغا عنها
ولا يلزم ان يكون الفارغ عن الصلوة كافرا منافقا لانه يكون فارغا عنها بجميع
الوجوه فانه لو كان فارغا عن الاداء ولا يكون فارغا عن الوجوب عليه لا يكون كافرا وثالثها
ان يكون معنى ساهون اي لا يتعاهدون اوقات صلوتهم ولا شرائطها يعني لا يبالي

انه صلى او لم يصل وهذا قول الحسن ومقاتل الثالث اختلفوا في سهو الرسول صلى الله عليه وسلم
في الصلوة فعند الاكثر انه ما سهى لكنه تع اذن له في ذلك الفعل حتى يفعل ما يفعله الساهي
فيكون ذلك بيانا للشرع بالفعل والبيان بالفعل اقوى ومنهم من قال انه عليه السلام
سهى في الصلوة لكن سهوه في الصلوة لا يكون لسهو غيره فيها اذ الغفلة بحسب الحضور
اما قوله تع الذين هم يراؤن والفرق بين المنافق والمرائي ان المنافق لا يكون مصليا
في الحقيقة بخلاف المرائي فانه يكون مصليا في الحقيقة غير انه يبالغ في الخضوع و
الخشوع ليعتقد فيه من يراه انه متدين ويمكن ان يكون الشخص الواحد منافقا و
مرائيا اذ المنافق لا يصلي الا لاجل ان يعتقد غيره انه مسلم متدين ثم انه تع لما شرح
امر الصلوة اعقبه بذكر الزكوة فقال ويمنعون الماعون وفيه اقوال الاول وهو لابي بكر
وعلي وابن وسعيد بن جبير وعكرمة والحسن والضحاك وقتادة هو الزكوة وذكره
عقيب الصلوة مما يدل عليه الثاني وهو قول اكثر المفسرين ان الماعون اسم لما لا يمنع
في العادة ويسأله الفقير والغني كالفاس والقدر والدلو والماء والملح ونحو ذلك
فانه روي ثلثة لا يحل منعها الماء والنار والملح ومن ذلك ان يلتمس جارك او صاحبك
هذا القول الماعون فاعول من المعن وهو الشيء القليل وسميت الزكوة ماعونا
لانه يوخذ من المال ربع العشر فذلك قليل من كثير وكذلك ما يستعار في العرف وعلى
هذا التقدير يكون المقصود من الاية الزجر عن البخل بهذه الاشياء القليلة فان البخل بها يكون
في غاية الدناءة والمنافقون كانوا كذلك لقوله تع الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل
ومن الفضائل ان يستكثر الرجل في منزله مما يحتاج اليه الجيران الثالث قال الفراء
سمعت بعض العرب يقول الماعون هو الماء ولعله خصه بذلك لانه اعز مفقود و
ارخص موجود واول شيء يسأله اهل النار كما قال ان افيضوا علينا من الماء
واول لذة يجدها اهل الجنة هو الماء كما قال وسقاهم ربهم الرابع الماعون حسن الانقياد

والاولى

والاولى ان يحمل على كل طاعة يخف فعلها لانه اكثر فائدة فان قيل لم لم يذكر اسم الكافر
بعينه فان قلت للستر عليه قلت فلم لم يستر على آدم بل قال وعصى آدم فنقول اذ ذكر
زلة آدم عليه السلام لكن بعد موته مقرونا بالتوبة وذكر الزلة مع التوبة رفعة في الحقيقة
والله اعلم سورة الكوثر مكية وهي ثلث آيات بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك
الكوثر واعلم بان هذه السورة وان كانت مختصرة بحسب اللفظ ففيها من اللطائف
بوجوه الاول منها هو ان من جملة ما يدل على الاتصال فذلك ان يقول ان هذه السورة
كالمقابلة لتلك السورة وذلك لانه تع وصف المنافق في تلك السورة بامور اربعة
اولها البخل فقال يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين وثانيها ترك الصلوة
فقال الذين هم عن صلوتهم ساهون وثالثها الريا في الصلوة فقال الذين هم
يراؤن ورابعها المنع كالزكوة فقال ويمنعون الماعون ثم في هذه السورة ذكر في
مقابلة البخل الاعطاء فقال انا اعطيناك الكوثر وفي مقابلة ترك الصلوة الامر
بالصلوة فقال فصل وفي مقابلة الريا ما يدل على نفي الريا فقال لربك يعني فصل لرضاء
ربك وفي مقابلة منع الزكوة وهو الماعون الامر بالنحر فقال وانحر اذ المراد منه
التصدق بلحم الاضاحي ثم ختم السورة بقوله ان شانئك هو الابتر اي المنافق
الذي ياتي بتلك الافعال القبيحة التي من ذكرها في تلك السورة سيموت ولا يبقى من
دنياه اثر ولا خير واما انت فيبقى لك في الدنيا الذكر الجميل وفي الآخرة الثواب الجزيل
الثاني منها هو ان للسالكين الى حضرة الله تع ثلث درجات اعلاها ان يكونوا
مستغرقين بقلوبهم وارواحهم في انوار جلال الله تع وهي اعلى الدرجات وثانيها
ان يكونوا مشتغلين بالطاعات والعبادات البدنية وثالثها ان يكونوا في مقام منع
النفس عن اللذات المحسوسة والشهوات العاجلة فقوله تع انا اعطيناك الكوثر
اشارة الى المقام الاول وهو ان روحه القدسية متميزة عن سائر الارواح البشرية

بصفة تحصل من تلك الصفة ما يكون من اعلى الذهاب وقوله تعالى فصل لربك وانحر
اشارة الى المقام الثاني وهو الاشتغال بالعبادات البدنية وقوله وانحر اشارة
الى المقام الثالث وهو منع النفس عن اللذات العاجلة اذ الباقيات الصالحات خير
عند ربك وهي السعادات الروحانية والمعارف الربانية الثالث انظر في هذه الآيات
كيف نظمت النظم الانسق ورتبت الترتيب الرشيق حيث قدم العطية العلية
والموهبة السببية وكثرها ليدل على عظم طرفي المعطي والمعطى وقد علم انه اذا
كان المعطي كبيرا او العطا كثيرا اما الهائم نعمة مدلول على كمالها حسنها وجلالها
قد اراد من الكوثر اولاده الى يوم القيمة من امته عند قوم فاذن بعظمة الربوبية
وصدر الجملة الموفرة على المخاطب بحرف التاكيد الجاري مجرى القسم واورد الفعل بلفظ
المضي على ان الكوثر لم يتناول العطاء العاجلة دون الآجلة وجاء بالكوثر محذوف
الموصوف لان المثبت ليس فيه من فرط الابهام والشياع والتناول على طريق الاتساع
ثم اتى بهذه الصفة مصدرة باللام ما يوصف بها شاملة وفي اعطاء معنى الكثرة
كاملة وعقب ذلك التعقيب بمعنى السبب وهو تسبب الانعام بالعطاء الاكثر بما يقتضيه
من الشكر الاوفر واشار الى نوعي العبادات وصنفي الطاعات اعني البدنية التي الصلوة
امامها والمالية التي هي النحر سنامها وحذف اللام الاخرى لدلالة عليها بالاولى
مع مراعاة حق التسجيع الذي هو من جملة صنعة البديع وقال لربك ليكون وروده
على طريقة الالتفات التي هي من الامهات وصرف الكلام عن لفظ المضمر الى المظهر اظهارا
لكبرياء شانه وعزة سلطانه ثم قال ان شانئك هو الابتر جعل الامر بالاقبال على شانه
وترك الاحتفال بشانئه على سبيل الاستيناف ليكون جملة للاعتراض مرسلة ارسال
الحكمة لخاتمة الاعراض وعنى بالشانئ الشهم المرمى بسهمه وانما ذكره بصفة
لا باسمه ليتناول كل من كان في مثل حاله في كيده لدين الحق وضلاله ولنشرع الآن في

بيان

بيان ما يظهر من الفوائد في قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر وذلك بوجوه الاول قالوا انها
كالمتمم لما قبلها من السور وكالاصل لما بعدها كذلك وذلك لانه تعالى في سورة الضحى مدح محمدا عليه السلام
فذكر في اول السورة ثلثة اشياء مما يتعلق بنبوته اولها ما ودعك ربك وما قلى وثانيها
وللآخرة خير لك من الاولى وثالثها ولسوف يعطيك ربك فترضى ثم ختم السورة بذكر ثلثة
احوال من احواله وهي قوله الم يجدك يتيما فاوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك
عائلا فاغنى ثم ذكر في سورة الم نشرح انه شرفه بثلثة اشياء اولها الم نشرح لك
صدرك وثانيها ووضعنا عنك وزرك وثالثها ورفعنا لك ذكرك ثم انه تعالى شرفه
في سورة التين بثلثة انواع من التشريفات اولها انه اقسم ببلده فقال وهذا البلد
الامين وثانيها اخبر عن خلاص امته عن النار فقال الا الذين امنوا وثالثها
اخبر عن وصولهم الى الثواب فقال فلهم اجر غير ممنون ثم شرفه في سورة العلق
بثلثة انواع من التشريفات اولها اقرا باسم ربك وثانيها فليدع ناديه سندع الزبانية
فانه قهر خصمه به وثالثها واسجد واقترب فانه خصه بالقربة التامة وشرفه
في سورة القدر بليلة القدر التي لها ثلثة انواع من الفضيلة اولها كونها خيرا من
الف شهر وثانيها نزول الملئكة والروح فيها وثالثها كونها سلاما حتى مطلع
الفجر وشرفه في سورة لم يكن بان شرف امته بثلث تشريفات اولها انهم خير البرية
وثانيها جزاؤهم عند ربهم وثالثها رضي الله عنهم ورضوا عنه وشرفه في سورة
الزلزلة بثلث تشريفات اولها يومئذ تحدث اخبارها فان الارض تشهد يوم القيمة
لامته بالطاعة والعبادة وثانيها يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم وذلك
يدل على انه يعرض عليهم اعمالهم فيحصل لهم الفرح وثالثها فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ثم شرفه في سورة العاديات بان اقسم بخيل الغزاة من امته
ثم وصف تلك الخيل بثلثة اوصاف والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات

صبحا ثم شرف امته في سورة القارعة بامور ثلثة اولها فمن ثقلت موازينه
فهو في عيشة راضية وثانيها فامه هاوية فانه هو الاخبار عن عدوهم انهم في
النار ثم شرفه في سورة التكاثر بعذاب من اعرض عن دينه من ثلثة اوجه اولها انهم
لترون الجحيم وثانيها ثم لترونها عين اليقين وثالثها ثم لتسألن يومئذ عن النعيم
ثم شرف امته في سورة العصر بامور ثلثة اولها الايمان فقال الذين آمنوا وثانيها
العمل الصالح فقال وعملوا الصالحات وثالثها ارشاد الخلق الى الاعمال الصالحة فقال
وتواصوا بالصبر ثم شرفه في سورة الهمزة بان اثبت لمن همزه ولمزه ثلثة انواع من العذاب
اولها انه لا ينتفع بدنياه البتة فقال يحسب ان ماله اخلده كلا وثانيها انه ينبذ في الحطمة
فقال لينبذن في الحطمة وثالثها انه تغلق عليه الابواب حتى لا يبقى له رجاء الخروج فقال
عليهم نار مؤصدة ثم شرفه في سورة الفيل برد كيد الاعداء من ثلثة اوجه اولها الم يجعل
كيدهم في تضليل وثانيها ارسل عليهم طيرا ابابيل وثالثها جعلهم كعصف ماكول ثم
شرفه في سورة قريش بانه راعى مصلحة اسلافه من ثلثة اوجه اولها جعلهم مؤتلفين
متوافقين فقال لايلاف قريش وثانيها اطعمهم من جوع وثالثها آمنهم من خوف
ثم شرفه في سورة الماعون بان وصف المكذبين بدينه على ثلثة انواع من الصفات المذمومة
اولها الدناءة واللؤم فقال يدع اليتيم وثانيها ترك تعظيم الخالق فقال عن صلاتهم
ساهون وثالثها ترك انتفاع الخلق فقال ويمنعون الماعون ثم انه تعالى لما شرفه بالشرفات
المذكورة في هذه السور فقال بعد ذلك انا اعطيناك الكوثر من مثل هذه المناقب المتكاثرة
المذكورة في هذه السور المتقدمة التي كل واحد منها اعظم من ملك الدنيا بحذافيرها
واشتغل بعبادة ربك وبارشاد عباده الى ما هو الاصلح لهم اما عبادة المولى فاما بالنفس وهو
قوله فصل لربك واما بالمال وهو قوله وانحر واما ارشاد العباد الى ما هو الاصلح في دينهم
ودنياهم فهو قوله تع قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون فثبت ان هذه السورة

كالتتمة

111

كالتتمة لما قبلها من السور وكيف لا وقد كان فيها من الاشارة الى ما في الغيب من البشارة
واما انها كالاصل لما بعدها فهو انه تع امره بخطاب الكافرين فقال قل يا ايها الكافرون
لا اعبد ما تعبدون ومثل هذا الخطاب يستثير العداوة والبغضاء وانه من جملة ما يشير
قصد الابلاغ وذلك لما يعجز عن الاجراء فلا يمتنع اذن ان يكون ذلك الخطاب خالياً عن الخوف
فدبر الله سبحانه وتعالى ازالة ذلك الخوف تدبير اللطفاء وهو انه قدم على تلك السورة
هذه السورة فان قوله تع انا اعطيناك الكوثر يزيل عنه ذلك الخوف بوجوه منها ان قوله
انا اعطيناك الكوثر اي الخير الكثير في الدنيا والدين فيكون ذلك وعدا من الله اياه بالنصر
والحفظ وهو كقوله تع والله يعصمك ومنها انه تعالى لما قال انا اعطيناك الكوثر وهذا اللفظ
يتناول خيرات الدنيا وخيرات الآخرة وان خيرات الدنيا ما كانت واصلة اليه حين كان بمكة فوجب
ان يكون باقيا في الدنيا الى ان يصل اليه تلك الخيرات وكان ذلك كالبشارة له بانهم لا يقدرون
على قتله ومنها ان قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر يفيد انه تع تكلم معه لا بواسطة وهو
يقوم مقام قوله وكلم الله موسى تكليما بل هذا اشرف فانه هو المشافهة في بناء الاعطاء
ولو كان كذلك لكان يفيد قوة في القلب وذلك مما يزيل الخوف ثم انه تعالى ذكر بعد سورة الكافرين
سورة اذا جاء نصر الله كانه تع يقول وعدتك بالكوثر اولا ثم امرتك بالبراءة عن معبودهم
ثانيا فلما امتثلت امري فانظر كيف انجزت ذلك الوعد بكثرة الاتباع والاشياع يدخلون
في دين الله افواجا بعد فوج ومن اعرض في هذه الحالة عن الدخول في الدين طلبا للدنيا
فليس له الا الخسار ثم يكون مصيره الى النار وهو المراد من قوله تبت يدا ابي لهب ثم ذلك
الخسار قد يكون في الحقيقة وذلك بالاصرار وقد يكون في الظاهر وذلك بترك العناد بعد
ما كان في ذلك الفساد فينظر في الدلائل الدالة على وجود ذاته الازلية الابدية وعلى صفاته
السنية السرمدية نحو الاحدية والصمدية وهو المراد بقوله تع قل هو الله احد الله
الصمد ثم انه تع خاطبه بالاستعاذة الى الحضرة دفعا للشر الصادر عن الحاسد الفا

بقوله قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق ثم اعاد الخطاب للاستعاذة واشار الى حرب
النفوس الانسانية فانه لا يبعد ان يصدر من الانسان مثل ما يصدر من الشيطان وهذه
الجملة يعرف ما في ضمنها على التفصيل عند تفسير هذه السورة بعون الله وحسن توفيقه الثاني
من وجوه الفوائد في قوله انا اعطيناك الكوثر هو ان كلمة انا تارة يراد بها الجمع وتارة يراد بها
العظمة ولا مجال للاول في هذا الموضع فيجب حملها على الثاني وهو عظمة الحضرة الالهية
وفيه تنبيه على عظمة العطية فان الواهب هو الملك الجبار والموهوب له الرسول المختار
وهو المشار اليه بكاف الخطاب في قوله انا اعطيناك واما الهبة هي الشيء المسمى بالكوثر
فلفظه يدل على المبالغة في الكثرة لما كان اللفظ مشعر بعظم الواهب والموهوب له
فيا لها من نعمة ما اجلها وما اعظمها والفائدة الثالثة منها ان الهدية وان كانت
حقيرة لكنها من حيث انها واصلة من المهدي العظيم الشان الباهر البرهان كانت عظيمة
على الخصوص اذا كانت كثيرة في الغاية ثم في الكوثر وان كان في نفسه غاية الكثرة فبالنسبة
الى حضرة الله تعالى وكرمه كان قليلا الفائدة الرابعة انه تعالى لما قال انا اعطيناك الكوثر اتبعه
بذكر ما يدل على انه لا يسترجعها وهو قوله فصل لربك وانحر فان طلب الصلوة والنحر
منه يفيد فائدة اسقاط الرجوع الفائدة الخامسة انه بنى الفعل على المبتدا وذلك يفيد
التاكيد فان ذلك الفعل منه لما ان ذكره يتكرر صريحا ومضمرا الفائدة السادسة انه
صدر الجملة بحرف التاكيد الجاري مجرى القسم كما مر ذكره وكلام الصادق مصون عن
الخلف فكيف اذا بالغ في التاكيد الفائدة السابعة انه ذكر بلفظ الماضي كما مر منها
انه يدل على انه كان عزيزا من الازل قال عليه السلام كنت نبيا وادم بين الماء والطين
ومنها انه تعالى هيأ له اسباب سعادته قبل وجوده فكيف بعد وجوده واشتغاله بالعبودية
ومنها انه يدل على ان انعامه تعالى واحسانه لمحض فضله لا بالفعل الصادر من العبد الفائدة
الثامنة قال انا اعطيناك ولم يقل انا اعطينا الرسول او النبي مثلا فان ذلك يوهم ان ذلك

العظمة

العظمة بسبب ذلك الوصف ليس كذلك بل انها بالاختيار من الفاعل المختار الفائدة التاسعة
قال اولا انا اعطيناك ثم قال ثانيا فصل لربك وانحر وهذا يدل على ان اعطاء التوفيق
والارشاد منه سابق على طاعة العبد الفائدة العاشرة انه تعالى ذكر بلفظ الاعطاء ليدل
على ان المعطى وهو الكوثر بطريق العطاء لا بطريق الجزاء اذ الجزاء على حسب الاستحقاق
وذلك يكون متناهيا لا محالة بخلاف العطاء ثم لقائل ان يقول انه تعالى قال في هذا الموضع
اعطيناك الكوثر وفي موضع آخر اتيناك سبعا من المثاني فما الحكمة فيه فنقول لفظ
الاعطاء ليفيد التمليك والتمليك يفيد الاختصاص والكوثر كانه يكون في ملك الرسول
ومختصا به فلهذا قال بلفظ الاعطاء وفي ذلك الموضع ليس كذلك فان سبع المثاني وان كان
مخصوصا به لكنه ليس في ملكه ولان الشركة في القرآن شركة في العلوم ولا عيب فيها
بخلاف الشركة في الكوثر وهو النهر اذ هي شركة في الاعيان وهي عيب ثم من الدلائل ما يدل
على ان لفظ الاعطاء في هذا الموضع اولى وذلك لان لفظ الاعطاء يستعمل في القليل والكثير
قال تعالى اعطى قليلا واكدى بخلاف لفظ الايتاء فانه لا يستعمل الا في الشيء العظيم قال تعالى
اتاه الله الملك ولو كان كذلك فقوله انا اعطيناك الكوثر يفيد تعظيم حال محمد عليه السلام
من وجوه احدها ان الكوثر يكون كالشيء القليل بالنسبة الى ما هو مدخر له من الدرجات
العالية والمراتب الشريفة وفيه اشارة الى البشارة بما هو الاعظم من هذا المذكور وثانيها
كانه يقول هذا العطاء وان كان هو الكوثر لكنه في حقك اعطاء لا ايتاء وثالثها ان في الكوثر
اشارة الى الماء فكانه يقول الماء في الدنيا دون الطعام فاذا كان نعيم الماء بهذه الصفة
فكيف سائر النعيم فهذا الذي ذكرناه هو خلاصة ما ذكروه في تفسير قوله انا اعطيناك
واما الكوثر فهو في اللغة فوعل من الكثرة ويقال للرجل الكثير العطاء كوثر وانت كثير
يا ابن مروان طيب وكان ابوك ابو الفضائل كوثرا ثم اختلف اهل التفسير فيه بوجوه
الاول وهو المشهور انه نهر في الجنة وعن انس رضي الله عنه ان ماءه اشد بياضا من اللبن

واحلى من العسل وابرد من الثلج حافتاه واوانيه من فضة عدد نجوم السماء فيه طيور
خضر لها اعناق كاعناق البخت ولعله انما سمى ذلك النهر كوثرا لانه اكثر انهار الجنة
اولانه انفجر منه انهار الجنة كما روى ما في الجنة بستان الا وفيه من الكوثر نهر جار او لكثرة
من يشرب منه الثاني انه حوض وفيه من الاخبار المشهورة ووجه التوفيق بين هذا القول
والقول الاول ان يقال لعله ينصب من الحوض النهر او لعل الانهار انما تسيل من ذلك الحوض الثالث
الكوثر اولاده لان هذه السورة انما نزلت ردا على من عاب النبي عليه السلام بعدم الاولاد
والمعنى انه تعالى يعطيه نسلا ويبقون ابد الاباد الرابع الكوثر علماء امته وهم اكثر الاقوام
خيرا وكيف لا وقد قاموا لاحياء معالم الدين وابقاء شريعة سيد المرسلين باظهار الاحكام
وبيان الحلال والحرام فاظهروا بالاقسام ما لا يكون ظاهرا عند القوم لانهم ورثة الانبياء
روى عن النبي عليه السلام انه قال علماء امتي كانبياء بني اسرائيل ووجه التشبيه ظاهر
الخامس الكوثر هو النبوة ولا شك انها الخير الكثير الدائم وانها هي الدرجة العالية بعد
الدرجة الربوبية قال الله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وهي شطر الايمان والكلام في
النبوة واحوال الانبياء وعظمتهم قد مر من قبل السادس الكوثر هو القران وفضائله
لا يحصى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي السابع
الكوثر الاسلام وهو الخير الكثير الدائم والاسلام عبارة عن المعرفة وقال تعالى ومن
يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واذا كان الاسلام خيرا كثيرا فهو الكوثر ولقائل
ان يقول لم خصه بالاسلام والاسلام من النعم ما يعم الكل والجواب ان اسلامه لا بواسطة
اسلام غيره بخلاف اسلام الغير فانه بواسطة فاسلامه عليه السلام كالاصل في الباب
الثامن الكوثر الاتباع والاشياع ولا شك ان له من الاشياع والاتباع ما لا يكون لغيره
وهي الامة التاسع الكوثر الفضائل الكثيرة التي فيه فانه باتفاق الامة افضل من جميع
الانبياء عليهم السلام يقال رجل كوثر اذا كان سخيا كثير الخير والنبي عليه السلام

كان متصفا بهذه الصفة العاشر الكوثر رفعة الذكر قال تعالى ورفعنا لك ذكرك
وقد تقدم ذكره الحادي عشر انه العلم وفيه من الخير الكثير قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم
وكان فضل الله عليك عظيما وامر بطلب العلم فقال تعالى فقل رب زدني علما الثاني عشر
الكوثر انه هو الخلق الحسن وما رزقه الله تعالى من الخلق الحسن فذلك من جملة ما يكون
مخصوصا به دل عليه قوله عليه السلام اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون الثالث عشر الكوثر
هو المقام المحمود الذي هو الشفاعة فقال تعالى في الدنيا وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
وقال في الاخرة شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وعن ابي هريرة قال عليه السلام ان لكل
نبي دعوة مستجابة واني خبات دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة الرابع عشر المراد منه
هو هذه السورة وذلك لانها مع قصرها وافية بجميع منافع الدنيا والاخرة وكذلك
مشتملة على الامور المعجزة من وجوه منها انا اذا حملنا الكوثر على كثرة الاتباع او على
كثرة الاولاد من غير انقطاع النسل كان هذا اخبارا عن الغيب ومنها انه قال فصل لربك
وانحر انه اشارة الى زوال الفقر حتى يقدر على النحر وقد وقع فهذا ايضا اخبار عن الغيب
ومنها قوله ان شانئك هو الابتر وكان الامر على ما اخبر فكان معجزا كذلك وعلى هذا فان
فيها من الاعجاز ما فيها الخامس عشر المراد من الكوثر جميع نعم الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم
وهو المنقول عن ابن عباس رضي الله عنه لان لفظ الكوثر يتناول غاية الكثرة فلا يمكن حمله
على البعض من النعم دون البعض ومن البعض من العلماء ان ظاهر قوله تعالى انا اعطيناك
الكوثر يقتضي انه تعالى قد اعطاه ذلك الكوثر فيجب ان يكون حمله على ما اتاه الله تعالى من النبوة
والقران والذكر العظيم وغير ذلك قوله تعالى **فصل لربك وانحر** فيه مباحث الاول
في قوله تعالى فصل لربك وجوه احدها ان المراد هو الامر بالصلاة ولقائل ان يقول اللائق عقبه
عند الانعام الشكر فلم قال فصل ولم يقل فاشكر والجواب ان الامر بالصلوة في معنى الامر
بالشكر اذ الشكر قد يكون بالقلب وهو ان يعلم ان تلك النعمة منه لا من غيره وقد يكون

بالثناء وهو ان يذكر مدحه وثناءه وقد يكون بجميع الجوارح وذلك بالصلوة وكان
الامر بالصلوة احسن وجوه الشكر ولان الصلوة مشتملة على هذه المعاني ولانه
اذا قال فاشكر لربك كان ذلك يوهم انه ما كان شاكرا لكنه كان اول امره عارفا بربه مطيعا
له شاكرا للنعمة اما الصلوة فانه انما عرفها بالوحي قال ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان
وثانيها فصل اي فاعبد وهو قول مجاهد وعكرمة وعلى هذا القول فائدة ان المراد
فاء التعقيب التنبيه على ان شكر النعمة يجب على الفور لا على التراخي وثالثها فصل اي
فادع الله لان الصلوة هي الدعاء وفائدة الفاء انا قبل الدعاء اعطيناك الكوثر فكيف بعد
الدعاء وهو الطلب بطريق الخشوع والخضوع الثاني قوله في قوله وانحر فلان احدها وهو
قول الاكثر هو الامر بنحر البدنة وثانيها ان المراد منه فعل يتعلق بالصلوة وذكر عند
الفراء استقبال القبلة وعند بعضهم رفع اليدين عند كل تكبيرة وعلى قول ابن عباس
رضي الله عنهما هو وضع اليدين على النحر في الصلوة وقيل هو الفصل بين السجدتين
قال الواحدي رحمه الله اصل الاقوال كلها من النحر الذي هو الصدر وقد مر الكلام من قبل
في قوله تعالى فصل لربك وانحر مع ما فيه من الفوائد الثالث اختلف قوم في قوله تعالى فصل
لربك بالصلوة على وجوه منهم من قال المراد جنس الصلوة لانهم كانوا يصلون لغير الله
وينحرون لغير الله فامر ان لا يصلي ولا ينحر الا لله ومنهم من قال المراد منه الصلوة
المفروضة ومنهم من قال المراد صلوة العيد وهو عيد الفطر وعيد الاضحى لانهم كانوا
يقدمون الاضحية على الصلوة فنزلت هذه الاية ومنهم من قال المراد صلوة الفجر وهو
قول سعيد بن جبير يعني صل الفجر بالمزدلفة وانحر بمنى الرابع اللام في قوله تعالى لربك يفيد
فائدة الاخلاص انه تعالى ذكر في السورة المتقدمة انهم كانوا يصلون للرياء فذكر في
هذه الامر بالصلوة لا للرياء بل خالصا لله تعالى ومنهم من قال الاخلاص للصلوة كالروح
للبدن وهذا ظاهر فان اعتبار الصلوة بالاخلاص كالاعتبار البدن بالروح وقد

علمت

علمت ان البدن بدون الروح كيف هو واما الكلام في الفاء في قوله فصل فيفيد امرين احدهما
العبادة كانه قيل تكثير الانعام عليك يوجب عليك الاشتغال بالعبودية والثاني سببية ترك
المباهاة والتكبر كأن القائل ان يقول اللائق في الظاهر ان يقال انا اعطيناك الكوثر فصل لنا وانحر
لكنا نقول ترك ذلك لفوائد احدها ان وروده على طريق الالتفات من امهات ابواب الفصاحة وثانيها
ان صرف الكلام من المضمر الى المظهر يوجب عظمة ومهابة وثالثها قوله تعالى انا اعطيناك ليس في صريحه
لفظه ان هذا القائل هو الله او غيره وايضا كلمة انا تحتمل الجمع كما تحتمل الواحد المعظم فلو قال
صل لنا لبقي ذلك الاحتمال وهو انه كان يعرف ان هذه الصلوة انما هي لله فقط ام له ولغيره وعلى
سبيل الشريك فلهذا ترك ذلك اللفظ فقال فصل لربك ليكون ذلك ازالة لذلك الاحتمال وتصريحا
بالتوحيد في الطاعة والعمل لله السادس قوله صل لربك ابلغ من قوله صل لله لان لفظ الرب
يفيد التربية المتقدمة المشار اليها بقوله انا اعطيناك الكوثر ويفيد الوعد الجميل في
المستقبل ثم في الاية سؤالان احدهما ان المذكور عقيب الصلوة هو الزكوة قال تعالى اقيموا الصلوة
واتوا الزكوة فلم كان المذكور هنا النحر والجواب اما قول من قال المراد بالصلوة صلوة العيد
فالامر ظاهر واما على قول من قال المراد بالصلوة مطلق الصلوة فالجواب ان الزكوة لم تجب على
النبي عليه السلام بخلاف النحر فانه كان واجبا عليه لقوله ثلاث كتبت علي ولم تكتب على امتي
الضحى والاضحى والوتر لان اعز الاموال عند العرب هو الابل فامر بنحرها وصرفها الى طاعة الله
تنبيها على قطع العلائق النفسانية عن اللذات الشهوانية وثانيهما لم لم يقل ضح حتى يتناول
جميع انواع الضحايا والجواب عنه ان الصلوة اعظم العبادات البدنية فقرن بها اعظم انواع
الضحايا واما ان الاية تدل على تقديم الصلوة على النحر فظاهر قوله تعالى ان شانئك هو الابتر وفيه
مباحث الاول ذكروا في سبب النزول وجوها احدها انه عليه السلام كان يخرج من المسجد والعاص
بن وائل يدخل فالتقيا فتحدثا وصناديد قريش في المسجد فلما دخل قالوا من الذي كنت
تحدث معه فقال ذلك الابتر وروي ايضا ان العاص بن وائل كان يقول ان محمدا ابتر لا ابن له

بعز البنين

يقوم مقامه بعده فاذا مات انقطع ذكره واستراحتم منه وكان قد مات ابنه عبد الله من خديجة
وهو قول ابن عباس ومقاتل والكلبي وثانيها ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما لما قدم كعب بن
الاشرف مكة اتاه جماعة قريش فقالوا نحن اهل السقاية والسدانة فنحن خير ام هذا الابتر
من قومه يزعم انه خير منا فقال بل انتم خير منه فنزلت ان شانئك هو الابتر وثالثها انها
نزلت في حق ابي جهل فانه لما مات ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو جهل اني ابغضه لانه
ابتر ومنها انها نزلت في عقبة بن ابي معيط فانه كان يقول ذلك الثاني الشانئ هو المبغض والشاني
هو المبغض واما الابتر فهو في اللغة المستاصل المقطوع ويقال الذي لا عقب له انه ابتر وكذلك
لمن انقطع عنه الخير ومنه الحمار الابتر الذي لا ذنب له ثم الكفار لما وصفوه بذلك بين الله تعالى
ان الموصوف بهذه الصفة هو ذلك المبغض على سبيل الحصر فانك اذا قلت زيد هو العالم فانه يفيد
لا عالم غيره عن الحسن رحمه انهم ارادوا بكونه ابتر انه ينقطع عن المقصود قبل بلوغه والله تعالى
بين ان خصمه يكون كذلك وقيل انهم زعموا انه ابتر لانه ليس له ناصر ومعين وقد غلطوا
فانه تعالى هو موليه وجبريل وصالح المؤمنين بل الذي لا ناصر له في الحقيقة هو الكافر الثالث
ان الكفار لما سموه الابتر فالله تعالى اجاب عنه من غير واسطة فقال ان شانئك هو الابتر
وهكذا هو سنة الاحباب الرابع انه تعالى لما بشره بالنعم العظيمة والنعمة لا تكون كما ينبغي الا وان
يكون العدو مقهورا فلهذا وعده بقهر العدو فقال ان شانئك هو الابتر لانه كان شانئا له
ومبغضا اياه فالله تعالى بشر محمدا في اول السورة بالكوثر وفي آخر السورة بذلة العدو
ودناءته بانه هو الابتر لكونه ابتر في حقه اولا وآخرا الخامس اعلم بان من تامل في مطالع
هذه السورة ومقاطعها علم ان الفوائد التي مر ذكرها بالنسبة الى ما اسنانه الله تعالى علمه من
فوائد هذه السورة وفوائد فرائدها كقطرة من البحر ومن جملة ما يدل على ما قلناه تقاعد
فصحاء العرب عن المعارضة مع انها في غاية القصر بالنسبة الى ما عداها من السور واما ما نقل عن
مسيلمة الكذاب انه كان يقول في المعارضة انا اعطيناك الجماهر فصل لربك وهاجر ان

مبغضك

مبغضك رجل كافر فذلك لا يصلح ان يكون في مقابلة هذه السورة لما انه منحول عن هذه السورة
وماخوذ من الفاظها وترتيبها لكن السورة الالفاظ لذلك وما يكون كذلك وذلك وان كان احسن
فلا يكون في المقابلة على الخصوص اذ كان خاليا من الجنس والمرتبة وبالجملة فالذي له ذوق سليم وطبع
مستقيم يعلم الفرق بين قوله انا اعطيناك الكوثر وبين قول القائل انا اعطيناك
الجماهر لفظا ومعنى وكذلك بين قوله فصل لربك وانحر وبين قول القائل ان مبغضك
رجل كافر من لطائف هذه السورة ان الكفار بعضهم وصفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بانه لا ولد له وبعضهم بانه لا معين له وبعضهم بانه لا يبقى منه ذكر فالله سبحانه مدحه
مدحا يدخل فيه جميع الفضائل وهو قوله انا اعطيناك الكوثر كما مر ثم امره بما يدل على
الافضل من الطاعة البدنية وعلى الافضل من الطاعات المالية على ما عرف من قبل كما
ينبغي بقوله فصل لربك وانحر ثم اشار الى قهر العدو ونبه بها على عظم النعم بقوله ان
شانئك هو الابتر ومثل هذه اللطائف لا يمكن ان يوجد في ذلك القول الذي نقل عن الكذاب
اذ الجماهر لا يفهم من لفظها جميع الفضائل اصلا وكذلك هاجر لا يفهم منه ما يكون افضل
من الطاعات المالية وعلى هذا رجل كافر لا يفهم منه قهر العدو ونحو ذلك ولو كان كذلك
فكيف يمكن ان يقال ان هذا في مقابلة ذلك نعوذ بالله منه ولنقتصر على هذا القدر فان فيه
ما يكفي لذوي الالباب والله اعلم بالصواب. سورة الكافرون مكية وهي ست آيات وهذه
السورة تسمى سورة المنابذة وسورة الاخلاص والمقشقشة وروي من قراها فكانما قرا
ربع القرآن والوجه فيه ان القرآن مشتمل على الامر بالمامورات والنهي عن المحرمات وكل واحد
منهما ينقسم الى ما يتعلق بالقلوب وعلى ما يتعلق بالجوارح وهذه السورة مشتملة على
النهي عن المحرمات المتعلقة بافعال القلوب فيكون ربعا للقرآن والله اعلم كبرا ان المناسبة
بين هذه السورة وبين ما قبلها بوجوه منها ما مر من قبل في تلك السورة ومنها ما يجي
من بعد في هذه السورة ومنها انه تعالى قال في آخر تلك السورة ان شانئك هو الابتر لانه

من الكافرين والكافر هو الابتر ثم قال في اول هذه السورة ما يوجب ان يخاطبهم وهو
قوله تعالى قل يا ايها الكافرون بسم الله الرحمن الرحيم **قل يا ايها الكافرون لا اعبد
ما تعبدون** ثم في قوله قل من الفوائد بوجوه احدها انه عليه السلام كان مأمورا بالرفق
وموصوفا بصفة اللين واللطف قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت
فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فلو خاطبهم بيا ايها الكافرون لكان ذلك
الخطاب غير مناسب لحاله فانه لا يكون خاليا عن الغلظة وما لا يخلو عن الغلظة
فلا يليق بالرفق فلهذا قال تعالى قل يا ايها الكافرون ليكون مأمورا بهذا الخطاب فيكون
معذورا فيه اذ المأمور معذور وثانيها انه لما قيل له وانذر عشيرتك الاقربين وهو
عليه السلام كان يحب اقرباءه كقوله تعالى قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى وكانت
القرابة كالمانع من اظهار الخشونة فامر بالتصريح بتلك الخشونة فقيل له قل يا ايها
الكافرون وثالثها انه لما قيل له يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك فان لم تفعل
فما بلغت رسالته فامر بتبليغ كل ما انزل اليه ومن جملة ما انزل اليه قوله تعالى قل
يا ايها الكافرون فوجب عليه ان يبلغ هذا المجموع وهو قوله تعالى قل يا ايها الكافرون ورابعها
ان الكفار كانوا معترفين بوجود الصانع على ما قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلق
السموات والارض ليقولن الله فيمكن ان يتحملوا من الصانع ما لا يمكنهم ان يتحملوا من
غيره ولو قال النبي عليه السلام ابتداء يا ايها الكافرون يمكن ان يحملوا هذا الكلام على
انه كلام محمد عليه السلام ولم يلتفتوا اليه اما انهم سمعوا قوله قل علموا انه كلام الله تعالى
فلا يمكنهم ان لا يلتفتوا اليه وخامسها ان قوله قل يوجب كونه رسولا من عند الله فكان
ذلك كالمنشور الجديد في رسالته وانه يقتضي المبالغة في تعظيم الرسول وسادسها
ان الكفار لما قالوا نعبد الهك سنة وتعبد الهتنا سنة فالنبي عليه السلام قال الهي
ما امرني بهذا بل امرني بالرد فقال تعالى قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون وكانهم

ان بتقدير ان يقول يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون فللكفار ان يقولوا هذا كلامك ام
كلام ربك فان كان كلامك فنقول لا اعبد ما تعبدون وهذا لا يصح منا اصلا ولا يليق بحضرتك البتة
وان كان هذا كلام الله فانت قلت من عند نفسك لا اعبد ما تعبدون لا من حضرته تعالى فاما اذا
قال قل يا ايها الكافرون فلا يرد عليه هذا الاعتراض فان قوله قل يدل على انه مأمور من عند
الله سبحانه وتعالى وثامنها انه لما انزل اليه يا ايها الكافرون كان يقرأ هذا عليهم لا محالة
لانه مأمور بتبليغ ما انزل اليه الا انه لما قال قل كان ذلك كالتأكيد في ايجاب تبليغ هذا
الوحي اليهم والتأكيد يدل على ان ذلك الامر امر عظيم فيدل هذا الكلام على ان الذي قالوه
وطلبوه من الرسول امر في غاية القبح ونهاية الفحش وتاسعها ان خطاب الله تعالى لعبده
من غير واسطة يوجب التعظيم فلو قال يا ايها الكافرون لكان ذلك من حيث انه خطاب
مشافهة يوجب التعظيم ومن حيث انه وصفهم بالكفر يوجب الاهانة والاذلال فيلزم
الاجتماع بينهما في كلام واحد وذلك لا يصح فاما اذا قال قل يا ايها الكافرون فحينئذ يرجع
التعظيم بذلك الكلام الى الرسول والاهانة والاذلال الى الكافر وعاشرها ان الايذاء من ذوي
القربى اشد واصعب وانه من قبيلتهم ونشأ فيما بين اظهرهم فقيل لهم يا ايها الكافرون
فانه لا يبعد ان يصير هذا الكلام داعيا لهم الى النظر في الدلائل والبراهين عن الكفر الحادي عشر
ذكر التوحيد ونفي ما ينافيه اي ما ينافي التوحيد جنة للعارفين ونار للمشركين فاجعل
كلامك جنة للموحدين ونارا للمشركين وقل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الثاني عشر
ان هؤلاء الكفار لفرط حماقتهم زعموا ان الكثرة في الالهية نحو الكثرة في الثروة ولا يكون
ايكون كذلك بل هو كالكثرة في العيال تزداد به الحاجة فقل يا محمد لي اله واحد اقوم له في
الليل واصوم له في النهار ثم بعد لم يفرغ من قضاء حق ذرة من ذرات نعمه فكيف التزم
عبادة غيره وقل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الثالث عشر المرء نعمتي عليك فوق
نعم الوالد على ولده وان نعمة والديك عليك وتربيتهما اياك هي في الحقيقة نعمتي عليك ولو كان

كذلك كان رحمتي عليكم ورأفتي اليكم اكثر واظهر من رأفة الغير وشفقته عليكم فلا
عليكم اذن ان تعبد غيري وانت تعلم بهذا المعنى فاذا لم يعلم الكفار هذه الغاية جهلهم
فقل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الرابع عشر كانه تع يقول ان التقية جائزة عند
الخوف لكنا لما سترناك وقويناك فقل بانا اعطيناك الكوثر ومن جملة نعم الكوثر النصر
على الاعداء فلا باس بكان يقول لهم ما فيه من المصالح فقل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون
الخامس عشر عبدة الاصنام كانوا امنوك بالكذب فقالوا انه ابتر ولكان انه اتهمهم
بالصدق لما اتهم في الكفر والضلال فقال يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون وليقتصر على
هذا القدر من الوجوه الممكنة في قوله تع قل فان الطريق الى تكثير امثال هذه الوجوه وتقريرها
طريق واضح فلا حاجة الى اظهار ما يمكن ان يظهر على العاقل بوجوه من غير ان يتكلف فيه
ويتفكر ثم لقائل ان يقول ان الكفار كانوا عالمين بان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يقوم بعبادة
ما تعبدونهم فانهم لا يقومون بعبادة ما تعبد محمد وهو الله سبحانه فما الفائدة في
قوله قل يا ايها الكافرون وقد كان هذا من قبيل ايضاح الواضحات واثبات المثبتات
فنقول انهم كانوا عالمين بتقاعد الجانبين عن العبادة في الحال وفي المال ايضا لكنهم
ما كانوا عالمين بوجود ما يصدر منهم في المال وقوله تع حكاية عن الجانبين لا اعبد
ما تعبدون لا يكون مقصورا عن التقاعد في الحال بل شاملا جميع الاحوال من الحال
والمال اما قوله تع لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ولا
انتم عابدون ما اعبد ففيه مباحث الاول في الاية قولان احدهما نفي التكرير وذكر بوجوه
منها ان الاول للمستقبل والثاني للحال والدليل على ان الاول للمستقبل ان لا لا تدخل
الا على مضارع في معنى المستقبل الا ترى ان لن تاكيد فيما تنفيه لا قال الخليل رحمه الله في
لن ان اصله لا ان فقوله لا اعبد ما تعبدون اي لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني
من عبادة الهتكم ولا انتم فاعلون في المستقبل ما اطلبه منكم من عبادة الهي ثم قال

ولا

ولا انا عابد ما عبدتم اي ولست في الحال بعابد معبودكم ولا انتم في الحال بعابدين لمعبودي
وقال في الكشاف ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم يعني لم يعهد
مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في الاسلام ومنها ان يجعل الاول للحال والثاني
للاستقبال والدليل على انه للاستقبال انه رفع مفهوم قولنا انا عابد ما عبدتم ولا شك
ان هذا للاستقبال كما في قولنا انا قاتل زيدا فهم منه الاستقبال ومنها قول بعضهم ان كل واحد
منهما يصلح للحال والاستقبال ولكنا نخص احدهما بالحال والاخر بالاستقبال دفعا للتكرار و
منها وهو قول ابي مسلم ان المقصود من الاولين المعبود وما بمعنى الذي فكانه قال لا اعبد الاصنام
ولا تعبدون الله واما في الاخرين فما مع الفعل في تاويل المصدر اي لا اعبد عبادتكم المبنية على
الشك وترك النظر ولا انتم تعبدون مثل عبادتي المبنية على اليقين والنظر في الدلائل القطعية
ومنها كانه قال في الاولين لا اعبد ما تعبدون رجاء ان تعبدوا الله ولا انتم تعبدون الله
رجاء ان اعبد الاصنام مثلا ثم قال في الاخرين ولا انا عابد الاصنام لغرض من الاغراض اصلا
ولا انتم عابدون ما اعبد لغرض من الاغراض كذلك والثاني من القائلين هو اثبات التكرار وعلى هذا
القول العذر عنه من وجهين احدهما ان التكرار من جملة ما يفيد التوكيد وكلما كانت الحاجة الى التاكيد
اكثر كان التكرير احسن وهذا من المواضع ما فيه الحاجة الى التاكيد اكثر وثانيهما انه كان القران
ينزل شيئا بعد شيء واية بعد اية جوابا عما يسالون فالمشركون قالوا استلم بعض الهتنا حتى
نؤمن بالهك فانزل الله تع ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد ثم قالوا بعد مدة
نعبد الهنا شهرا ونعبد الهك شهرا فانزل الله تع ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون
ما اعبد ولما كان هذا من جملة ما يحتمل وجوه خفا احتمل التكرير من غير قدح ولا يبعد ان
الكفار كرروا قولهم نعبد الهنا شهرا ونعبد الهك شهرا نعبد الهنا سنة ونعبد الهك سنة
فلما كرروا كان على وفق ذلك هو ضرب من التهكم فان من كرر الكلمة الواحدة لغرض فاسد يدفع
تلك الكلمة على سبيل التكرار استخفافا فالتكرار كقائل ان يقول كلمة ما لا يشاء ولم يعلم فيصح ان يقال

ولا انا عابد ما عبدتم لكن لم يصح ولا انتم عابدون ما اعبد لكنا نقول الجواب عنه من وجوه منها ان المراد منه الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق ومنها ان كلمة ما مصدرية في الجملتين كما مر ومنها ان يكون ما بمعنى الذي وح يصح الكلام الثالث لقائل ان يقول اليس انه ذكر الحجة على قبح عبادة غير الله تع كان اولى من التكرير لكنا نقول قد يكون للتاكيد والتكرير اولى من ذكر الحجة ذلك لان المخاطب بليد فينتفع بالتاكيد والتكرير لا ينتفع بذكر الحجة او لان محل النزاع في غاية الظهور وكل واحد منهما متحقق في هذه السورة اما قوله تع **لكم دينكم ولي دين** ففيه من المباحث الاول قال ابن عباس رضي الله عنهما لكم كفركم بالله ولي التوحيد والاخلاص له **فان قيل** فهل يقال انه اذن لهم في الكفر **فنقول** لا لان المقصود منه التهديد كقوله تع اعملوا ما شئتم والوجه الثاني فيه ان الدين هو الحساب اي لكم حسابكم ولي حسابي ولا يرجع الى كل واحد منا من عمل صاحبه اثر البتة والوجه الثالث ان يكون بحذف المضاف يعني لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني وحسبكم جزاء دينكم وبالا وعقابا وحسبي جزاء ديني تعظيما وثوابا الرابع الدين العقوبة قال تع ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله اي في الحد فلكم العقوبة من ربي ولي العقوبة من اصنامكم الخامس الدين الدعاء قال تعالى وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي دعاؤكم ولي دعائي السادس الدين العادة اي لكم عادتكم الماخوذة من الكفرة والشياطين ولي عادتي الماخوذة من الملائكة ومن حضرة الحق تع الثاني من المباحث قوله لكم دينكم يفيد الحصر ومعناه لكم دينكم لا لغيركم ولي ديني لا لغيري وانه في معنى قوله وان ليس للانسان الا ما سعى ولا تزر وازرة وزر اخرى اي انا مامور بالتبليغ وانتم مامورون بالقبول فانا فعلت ما كلفت به وخرجت عن عهدة التكليف واما اصراركم على الانكار والرد فذلك مما لا يرجع الي منه ضرر الثالث عن النبي عليه السلام انه قال من قرا سورة الكافرين فكانما قرا ربع القران وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الاكبر **سورة النصر مدنية وهي ثلث ايات** واما اتصال هذه السورة بما قبلها

فذلك

فذلك ان اخر تلك السورة مشتمل على ترك الخشونة والمداراة مع الكفرة وفيه اشارة الى الصبر اذ الصبر مفتاح الفرج فاذا جاء يوم النصر والفتح يؤمنون في ذلك اليوم ويدخلون في دين الله فوجا بعد فوج بسم الله الرحمن الرحيم **اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس** وفيه من اللطائف وجوه الاول منها هو انه تع لما وعد محمدا بالتربية العظيمة في قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وقوله انا اعطيناك الكوثر وكانه قال لم تضيق قلبك وقد نصرتك قبل الرسالة بالطير الابابيل ونصرتك في ابتداء الرسالة بالملائكة كما في قوله تع ان يمددكم ربكم بسبعة الاف من الملائكة ثم الان ازيد فاقول انا ناصر لك اذا جاء نصر الله فقال الهي انعامك انما يتم اذا فتحت لي مولدي من المكة فقال والفتح فقال الهي باي سبب هذه التشريفات فقال اما تذكر في السورة المتقدمة يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون فانه يشتمل على امور ثلثة اولها نصرة الدين بالسيف مني خاطبت الكفار بخلاف سيد فقلت يا ايها الكافرون فكان في مقابلته اذا جاء نصر الله وثانيها فتح القلب بكمال التوحيد فكان في مقابلة فتح مكة وهو المراد من قوله والفتح وثالثها ادخلت رعية جوارحك واعضائك في طاعتي وعبوديتي فانا ادخلت ايضا عبادي في طاعتك وهو المراد من قوله يدخلون في دين الله افواجا ثم انك بعد ما تشرفت بهذه التشريفات الثلثة فابعث الى حضرتي ثلثة انواع من العبودية ان نصرتك فسبح وان فتحت مكة فاحمد وان ادخلتهم في الاسلام فاستغفر وانما وضع في مقابلة النصرة التسبيح اذ التسبيح هو تنزيه الله سبحانه عن مشابهة المحدثات يعني ان نصرة اياك لا لانك تستحق منه ذلك وكيف وانه منزه ان يستحق عليه احد من الخلق شيئا ثم في مقابلة فتح مكة الحمد لان ذلك من النعم العظيمة فالحمد في مقابلة النعمة ثم في مقابلة ادخال الناس في الدين الاستغفار وهو المراد من قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات يعني كثرة الاتباع مما يشغل القلب بلذة الجاه فاستغفر لهذا القدر من ذنبك واستغفر لذنبهم فانهم كلما كانوا اكثر كانت ذنوبهم اكثر وكان احتياجهم الى الاستغفار اكثر واما قوله انه كان توابا بعد قوله

واستغفره فذلك كالتعليل في ان الاستغفار لا يكون ضايعا الثاني انه سبحانه قال يا محمد
ان الدنيا لا يدوم نعيمها فما من نعمة في الدنيا الا وفي عقبها بل في ضمنها محنة فعليك
بالتحمل عند سفاهة السفهاء حيث قالوا ان اردت ان نعبد الهنا فنحن نريد ان نعبد
الهك فلما تحمل ذلك الابتلاء وتبرأ عنهم وضاق قلبه من جهتهم فقال ابشر فقد جاء
نصر فلما استبشر قال الرحيل اما علمت انه لا بد بعد الكمال من الزوال فاستغفره ايها
الانسان لا يفرح من فقد الربيع فان في عقبه غنى الخريف ولا يفرح بغنى الخريف فان في
عقبه وحشة الشتاء وعلى هذا اذا تم امر دنا نقصه توقع زوالا اذا قيل تم الثالث لما
قال في آخر تلك السورة لكم دينكم ولي دين فكانه تعالى قال فما جزاء ذلك فقال نصر الله ثم
قال فما جزاء عمي حين دعاني الى عبادة الاصنام فقال تبت يدا ابي لهب فان قيل فلم بدا
بالوعد قبل الوعيد قلنا لان رحمته سبقت غضبه وايضا ليكون الجنس متصلا بالجنس
وايضا الوفاء بالوعد اهم في الكرم من الوفاء بالوعيد الرابع ان في تلك السورة لم يذكر شيئا
من اسماء الله تعالى على التصريح لانها منزلة على الاعداء وفي هذه السورة ذكر اعظم اسمائه تعالى
اذ هي منزلة على الاحباب فكانه تعالى قال لا يذكر اسم من اسمائي مع الكفار حتى لا يهينوه واذكر
مع الايمان حتى يكرموه الخامس اذا منصوب بسبح والتقدير فسبح بحمد ربك اذا جاء نصر
الله قاله الكسائي وهو لما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من اعلام النبوة روي
انها نزلت في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع كانه تعالى جعل الوقت ظرفا لما يريد
وهو النصرة والفتح والظفر وملأ ذلك الظرف من هذه الاشياء وبعثه اليك فلا يرد
علي بل عليك ان يقول في مقابلة ذلك الاملاء والاعطاء ما عملك من التسبيح والحمد والاستغفار
السادس كانه تعالى يقول اذا جاءك النصر والفتح والظفر فاشتغل بالتسبيح والحمد والاستغفار
اذ الشكر لازم وانه موجب للزيادة قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم فيكون الاستغفار بهذه
الطاعة سببا لمزيد درجاتك في الدنيا والآخرة السابع ان الايمان انما يتم بامرين بالنفي

والبراءة

والبراءة والاثبات والولاية فالنفي والبراءة قوله تعالى لا اعبد ما تعبدون والاثبات والولاية قوله تعالى
اذا جاء نصر الله واعلم ان في هذه السورة من الامور ما يسأل عنه كما اذا قيل ما الفرق
بين النصر والفتح حتى يصح عطف احدهما على الآخر والجواب عنه من وجوه منها النصر هو
الغاية الاعانة على تحصيل المطلوب والفتح هو تحصيل المطلوب فالنصر كالسبب للفتح
ولهذا ابدا بذكر النصر وعطف الفتح عليه وقيل النصر هو الظفر في الدنيا على المقاصد
والفتح في الآخرة بالجنة كما قال وفتحت ابوابها واظهر الاقوال في النصر انه الغلبة على قريش
او على جميع العرب السؤال الثاني انه عليه السلام كان ابدا منصورا بالدلائل القاهرة و
المعجزات الباهرة فما الفائدة من تخصيص لفظ النصر بفتح مكة والجواب ان المراد من هذا
النصر هو النصر الموافق للطبع وانه هو الكامل والمطلق ينصرف الى الكمال السؤال الثالث
النصر لا يكون الا من الله قال تعالى وما النصر الا من عند الله فما الفائدة في هذا التقييد وهو
قوله نصر الله والجواب نصر لا يليق الا بالله او لا يليق الا بحكمته ولا يليق ان يفعله الا الله
الرابع لم قال اذا جاء نصر الله وصف النصر بالمجيء مجاز وحقيقته اذا وقع نصر الله فما الفائدة
في ترك الحقيقة وذكر المجاز والجواب ان اعجاز القرآن بالفصاحة والبلاغة والفصاحة في الـ ستغفار
المجاز كما مر في اول الكتاب السؤال الخامس لا شك ان نصرة الرسول في فتح مكة من الصحابة
الكبار وهم المهاجرون والانصار فما السبب في انه تعالى اضاف النصرة الصادرة منهم الى
حضرته تعالى والجواب ان هذا جملة ما يتعلق بمسألة القضاء والقدر وقد مر الكلام في
هذه المسألة وتقرر ان افعالهم فعل الله وتقديره ان افعالهم مستندة الى ما في قلوبهم من
الدواعي والصوارف وتلك الدواعي والصوارف امور حادثة فلا بد لها من محدث وليس
ذلك هو العبد والا لزم التسلسل فيلزم ان يكون هو الله تعالى ويكون المبدأ الاقرب هو
العبد فمن هذا الاعتبار صارت النصرة المضافة الى الصحابة بعينها مضافة الى الله تعالى فان
قيل فعلى هذا التقدير يكون فعل العبد مؤخرا من فعل الله تعالى وهذا على خلاف النص وهو قوله تعالى

ان ينصر الله ينصركم والجواب يمكن ان يكون فعل الله تعالى مقدما على فعل العبد بوجوبه هو الذي
ذكره ويكون مؤخرا من وجه آخر كما في الثواب والعقاب بعد الفعل الصادر من العبد السؤال
السادس انه تعالى لما ذكر النصر المستقبل قال اذا جاء نصر الله ولما ذكر النصر الماضي قال ولئن
جاء نصر من ربك فذكره بلفظ الرب فما السبب في ذلك والجواب ان ذلك لاجل ان العلم
بالربوبية يظهر عند الفعل او بعده بخلاف الالوهية فان العلم بها ظاهر قبل الفعل وبعده
السؤال السابع ان محمدا عليه السلام كان ينصر الله حين خاطب الكفار بيا ايها الكافرون لا اعبد
ما تعبدون والله تعالى وعد بقوله ان تنصروا الله ينصركم فكان واجبا بحكم هذا الوعد ان ينصره
الله فلهذا قال اذا جاء نصر الله فعلم لا يقال انه غير واجب عليه والجواب يقال انه غير واجب
بحسب الاستحقاق فاما بحسب الوعد فلا فلا يقال انه واجب فالمراد انه من جملة ما لا يمكن ان لا يوجد
ولهذا يقال وعد الكريم الزم من دين الغريم اما قوله تعالى والفتح ففيه من المباحث اقوال الاول
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الفتح هو فتح مكة وهو الفتح الذي يقال له فتح الفتوح وفي
الكشاف كان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم
عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب واقام بها خمس عشرة ليلة ثم خرج الى هوازن
وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وابن اخ كريم
وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم ثم قال اذهبوا
فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى امكنه من رقابهم عنوة
وكانوا له فيئا فلذلك سمي اهل مكة الطلقاء ولقائل ان يقول انه عليه السلام لما اعتقهم
كان اللائق بالاعتاق ان يقال اذهبوا فانتم العتقاء فلم قال فانتم الطلقاء والجواب ان المسلم
بعد العتق لا يمكن ان يرد الى الرق الذي هو ملك اليمين اما بعد الطلاق فيمكن ان يرد الى الرق
الذي هو ملك النكاح ولانهم في هذه الحالة كالنسوان لعجزهم ولفظ الطلاق مخصوص
بالنسوان بخلاف لفظ العتاق ثم انهم بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام فصار

ويدخلون

ويدخلون في دين الله افواجا وروي انه عليه السلام صلى اربع ركعات صلاة الضحى
واربعا اخرى شكرا لله تعالى نافلة والمشهور عند المفسرين ان هذا الفتح هو فتح مكة و
القول الثاني فيه انه فتح خيبر وكان ذلك على يد علي بن ابي طالب رضي الله عنه والقصة مشهورة
والقول الثالث انه فتح الطائف وقصته طويلة والقول الرابع المراد هو النصر على الكفار
وفتح بلاد الشرك على الاطلاق وهو قول ابي مسلم والقول الخامس المراد بالفتح ما فتح
الله عليه من العلوم ومنه قوله وقل رب زدني علما لكن حصول العلم لا بد وان يكون
مسبوقا بانشراح الصدر وصفاء القلب وفي ذلك هو المراد من قوله اذا جاء نصر الله ولا يبعد
ان يكون المراد من النصر اعانته على الطاعات والخيرات والفتح هو انفتاح عالم المعقولات
والروحانيات الثاني اذا حملنا الفتح على فتح مكة فللناس في وقت نزول هذه السورة قولان
احدهما ان فتح مكة كان سنة ثمان ونزلت هذه السورة سنة عشر وروي انه عليه السلام
عاش بعد نزول هذه الاية سبعين يوما ولذلك سميت سورة التوديع وثانيهما ان
هذه السورة نزلت قبل فتح مكة وهو وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينصره على اهل
مكة وعلى هذا القول كان قوله تعالى اذا جاء نصر الله من جملة معجزات الرسول الثالث انه قيل
لم ذكر النصر مضافا وذكر الفتح معرفا بحرف التعريف فنقول لما ان الفتح بنصر [illegible]
فتح مكة وقرا ابن عباس فتح الله قوله تعالى يدخلون في دين الله افواجا وفيه مباحث
الاول رايت يحتمل ان يكون بمعنى ابصرت وان يكون بمعنى علمت فان كان الاول كان يدخلون
في محل النصب على الحال بمعنى وابصرت الناس حال دخولهم في دين الله وان كان الثاني كان
يدخلون في دين الله مفعولا ثانيا بمعنى علمت الناس داخلين في دين الله وقد قرئ
يدخلون على البناء للمفعول الثاني ظاهر لفظ الناس للعموم وهنا ليس للعموم اذ المراد
هو العقلاء من الناس وهم الذين يدخلون في دين الله عن حسن بن علي رضي الله عنهما انه
سئل فقيل ما الناس [illegible] نحن الناس واشياعنا اشباه الناس واعداؤنا النسناس

فقبل على بين عينيه وقال اعلم حيث يجعل رسالته وقد روى ان المراد بالناس اهل اليمن
قال ابو هريرة لما نزلت هذه السورة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر جاء نصر الله والفتح
وجاء اهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم الايمان والفقه يمان والحكمة يمانية الثالث ان من
الناس من احتج بهذه الاية على صحة ايمان المقلد وهذا من جملة ما مر الكلام غير مرة الرابع
دين الله هو الاسلام لقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وللدين اسماء اخر نحو الايمان والصراط
وكلمة الله والنور والهدى والعروة الوثقى حبل الله وصبغة الله وفطرة الله والكلام في الكل
قد مر وانما قال في دين الله ولم يقل في دين الرب او الرحمن مثلا فان اسم الله هو الاسم الاعظم
لدلالته على الذات والصفات ولهذا يقال الرب اسم الله ولا يقال الله اسم الرب وكذا الرحمن
الرحيم وغيرهما من اسماء الصفات فاذا قيل دين الله فقد قيل دين الرب ودين الرحمن ودين الرحيم
هلم جرا الخامس الفوج الجماعة الكثيفة كانت تدخل فيه القبيلة باسرها بعد ما كان تدخلون
فيه واحدا واحدا واثنين اثنين وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه انه بكى ذات يوم فقيل
له لم تبكي فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دخل الناس في دين الله افواجا
وسيخرجون منه افواجا قوله تعالى **فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا** فيه مباحث الاول
التسبيح والتحميد والاستغفار كلها من جملة ما مر ذكره واما فوائد هذا الترتيب
وهو الامر بالتسبيح بالحمد ثم بالاستغفار اما التسبيح فذلك لبيان ان النصرة من المحض
لا لاجل استحقاق العبد بل بحكم المشية الالهية اذ هو منزه عن ذلك كما مر من قبل
الذي تعالى منزه عن ان يستحق عليه احد شيئا واما الحمد فهو الوصف بما يجب ان يوصف به
كما ان التسبيح هو الوصف بما يجب ان لا يوصف وهذا من اللوازم بعد ذلك لان نفي الشيء
عن الشيء لا بد له على ثبوت شيء اخر لذلك الشيء والنصرة تدل على ثبوت شيء اخر
نحو العلم والقدرة وغير ذلك فيلزم ان يذكر الحمد بعد الاحسان وهو النصرة لازم و
الاستغفار فهو طلب المغفرة وطلب المغفرة بعد الذنب لا محالة والذنب على حسب العقل

وكثيرا ما يكون ذنبا من النبي عليه السلام ولا يكون ذنبا من الامة والوجه الاخر ان التفات
الخاطر الى الخالق لا غير اشرف من الالتفات الى الخالق وغيره فالعبد في حالة التسبيح يلتفت
خاطره الى الخالق لا غير فيصفه بصفة التنزيه عما لا ينبغي لان الخالق منزه عن سمات
المحدثات وكذلك في حالة الحمد يلتفت خاطره الى الخالق لا غير فيصفه بما يكون على خلاف ذلك
اذ الخالق لا يكون الا وان يكون عالما وقادرا وحكيما فاما في حالة الاستغفار فليس كذلك
لان خاطره يلتفت الى الخالق والى غيره فلا يكون الاستغفار في الشرف مثل التسبيح والحمد
ولانه هو الطلب وان كان مع الحمد فلا يكون كالحمد بدون الطلب الا ان قال هذا من المسلمات لكن
لا يلزم منه ان يكون التسبيح مقدما على الحمد لان التسبيح في الحقيقة بالصفات السلبية
التي هي من صفات الجلال والحمد بالصفات الثبوتية التي هي من صفات الاكرام والكتاب يدل
على تقدم الجلال على الاكرام ولان السلبية اعم من الثبوتية والاعم مقدم على الاخص وقد قيل
في هذا الترتيب اشارة الى التشبيه بالملائكة في قوله ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك لانهم
فسروا قوله ونقدس لك بانا نجعل انفسنا مقدسة لاجل رضاك والاستغفار يرجع معناه
ايضا الى تقديس النفس وقد قيل فيه ايضا كانه تعالى يقول للنبي عليه السلام ان كنت معصوما
في هذه الحالة فاشتغل بالتسبيح والحمد شكرا لذلك وان لم تكن معصوما فاشتغل بالاستغفار
ليكون الاية كالتنبيه على انه لا فراغ عن التكليف في العبودية كما قال واعبد ربك حتى يأتيك
اليقين الثاني في المراد من التسبيح وجهان احدهما انه هو ذكر الله بالتنزيه والثاني
الصلوة لان هذا اللفظ وارد في القران بمعنى الصلوة قال تعالى فسبحان الله حين تمسون و
حين تصبحون وقال فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس والذي يؤيد ان هذه السورة
من اخر ما نزل وكان عليه السلام في اخر مرضه يقول الصلوة وما ملكت ايمانكم وفيه
اشارة الى انه يجب تنزيه الصلوة عن النقائص الثالث الاية تدل على فضل التسبيح والتحميد
حيث جعلهما كافيين في اداء ما وجب عليه من شكر نعمة النصر والفتح ولا يقال لو كان كذلك

لكان واجبا كالصوم والصلوة مثلا فانه لا يبعد ان يكون من الواجبات والامر المطلق
مما يقتضي الوجوب ولانه واجب بالايجاب العقلي فان العاقل يرى التسبيح والتحميد من جملة
ما يكون واجبا عليه الرابع ذكروا في تفسير قوله تع فسبح بحمد ربك وجوها احدها قال في
الكشاف معناه قل سبحان الله والحمد لله تعجبا مما اراه من عجيب انعامه وثانيها ان الحمد في ضمن
التسبيح والتسبيح في معنى الحمد ايضا الا ترى انك اذا قلت انه ليس في جهة فالمراد انه موجود
لا في جهة واذا قلت انه واحد فالمراد انه منزه عن المثل فقوله فسبح بحمد ربك معناه
سبحه بهذا الطريق وثالثها ان يكون حالا ومعناه سبح حامدا له ورابعها ان يكون
معناه سبحه مع العلم بان ذلك التسبيح انما حصل بفضله وانعامه وتوفيقه وارادته
بحقيقه فانه اذا كان كذلك كانك تقول انه منعم وموفق بالخير ومرتب لذلك وهذا هو الحمد
وخامسها روى السدي بحمد ربك اي بامر ربك كما وسادسها ان يكون المراد منه الاشارة
الى ان التسبيح والحمد امران لا يجوز تاخير احدهما عن الاخر وسابعها ان يكون المراد سبح
قلبك اي طهر قلبك بواسطة مطالعة حمد ربك فانك اذا رايت كل شيء من الله فقد طهرت
قلبك عن الالتفات الى غيره فقولك سبح اشارة الى نفي ما سوى الله في الذكر وقوله بحمد ربك
اشارة الى رؤية جميع الاشياء من الله تع الخامس في قوله تع واستغفره اشارة الى العفو وترك
الانتقام لان الله لما امره بان يطلب لهم المغفرة فكيف يحسن ان يشتغل بالانتقام ولهذا
كان يقول لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ومنها ان يكون المراد من الاستغفار هو الاستغفار
لنفسه او لامته فان كان لنفسه كما ذهب اليه من قال بصحة المعصية على النبي عليه السلام
كان الاستغفار يفيد العصمة عن المعصية اذا يوجد منه المعصية ويفيد المغفرة عنها اذا
وجدت واما على قول من لم يقل بالصحة بل يقول انه كان معصوما وهو قول الجمهور كان
استغفار النبي عليه السلام جاريا مجرى التسبيح لانه وصف الله تع بانه غفار يغفر ذنوب
المذنبين بفضله ويمكن ان يكون ذلك الاستغفار لترك الافضل ويمكن ان يكون ليقتدي

به غيره ويمكن ان يكون لانه يرى نفسه قاصرة في العبودية وان كان لامته فهذا ظاهر
لانه تع امره بالاستغفار لذنب امته في قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ولا يبعد اذا كان
استغفاره لامته وجب ان يكون مقدما على التسبيح والحمد اذ الاقدام على التسبيح والحمد قبل الاستغفار
لاجل ان يكون ذلك الاستغفار مقبولا في حضرة الله سبحانه وفيه تنبيه الى ان هذا من اللوازم وهو التحميد
والثناء قبل الدعاء كما في قصة ابراهيم عليه السلام الذي خلقني فهو يهدين الى قوله الا من اتى
الله بقلب سليم او نقول التسبيح والتحميد اشارة الى التعظيم لامر الله والاستغفار لاجل الامة اشارة
الى الشفقة الى خلق الله تع والاول كالصلوة والثاني كالزكوة ولا خفاء في ان الصلوة مقدمة
على الزكوة السادس لقائل ان يقول انه تع تواب كان توابا على الماضي واحتياطا الى توابه في المستقبل
والجواب عنه ان هذا ابلغ لما ان هذه الامة خير الامم قال تع كنتم خير امة اخرجت للناس فلما
كان الله توابا لغير هذه الامة كان بالحري ان يكون توابا لهذه الامة ولانه تع اذا قال انه كان
توابا كانه يقول كنت توابا قبل ان امركم بالاستغفار افلا اكون توابا وقد امرتكم بالاستغفار
ثم انه على ما قال يقال لقد احسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي السابع لقائل ان يقول ايضا
لم لم يقل انه كان غفارا وانه مما يناسب الاستغفار والجواب عنه ان هذا امر بالاستغفار على قصد التوبة
فانه اذا كان خاليا عن قصد التوبة كان من جملة ما يجب على ذلك الاستغفار كذلك كما قال الشاعر
استغفر الله من استغفر الله لفظة بذرت خالفت معناها ولو كان كذلك لو كان قوله توابا ابلغ
من قوله غفارا فان قوله واستغفره كان امرا بالتوبة الثامن لقائل ان يقول ايضا انه تع كان يقول
نصر الله وفي دين الله فلم لم يقل بحمد الله والجواب المشهور عنه انه تع راعى العدل فذكر اسم الذات
مرتين وذكر اسم الفعل مرتين مرة اسم الرب ومرة اسم التواب ولما كانت التوبة يحصل اولا
فكان يذكر اسم الرب اولا التاسع ان الاصح هو ان هذه السورة نزلت قبل فتح مكة واما
الذين قالوا انها نزلت بعد فتح مكة فمنهم من قال انه عليه السلام لم يلبث بعد نزول هذه
السورة الا ستين يوما مستديما للتسبيح والاستغفار وقال مقاتل بل عاش بعد نزول

هذه الآية حولا ونزل اليوم اكملت لكم دينكم فعاش بعده ثمانين يوما ثم نزل آية الكلالة فعاش
بعدها خمسين يوما ثم نزل لقد جاءكم رسول من انفسكم فعاش بعده خمسة وثلثين يوما
ثم نزل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش بعده احدى وعشرين يوما وفي رواية عاش بعده سبعة
ايام العاشر قال في الكشاف روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة اذا
جاء نصر الله اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة **سورة تبت مكية وهي خمس آيات**
واعلم انه تعالى قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ثم بين في سورة الكافرين
ان محمدا عليه السلام اطاع ربه وصرح بنفي عبادة الاضداد والانداد وان الكافر عصى ربه
فاشتغل بعبادة الاضداد والانداد فكأنه قيل الهنا ما ثواب المطيع وما عقاب العاصي
فقال ثواب المطيع النصر والفتح والاستغفار في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى كما في سورة
تبت يدا ابي لهب ثم انه تعالى ذكر في آخر تلك السورة بما يشعر بان من رجع الى حضرة الله تعالى
مستغفر الذنوب غفر الله تعالى ذنوبه وقبل توبته وابقاه وفي اول هذه السورة ما يشعر بان
من اعرض عن حضرته تعالى مصرا على معاصيه فقد اهلكه وافناه وهذا باب النظم واما بيان
النزول فقد ذكروا في سبب النزول وجوها مختلفة وما قال ابن عباس رضي الله عنهما فذلك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتم امره في اول المبعث ويصلي في شعاب مكة ثلث سنين الى ان
نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين فصعد الصفا ونادى يا آل غالب فخرجت اليه من (نادى)
المسجد فقال ابو لهب هذه اكثر غالب فما عندك ثم قال يا آل لوي فرجع من لم يكن من لوي
فقال ابو لهب هذه لوي فما عندك ثم نادى يا آل كلاب ثم قال بعده يا آل قصي فقال ابو لهب
هذه قصي فما عندك فقال ان الله تعالى امرني ان انذر عشيرتك الاقربين وانتم الاقربون
اني لا املك لكم من الدنيا حظا ولا من الآخرة نصيبا الا ان تقولوا لا اله الا الله فاشهد (لكم)
بها عند ربكم فقال ابو لهب عند ذلك تبا لك الهذا دعوتنا فنزلت السورة بسم الله
الرحمن الرحيم **تبت يدا ابي لهب وتب** وفيه اقاويل اولها التباب الهلاك ومنه قولهم

شابة

شابة ام تابة اي هالكة من الهرم ونظيره قوله تعالى وما كيد فرعون الا في تباب اي في هلاك
والهلاك قد يكون بحسب البدن وقد يكون بحسب العمل كما نقل عن الاعرابي انه قال هلكت
واهلكت باري سوء انته وقد يكون بحسب الاعتقاد وقد يكون بحسب المجموع كما يكون بحسب العمل
والاعتقاد معا وهو الذي يكون في حق ابي لهب فانه يكون على الباطل قولا وفعلا واعتقادا
وثانيها تبت اي خسرت والتباب هو الخسران المفضي الى الهلاك قال تعالى وما زادوهم غير
تتبيب اي غير تخسير وثالثها تبت اي خابت قال ابن عباس رضي الله عنهما لانه كان يدفع القوم
عنه بقوله انه ساحر فلما نزلت السورة وتبيت لحوله خاب سعيه وبطل غرضه ولعله
انما ذكر اليد لانه دفعه باليد اولان الدفع باليد في الظاهر منها او من غيره ورابعها عن عطاء
تبت اي غلبت لانه كان يعتقد ان يده العليا وانه يخرجه من مكة ويذله ويغلب عليه وخامسها
عن ابن وثاب صفرت يداه عن كل خير وقد قيل في فائدة ذكر اليد انه اخذ حجرا ليرمي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل المراد من اليدين النفس كما في قوله تعالى مما عملت ايدينا اي انفسنا او
قيل المراد من اليدين دينه ودنياه واولاه وعقباه اما قوله تعالى وتب ففيه وجوه احدها
انه اخرج الاول مخرج الدعاء عليه والثاني مخرج الخبر اي حصل ذلك ويؤيده قراءة ابن مسعود (رضي الله عنه)
وقد تب وثانيها ان كل واحد منهما اخبار لكن المراد الاول هلاك عمله وبالثاني هلاك
نفسه وثالثها تبت يدا ابي لهب يعني ماله ومنه يقال ذات اليد وتب هو بنفسه كما يقال
خسروا انفسهم واهليهم وهو قول ابي مسلم ورابعها تبت يدا ابي لهب يعني نفسه وتب
يعني ولده عتبة لما روي ان عتبة بن ابي لهب خرج الى الشام مع ناس من قريش فلما هموا
ان يرجعوا فقال لهم عتبة بلغوا محمدا اني كفرت بالنجم اذا هوى وروي انه قال في وجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فسلط الله عليه الاسد
في آخر الليل بعد مدة حتى افترسه **فان قيل** نزول هذه السورة قبل هذه الواقعة
وقوله تعالى تب اخبار عن الماضي فكيف يحمل عليه **فنقول** لانه كان في علمه تعالى انه يحصل ذلك

وخاب كسبها تبت يدا ابي لهب اي لم يعرف حق ربه وتب حين لم يعرف رسوله فان قيل
لم كان ذكره بلفظ الكنية مع انه كالكذب اذ لم يكن له ولد اسمه لهب وايضا انه من
باب التعظيم ولا محل للتعظيم فنقول يمكن ان يكون هذا اسما لا كنية ويؤيده قراة
من قرا تبت يدا ابي لهب ولو كان اسما فقد خرج من افادة التعظيم وقيل انه لما كان من اهل
النار ومآله الى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته وكان جديرا بان يذكر بها وقيل انما
ذكره بذلك لتلهب وجنته واشراقهما لانه اذا كان كذلك يجوز ان يذكر بهما به ثم
لقائل ان يقول كيف يليق بمحمد ان يسمي عمه بهذه اللفظة الشديدة وقد قال في حقه وانك
لعلى خلق عظيم وكان نوح مع انه في نهاية التشديد على الكفار قال ان ابني من
اهلي وابراهيم كان يخاطب اباه بالشفقة فقال يا ابت والجواب عنه بوجوه منها انه كان
يصرف الناس عن صحبة النبي عليه السلام فيقول انه ساحر انه مجنون والناس كانوا
يسمعون منه لسنه فسفهه بذلك حتى عظم غضبه واظهر عداوته الشديدة فصار منهما
في القدح ومنها انه كل احد انه لا يسامح احدا فيما يتعلق بالدين اصلا ومنها ان
العم بمنزلة الاب فالاصل في العمومية ان يظهر منها كمال الشفقة فلما انقلب الامر
فظهرت منه العداوة العظيمة استحق كذلك الكلام فان قيل انه تع قال في سورة
الكافرين قل يا ايها الكافرون وفي هذه السورة لم يقل قل فنقول لان الكفار في تلك
السورة طعنوا في الله وفي هذه السورة في محمد فان قيل ما الوجه في قراة عبد الله بن
الكثير المكي حيث كان يقرا ابي لهب ساكنة الهاء فنقول قال ابو علي يشبه ان يكون لهب
ولهب لغتين كشمع وشمع ونهر ونهر ثم انهم اتفقوا في الثانية رعاية الفواصل
قوله تع ما اغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب فيه مباحث الاول ما في قوله ما اغنى يحتمل
ان يكون استفهاما بمعنى الانكار ويحتمل ان يكون نفيا وعلى التقدير الاول يكون المعنى
اي تاثير كان لماله وكسبه في دفع البلاء وعلى التقدير الثاني يكون ذلك اخبارا بان المال

عليه السلام لو كان يداهن احدا لكان تلك المداهنة مع عمه فلما ترك المداهنة مع عمه انقطع المداهنة مع غيره فيعلم
33

والكسب

والكسب لا ينفع في دفع الهلاك الثاني ما كسب مرفوع وما موصولة او مصدرية يعني مكسوبه
او كسبه يروى انه كان يقول ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي واولادي فانزل الله
هذه الآية ثم ذكروا في المعنى وجوها احدها لم ينفعه ماله وما كسب بماله يعني راس المال
والارباح وثانيها المال والماشية وما كسب من نسلها وثالثها ماله الذي ورثه من ابيه
والذي كسبه بنفسه ورابعها قال ابن عباس رضي الله عنهما ما كسب ولده قال عليه السلام ان
ما كان لابيك وخامسها قال الضحاك ما ينفعه ماله وعمله يعني كيده في عداوة رسول الله و
قال قتادة اي عمله الذي ظن انه منه على شيء كقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فان قيل
في الاية سؤالان الاول قال في هذه السورة ما اغنى عنه ماله وما كسب وقال في سورة والليل
اذا يغشى وما يغني عنه ماله اذا تردى فما الفرق الجواب التعبير بلفظ الماضي يكون اكد
لقوله ما اغنى عني ماليه وقوله اتى امر الله السؤال الثاني ما اغنى عنه ماله وما كسب فيماذا
والجواب عنه ماله وما كسب في عداوة الرسول وقيل في دفع النار ولذلك قال سيصلى نارا
الثاني سيصلى قرئ بفتح الباء وبضمها مخففا ومشددا الثالث احتج اهل السنة على
تكليف ما لا يطاق بانه تع كلف ابا لهب بالايمان ومن جملة الايمان تصديق الله في جميع ما
اخبر عنه ومن الجميع انه لا يؤمن فقد صار مكلفا بان يؤمن بانه لا يؤمن اجاب الكعبي
وابو الحسين البصري من المعتزلة بانه اذا آمن ابو لهب كان هذا الخبر خبرا بانه آمن
لا بانه ما آمن والكلام في هذه المسئلة من جملة ما قدمناه قوله تع وامراته حمالة الحطب
فيه من المباحث الاول قرئ وامريته بالتصغير وحمالة الحطب بالنصب على الشتم قال
في الكشاف وانا استحب هذه القراة وقد توسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل من احب
شتم ام جميل وقرئ حمالة للحطب بالتنوين والرفع والنصب الثاني ام جميل بنت حرب
اخت ابي سفيان بن حرب عمة معاوية وكانت في غاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكروا في تفسير كونها حمالة الحطب وجوها احدها انها كانت تحمل حزمة من الشوك

والحسك فتنثرها في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم انها الشدة عداوتها تحمل بنفسها
الشوك وثانيها انها كانت تمشي بالنميمة يقال للمشاء بالنمائم بين الناس يحمل الحطب
بينهم اي توقد بينهم النائرة ويقال للمكثار هذا كحاطب الليل وثالثها قول قتادة انها كانت
تعير رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر فعيرت بانها كانت تحتطب ورابعها قول ابي مسلم وسعيد بن
جبير ان المراد ما حملت من الآثام في عداوة الرسول لانه كالحطب في مصيرها الى النار قال تع فقد
احتملوا بهتانا واثما مبينا الثالث امرأته ان رفعت ففيه وجهان احدهما العطف على الضمير
في سيصلى اي سيصلى هو وامرأته وفي جيدها في موضع الحال وثانيها الرفع على الابتداء وفي
جيدها الخبر الرابع عن اسماء لما نزلت سورة تبت جاءت ام جميل ولها ولولة وبيدها
حجر فدخلت المسجد ورسول الله جالس مع ابو بكر وهي تقول فلسا ودينا ابينا وحكمه عصينا
فقال ابو بكر يا رسول الله قد اقبلت اليك فانا اخاف ان تراك فقال عليه السلام انها
لا تراني وقرأ فاذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا
مستورا وقالت لابي بكر قد ذكر لي ان صاحبك هجاني فقال ابو بكر لا ورب البيت ما هجاك
وانما قال ما هجاك لان القرآن لا يسمى هجوا ولانه قال امرأته وامرأته فلا احتجاج الى قوله
حمالة الحطب فان لا امرأة سواها فوصفها بهذا الوصف لتعيينها **في جيدها حبل**
من مسد قال الواحدي المسد في كلام العرب الفتل يقال مسد الحبل يمسده مسدا اذا
اجاد فتله ثم لاهل التفسير فيه وجوه احدها في جيدها حبل من مسد من الحبال لانها
كانت تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون وثانيها ان
يكون المعنى ان حالها يكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين تحمل الحزمة
من الشوك فلا يزال على ظهرها حطب في جيدها حبل من النار روي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب
في دار واحدة **سورة الاخلاص مكية وقيل مدنية وهي اربع آيات** واعلم بان تلك السورة مشتملة

على اثبات العقوبة وكيفيتها وذكر لا يحسن الا من القادر القادر على العقوبة كما ينبغي القادر
القادر بالحقيقة هو الله الاحد الصمد الذي ليس كمثله شيء كما هو المذكور في هذه السورة
بسم الله الرحمن الرحيم **قل هو الله احد** وفيه من المباحث الاول في سبب النزول وجوه
احدها انها نزلت بسبب سؤال المشركين قال الضحاك انهم ارسلوا عامر بن الطفيل
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا شققت عصانا وخالفت دين ابائك فان كنت فقيرا
اغنيناك وان كنت مجنونا داويناك وان هويت امرأة زوجناكها فقال عليه السلام لست بفقير
ولا بكذا وكذا انا رسول الله ادعوكم من عبادة الاصنام الى عبادة الله رب العالمين
فارسلوه مرة ثانية وقالوا قل من اي جنس معبودك امن ذهب او فضة فانزل الله هذه
السورة وثانيها انها نزلت بسبب سؤال اليهود روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم كعب بن الاشرف فقالوا يا محمد ان الله
خلق الخلق فمن خلق الله فغضب النبي عليه السلام فنزل جبريل عليه السلام فسكنه وقال
احفظ جناحك فنزل قل هو الله احد وثالثها انها نزلت بسؤال النصارى عن ابن عباس رضي الله عنهما
الله تعالى عنهم وفد نجران فقالوا صف لنا ربك امن زبرجد او ياقوت او من فضة او ذهب فقال ان ربي
ليس من شيء اصلا بل هو خالق كل شيء فنزل قل هو الله احد الثاني ان لهذه السورة
اسماء كثيرة منها سورة التفريد ومنها سورة التجريد ومنها سورة التوحيد ومنها سورة الاخلاص
لانه لم يذكر في هذه السورة صفة السلبية التي هي صفة الجلال ومنها سورة النجاة انها تنجي
عن الشرك في الدنيا وعن النار في الآخرة ومنها سورة الولاية فان من عرف هذه السورة صار من
اولياء الله تع على هذا الوجه فقد والاه ومنها سورة النسبة لما روي انه ورد جوابا لسؤال
من قال انسب لنا ربك ومنها سورة المعرفة لان معرفة الله تع لا يحصل الا بمعرفة هذه السورة
ومنها سورة الصمد لانه مخصوص بذكره ومنها سورة الاساس لما ان التوحيد اساس عمارة هذا
العالم بدليل قوله تع لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ومنها سورة النور لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم

ان لكل شيء نورا ونور القران قل هو الله أحد ومنها سورة الامان لما ان الامان بحصول التوحيد
قال عليه السلام من قال لا اله الا الله امن من العذاب وروي من قال لا اله الا الله دخل الجنة فهذه
هي الاسماء المشهورة بالنسبة الى ما عداها من اسماء هذه السورة واما باب الفضائل فيجيء
بعد ان شاء الله تعالى ولنرجع الى التفسير قوله قل هو الله احد فيه مباحث الاول ان اعظم المقاصد
هو معرفة الله تعالى وانها من جملة ما لا يمكن حصوله بحسب الصفات كما يحصل لنا العلم بانه
موجود وواجب الوجود لذاته والواجب لذاته هو مبدا بجميع ما عداه من الموجودات وانه لا بد وان
يكون متصفا بصفة الاحدية والصمدية والعالمية والقادرية ولما حصل لنا العلم بانه
تعالى شيء موصوف بهذه الصفات فقد حصل لنا ما يكون عبارة عن معرفته تعالى وتقدس
والعلم بالشيء قد يحصل بالبراهين العقلية وقد يحصل بالبراهين المركبة من السمعية
تنبيه والعقلية اذ السمعية المحضة بمعزل عن الافادة من حيث انها سمعية محضة فالعلم بوجوده
تعالى يحصل للبعض بالدلائل العقلية المحضة ويحصل للبعض بالدلائل المركبة من السمعية و
العقلية والسمعية مفيدة في النظر بالبصيرة الى الدلائل العقلية ومن جملة الدلائل
السمعية قوله تعالى قل هو الله احد الله الصمد الثاني من قال انه لازم وهذا هو القراءة
المشهورة ومنهم من قال انه غير لازم وهو قراءة ابي وابن مسعود رضي الله عنهما واما
أي لا يتوهم قراءة النبي عليه السلام فكذلك ايضا الله احد الله الصمد والفائدة في القراءة الاولى
هي البيان بان النظم ليس فيه مقدور بل يحكي كل ما يقال له وفي الثانية هي ان ذلك كان
معلوما للنبي عليه السلام الثالث اعلم ان في اعراب هذه الآية وجوه احدها انه هو
كناية عن اسم الله تعالى فيكون قوله الله مرتفعا بانه خبر مبتدا ويجوز في قوله احد ما
يجوز في قولك زيد اخوك قائم وثانيها كناية عن الشان وعلى هذا التقدير يكون الله مرتفعا
بالابتداء واحد خبره والجملة يكون خبرا عن هو والتقدير الشان هو ان الله تعالى احد وثالثها
قال الزجاج تقدير هذه الآية ان هذا الذي سالتم عنه هو الله احد الرابع منهم من قال

احد بمعنى واحد وهذا ضعيف يعرف من بعد في بيان الفرق بينهما وعن الخليل احد اصله وحد
الا انه قلبت الواو همزة للتخفيف كما في قولهم وجوه واجوه وعن الازهري انه قال لا يوصف
شيء بالاحدية غير الله تعالى فلا يقال رجل احد ولا درهم احد كما يقال رجل وحد اي فرد وقولنا
احد هو اسم صفة من الصفات المخصوصة بحضرة الله سبحانه ثم انهم ذهبوا الى الفرق
بين الواحد والاحد وقالوا ان الواحد اسم لاجل العدد ومنه بخلاف الاحد والثاني ان الواحد
يستعمل في الاثبات والاحد في النفي تقول في الاثبات رايت رجلا واحدا وتقول في النفي ما رايت احدا
ان الاحد اعم من واحد الثالث لفظ الواحد يمكن ان يكون وصفا لكل شيء فيقال رجل واحد
ويوم واحد ولا يصح ان يقال للشيء احد الا الله سبحانه ولهذا جاء مجردا عن لام التعريف
في قوله تعالى قل هو الله احد وذلك لما صار نعتا لله تعالى على الخصوص فصار معرفة فلا يحتاج الى
التعريف وعن الازهري انه قال سئل احمد بن يحيى عن الاحاد هل هو جمع الاحد فقال معاذ
الله ليس للاحد جمع ولا يبعد ان يقال الاحاد جمع الواحد كالاشهاد جمع الشاهد الخامس
اختلف القراء في قوله تعالى احد منهم من قرا بالوقف ومنهم من قال بالتنوين وتحريكه بالكسر هكذا
احدن الله قرا على التقاء الساكنين ومنهم من قرا بالاضافة هكذا احد الله وهي قراءة
ابي عمرو ومنهم من قرا قل هو الله الواحد وهي قراءة الاعمش ثم لقائل ان يقول لم قال احد
منكرا والصمد معرفا والجواب المشهور عنه ان هذا بحسب العمومية والخصوصية فانه يصح ان
يقال الله الاحد ولا يصح ان يقال الاحد الله بخلاف الصمد فانه كما يصح ان يقال الله الصمد
يصح ان يقال الصمد الله وهذا الجواب لا يصح على قول من يقول لا يوصف شيء بالاحدية غير الله وعن
الماوردي ان لام التعريف حذفت على نية اضمارها ومنهم من قال المراد هو التنكير على سبيل التعظيم
السادس قوله تعالى قل هو الله احد مشتمل على ثلاثة الفاظ كل واحد منها اشارة الى مقام من
مقامات السائرين الى الحضرة المقدسة فالمقام الاول مقام المقربين وهؤلاء هم الذين نظروا
الى حقائق الاشياء فوجدوا كل ما سوى الحق تبارك وتعالى معدوما وما في ذاته لما انه تعالى

واجب لذاته وما عداه ممكن لذاته قال تع كل شيء هالك الا وجهه وثان قوله هو كاف في
حق هذا القوم فيحصل لهم العرفان التام بقوله هو ثم يليهم اصحاب اليمين وهذا هو المقام
الثاني وانهم في هذا المقام علموا ان الحق موجود وان الخلق ايضا موجود فلا جرم انضمت
تلك الكثرة وهي هو الى ممر ود كل لفظة الله وكان قوله تع هو الله كافيا لهذا القوم
ثم يليهم اصحاب الشمال وهذا هو المقام الثالث وانهم في هذا المقام يجوزون الكثرة
في مفهوم لفظ الاله فلم يكن هو الله كافيا في حق هذا القوم فلهذا قيل هو الله احد وعلم
بانه تع احد في ذاته احد في صفاته احد في افعاله احد لانه احد لا يشبهه شيئا ولا يشبهه شيء
احد غني عن كل احد احد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ولا يقال انه لا يدل على
نفي الكفو مطلقا بل يدل على نفي الكفو في الماضي من الزمان اذ النفي في الماضي يدل على كون الكفو
ممكنا والممكن لا يكون كفوا فيكون الكفو منفيا في الماضي وغير الماضي لا محالة ثم الفرق
بين بين قوله تع احد في اول السورة واحد في آخر السورة لما كان في الاول صفة الله تعالى
وفي الآخر صفة لغيره ولا يقال كيف هو وقد قلتم بانه لا يكون صفة لغيره تع اذ ذاك
في الاثبات وهذا في النفي الرابع اعلم بان الصفة اما ان يكون ثبوتية او سلبية والثبوتية اما ان
يكون حقيقية او اضافية واما ان يكون مركبة من هذه الثلثة اما الحقيقية فكقولنا
انه شيء موجود حي واما الاضافية فكقولنا المعبود المقصود واما السلبية فكقولنا
القدوس والسلام واما الحقيقية مع الاضافية فكقولنا عالم وقادر والحقيقية مع
السلبية فكقولنا قديم ازلي فان معناه موجود ولا ابتداء لوجوده واما الاضافية مع
السلبية فكقولنا اما مالك وملك اذ الملك عبارة عن موجود يفتقر اليه غيره وانه لا يفتقر الى
غيره البتة اذا عرفت هذا فنقول هو في قوله تع هو الله احد كناية عن الذات والذات من حيث هي
الذات خالية عن الصفات فيفهم من قوله هو ان لا غير والله في تلك الجملة ما يفهم منه الذات
المتصفة بالصفات الثبوتية من الصفات الالوهية واحد منها ما يفهم منه الذات المتصفة

بالصفات السلبية من تلك الصفات ولا نهاية للسلوب والاضافات فانه تع عالم بما لا نهاية
له قادر على ما لا نهاية له فاله من الاسماء والصفات ما لا نهاية **فان قيل** اذا فهم من قوله
احد الذات المتصفة بالصفات السلبية يلزم منه الكثرة وهي الذات والاحدية ومجموعهما
والكثرة ما ينافي الاحدية **فنقول** الكثرة في مفهوم لفظ الاحد لا في المحكوم عليه بالاحدية
وهو الذات اذ المحكوم عليه هو الذات ليس الا والذات من حيث هو الذات خالية عن الصفات كما مر
ثم الكلام من هذه الالفاظ الثلثة قد مر من قبل قوله تع **الله الصمد** ففيه مباحث الاول
ذكروا في الصمد وجهين احدهما انه فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده وهو السيد
المقصود اليه في الحوائج وقد دل على صحة هذا القول ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه
قال لما نزلت هذه الآية قالوا اما الصمد فقال عليه السلام هو السيد الذي يصمد اليه في الحوائج
وثانيهما الصمد هو الذي لا جوف له ولا رخاوة فيه لصلابته ومن اهل اللغة من قال
الصمد هو الاملس من الحجر الذي لا يقبل الغبار ولا يداخله شيء ولا يخرج منه شيء ومن
تمسك بهذه الآية انه تع جسم فذلك لجهله لما ان الجسم لا يوصف بصفة الاحدية وانه
لا يخلو عن الابعاد الثلثة الطول والعرض والعمق ثم لاهل التفسير فيه وجوه مختلفة
على حسب الاقوال المنقولة عن اهل اللغة منها الصمد هو السيد المرجوع اليه في دفع
الحاجات ومنها هو العالم بجميع المعلومات اذ السيد المرجوع اليه لا بد وان يكون كذلك ومنها
هو الحكيم لان كونه سيدا يقتضي ان يكون حكيما وكريما ومنها وهو قول الاصم هو الخالق
لجميع الاشياء لان السيد بالحقيقة لا يكون الا كذلك ومنها وهو قول السدي هو المقصود في
الرغائب والمستغاث به عند المصائب ومنها وهو قول الحسين بن ابي الفضل الصمد
هو الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ومنها انه السيد
العظيم فهذه الوجوه بالنسبة الى الصفات الثبوتية واما بالنسبة الى الصفات السلبية
فقد ذكروا وجوها ايضا منها الصمد هو الغني هو الذي ليس فوقه احد ومنها قول

قتادة هو الذى لا ياكل ولا يشرب وهو يطعم ولا يطعم ومنها هو الباقى بعد فناء خلقه
وهو قول الحسن رحمه الله ومن الذى لم يزل ولا يزال ولا يجوز عليه الزوال كان ولا مكان و
لا اين ولا اوان ومنها قول ابى بن كعب هو الذى لا يمكن ان يموت ومنها وهو قول مقاتل
هو الذى لا عيب فيه ومنها وهو قول ربيع بن انس الذى لا يعتريه الآفات ومنها وهو قول
سعيد بن جبير انه الكامل فى جميع صفاته ومنها وهو قول جعفر الصادق رضى الله عنه هو الذى
يغلب ولا يغلب ومنها وهو قول ابى هريرة انه المستغنى عن كل احد ومنها هو الذى لا يدركه
الابصار ومنها وهو قول ابى العالية هو الذى لم يلد ولم يولد ولا يبعد ان يحمل لفظ الصمد على
جميع الوجوه المذكورة فان كل واحد منها صفة من الصفات اللايقة للحضرة الازلية الثانى قوله
الله احد اشارة الى انه واحد وحد حقيقة لا يمكن ان ينقسم لا بحسب الاجزاء ولا بحسب الجزئيات
اليه وقوله الله الصمد اشارة الى انه تعالى واحد منزه عن الاضداد والانداد ثم فى هذه الاية سؤالات
الاول لم جاء احد منكرا والصمد معرفا وهذا من جملة ما سبق ذكره ومنهم من اجاب عنه بان
الاحدية من جملة ما يكون بعيدا عن فهم اكثر الخلق بخلاف الصمدية فانها معلومة البشر عند
الاكثر فلهذا جاء لفظ احد على سبيل التنكير فلفظ الصمد على سبيل التعريف السؤال الثانى
ما الفائدة فى تكرير لفظ الله فى قوله الله احد الله الصمد والجواب انها لو لم يكن مكررة فى
كان لفظ الاحد والصمد اما معرفتين كما يقال الله الاحد الصمد واما نكرتين كما يقال الله
احد صمد واما معرفة ونكرة كما يقال الله الاحد صمد وقد مر من قبل ما يدل على الا من
اللوازم ان يقال احد منكرا والصمد معرفا قوله تعالى **لم يلد ولم يولد** ففيه سؤالات الاول
لم قدم قوله لم يلد على قوله ولم يولد والجواب انما قدم ذلك لانهم يقولون ان له ولدا فالمشركون
قالوا ان الملائكة بنات الله واليهود قالوا عزير ابن الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله و
لم يقل احد منهم ان له والدا فلهذا قدم الاهم وبدأ به فى هذه السورة ثم اشار الى الحجة فقال
ولم يولد كانه قيل اتفاقنا على انه ما كان ولدا لغيره يدل على انه لم يلد وان

لم يلد

لم يلد فى العرفان الغير لا يكون متصفا بصفة الاحدية الثانى لماذا اقتصر على ذكر الماضى
فقال لم يلد ولم يقل ولن يلد والجواب انه اقتصر عليه لما انه ورد جوابا عن قولهم ولد الله
قال تعالى الا انهم من افكهم الآية وذلك فى الماضى ورد الجواب على وفق السؤال الثالث لم قال
فى هذا الموضع لم يلد وفى موضع آخر لم يتخذ ولدا والجواب ان لفظ الولد قد يطلق على الولد
الحقيقى وقد يطلق على غير الحقيقى والنصارى فريقان منهم من قال عيسى ولد الله ومنهم من قال
بل اتخذه ولدا كما اتخذ ابراهيم خليلا تشريفا له فقوله لم يلد اشارة الى نفى الولد الحقيقى وقوله
لم يتخذ الى غير الحقيقى الرابع نفى كونه تعالى والدا او مولودا هل يمكن ان يعلم بالسمع حتى يكون
فى ذكره هنا فائدة والجواب نفى كونه والدا مستفاد من العلم بانه تعالى ليس بجسم ولا بشىء يمكن
ان ينقسم ونفى كونه تعالى مولودا المستفاد من العلم بانه تعالى قديم والعلم بكل واحد من
هذين الاصلين متقدم على العلم بصحة النبوة والكتاب استفادتهما من الدلائل السمعية
واما الفائدة فى الذكر هنا فقد بينا فى ان المراد من كونه تعالى احدا كونه فى ذاته منزها عن
القسمة ومن كونه صمدا كونه واجبا فى ذاته وصفاته ولو كان كذلك فالاحدية والصمدية
يدلان على نفى الوالدية والمولودية فلما ذكر السبب الموجب لانتفاء الوالدية والمولودية
ذكر هذين الحكمين تنبيها على الدلائل العقلية القاطعة على انتفائهما الخامس هل فى
قوله تعالى لم يلد ولم يولد فائدة سوى نفى الوالدية والمولودية قلنا فيه فوائد كثيرة منها
ما مر ذكره ان احدا اشارة الى انه تعالى منزه عن الكثرة والقسمة والصمد اشارة الى انه منزه
عن الاضداد والانداد وانهما من جملة ما يتفق عليه الجمهور من ارباب الملل غير ان الفلاسفة
ذهبوا الى انه تعالى واحد يصدر عنه الواحد وهو العقل ثم من ذلك العقل عقل آخر الى ان
ينتهى الى العقل الذى هو مدبر هذا العالم وهو عالم العناصر كما مر فانه سبحانه وتعالى
نفى الوالدية والمولودية وغيرهما من الصفات الدالة على الحدوث ليعلم ان المؤثر فى سائر
الموجودات والمدبر فيها ليس هو الا الله الاحد الصمد العالم القادر القاهر الذى ليس كمثله

شيء وهو السميع البصير قوله تعالى ولم يكن له كفوا احد فيه سؤالات الاول نفي الكفو
لا يكون مخصوصا بوقت دون وقت فلم خصصه بالماضي والجواب انا بيناه قبل ان نفي
الكفو في وقت من الاوقات يفيد النفي في جميع الاوقات فالنفي في الماضي يفيد النفي ازلا وابدا
الثاني الكلام الفصيح عند اهل اللغة ان يؤخر الظرف الذي هو غير مستقر فلم قدم مع افصح
الكلام والجواب ان هذا الكلام انما سيق لنفي المكافاة عن ذات الله واللفظ الدال على هذا
المعنى هو اللفظ المشتمل على تقديم هذا الظرف لما انه هو الاهم وتقديم الاهم اولى الثالث
كيف حال القراءة في هذه الاية والجواب قرئ كفوا بضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء
والاصل هو الضم والكل بمعنى واحد ثم لاهل التفسير فيه وجوه عن كعب وعطا لم يكن له مثل
ولا عديل وعن مجاهد لم يكن له صاحبة وانه مناسب لقوله لم يلد لما انه يؤكده وبالجملة
فالكفو هو غيره لا محالة وغيره في حيز الامكان اي شيء كان وهو واجب لذاته على ما عرف
فكيف يمكن ان يكون الممكن لذاته كفوا للواجب بذاته تعالى وتقدس واعلم ان هذه السورة اربع
ايات وفي ترتيبها انواع من الفوائد يعرف اكثرها بالتامل فيها ما ترى ان الاية الاولى
يدل على انه تعالى واحد والثانية على انه كريم رحيم لانه لا يصمد اليه الا واه يكون كذلك والثالثة
على انه غني على الاطلاق ومنزه عن التغيرات والرابعة على نفي ما يلبق من الصفات ثم قوله احد يبطل
مذهب الثنوية والصابية وامثالهم وقوله الصمد يبطل مذهب اليهود والنصارى كما
مر وقوله كفوا احد يبطل مذهب عبدة الاصنام لما انهم جعلوا الاصنام اكفاء له تعالى
وتقدس اذا عرفت هذا فنقول ان من الفوائد التي اشار اليها الامام المحقق فخر الدين الرازي
رح في تفسيره هو ان قوله الله اسم لمن هو خالق لجميع هذا العالم ومدبر له والصمد
في اللغة عبارة عن المصمد وذكره في حق الله تعالى محال فوجب حمله على الفرد المنزه عن جهات
التركيب وانما قدم الله لانا عرفنا اولا كونه خالقا ومؤثرا ومدبرا لهذا العالم وثانيا كونه
تعالى متعاليا عن جهات التركيب فيقدم ذكره اذن ليكون الترتيب اللفظي مطابقا للترتيب

العقلي

العقلي ثم ان قوله تعالى الله يدل على المؤثر لما مر وافتقار الاثر وهو العالم الى ذلك المؤثر اما
ان يكون حال حدوثه او حال عدمه لا محالة فان تحصيل الحاصل محال في التقديرين وجب القول
بقدم الصانع تعالى وتقدس والا يلزم اما الدور واما التسلسل ولما ثبت حدوث العالم وقدم
صانعه فنقول ثانير الصانع في وجود العالم اما بالطبع والايجاد وانه باطل لما ان العلة لا تنفك
عن المعلول فيلزم اما قدم العالم واما حدوث الصانع وذلك محال لما مر واما بالقدرة والاختيار
وانه حق فيكون قادرا والقادر اذا فعل فعلا محكما فلا بد وان يكون عالما ولا بد ايضا من
ان يختص فعله بوقت وذلك بالارادة فيكون مريدا ولما ثبت انه تعالى عالم قادر مريد ثبت انه
حي فنقول ان قوله تعالى يدل على هذه الصفات الثبوتية واما الصمد فانه يدل على انه فرد مطلق
وكونه فردا يدل على انه ليس بجسم اذ الجسم مركب ولا متحيز ايضا اذ المتحيز منقسم و
المنقسم مركب ولا حال في المتحيز اذ الحال لا يكون بدون المحل فيكون معه فذلك مركب ولا محل
للمتحيز كذلك وكذلك يدل على ان لا يكون له ضد ولانه ايضا لانا اذا فرضنا غيره موجودا
هو واجب الوجود فكان ذلك الموجود يشاركه في الوجوب بالذات وتغايره في التعيين فيكون مركبا
والمركب ممكن فيكون الواجب ممكنا وهذا محال فثبت انه لا يمكن في الوجود موجود واجب الوجود
لذاته الا الواحد وثبت ان قوله الله يدل على جميع الصفات الثبوتية وان قوله الصمد يدل على جميع
الصفات السلبية واما قوله تعالى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فاعلم ان العادة جارية
الى تقديم الاصل والقاعدة على ما هو من الاحكام المبنية عليها وهذه السورة مرتبة على هذا
المنهاج لانه ذكر اولا كونه الها ثم توسل بكونه الها الى كونه صمدا ثم رتب على كونه صمدا احكاما
ثلثة احدها قوله تعالى لم يلد اي لا يتولد عنه غيره فان التولد عبارة عن ان ينفصل عنه جزء من
اجزائه مساو له في الذات بالقوة اولا وبالفعل ثانيا ولا جزء له فهذا محال وثانيها قوله تعالى
ولم يولد اي انه غير متولد عن غيره اذ لو كان متولدا عن الغير لكان مفتقرا اليه فلا يكون واجبا
لذاته وثالثها قوله تعالى ولم يكن له كفوا احد وذلك لانا اذا فرضنا مكافيا له في الوجود كان ذلك

اما ان يكون ممكنا وهو محال او واجبا وانه محال ايضا والا لامكن ان يكون الواجب لذاته
اكبر من واحد وذلك لا يمكن لما مر واما فضائل هذه السورة فكثيرة منها ما روي عن النبي
عليه السلام ان قراءة هذه السورة تعدل قراءة ثلث القران ولا يبعد ان يكون هذا بجهة
ان معظم المقصود من القران بيان التوحيد والنبوة والاحكام الشرعية وهذه السورة
مشتملة على بيان التوحيد وما يدل عليه فان قوله تعالى الله احد مدلول قوله الله الصمد مدلول
قوله لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ومنها ما روي عنه عليه السلام انه سمع رجلا يقرأ
قل هو الله احد فقال وجبت فقيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة ثم من الدلائل
العقلية ما يدل على ان اعظم درجات العبد ان يكون قلبه مستنيرا بنور جلال الله وكبريائه
وذلك لا يحصل على سبيل الاستمرار الا من هذه السورة لما انها الصق من كانت محفوظة وكانت
مذكورة لذلك فيكون لها من الفضل ما لا يكون لغيرها من السور سورة الفلق مختلف فيها
وهي خمس آيات واما اتصال هذه السورة بتلك السورة فلان تلك السورة في بيان الوحدانية
وما يدل عليها والوحدانية لا يحصل بالحقيقة الا ان يكون النفس سالمة عن الوساوس
الشيطانية وسلامة النفس لا يحصل الا بالاستعاذة الى تلك الحضرة بسم الله الرحمن الرحيم
قل اعوذ برب الفلق واعلم بان من اللوازم قبل الخوض في تفسير هذه السورة ان
يذكر في الفصلين ما نقل عن البعض من العارفين في تفسيرها بين السورتين اما الفصل الاول
فقد نقل عن البعض منهم انهم قالوا ان الله تعالى لما شرح امر الالهية في سورة الاخلاص ذكر
هذه السورة عقيبها في شرح مخلوقاته فقال اولا قل اعوذ برب الفلق وذلك لان
ظلمات العدم غير متناهية والحق سبحانه فلق تلك الظلمات بانوار التكوين والايجاد والابداع
فلهذا قال قل اعوذ برب الفلق ثم قال من شر ما خلق والوجه فيه ان عالم الممكنات على قسمين
عالم الامر وعالم الخلق على ما قال الا له الخلق والامر ثم عالم الامر مبرأ عن الشرور والآفات اما
عالم الخلق وهو عالم الاجسام والجسمانيات ففيه من الشرور وانما سمي بعالم الخلق لان الخلق هو التقدير

والله الصمد

والاجسام

والاجسام مقدرة بمقادير الطول والعرض والعمق ولما كان الامر كذلك قال قل اعوذ
برب فلق الظلمات بانوار الايجاد والابداع من الشرور الواقعة في عالم الخلق ثم
الاجسام في هذا العالم اما فلكية واما عنصرية والفلكية بريئة عن الاختلال والفطور
على ما قال تعالى في خلق الرحمن الاية اما العنصرية فانها مشتملة على الجماد والنبات والحيوان اما
الجمادات فانها خالية عن القوى النفسانية فالظلمة فيها خالصة والانوار عنها زائلة وهو
المراد من قوله من شر غاسق اذا وقب فاما النباتات فالقوة الغاذية فيها هي التي تزيد في الطول
والعرض والعمق معا فهذه القوة كانها تنفث في العقد الثلث واما الحيوانات فالقوى الحيوانية
فيها هي الحواس الظاهرة والحواس الباطنة والشهوة والغضب وهذه كلها تمنع النفس
الانسانية عن الانتقال الى عالم الغيب والاشتغال بتقديس جلال حضرته تعالى وتقدس وهو
المراد من قوله ومن شر حاسد اذا حسد ثم النفس الانسانية لها مراتب لا جرم قطع
هذه السورة وذكر بعدها في سورة الناس مراتب درجات النفس الانسانية في الترقي وذلك
لانها باصل فطرتها مستعدة لان يحصل لها معرفة ذاته تعالى وصفاته الا انها في اول الامر خالية
عن هذه المعارف بالكلية ثم في المرتبة الثانية يحصل فيها علوم اولية يمكن التوصل بها الى
غيرها من العلوم النظرية ثم في آخر الامر يستخرج العلوم النظرية من القوة الى الفعل فقوله تعالى
قل اعوذ برب الناس اشارة الى المرتبة الاولى من مراتب النفس الانسانية وهي حال كونها
خالية عن جميع العلوم البديهية والكسبية لان لها في تلك المرتبة احتياج الى الرب ثم
في المرتبة الثانية وهي عند حصول العلوم البديهية يحصل لها ملكة الانتقال منها الى
العلوم النظرية وهو المراد من قوله ملك الناس ثم في المرتبة الثالثة وهي عند خروج تلك
العلوم من القوة الى الفعل يحصل لها الكمال التام وهو المراد من قوله اله الناس فكان الحق
سبحانه سمى نفسه في كل مرتبة بما يليق بتلك المرتبة ثم قال من شر الوسواس الخناس والمراد
منه القوة الوهمية وانما سمي بالخناس لان العقل والوهم يتساعدان على تسليم بعض

المقدمات ثم أدى الأمر إلى النتيجة فالعقل يساعد على النتيجة والوهم ينخنس ويمتنع عن تسليمها ثم إنه تعالى بيّن أن ضرر هذا الخناس عظيم على العقل وأنه قل ما ينفك أحد منه فكأنه تعالى في هذه السورة راتب النفس الإنسانية ونبه على عدوها وعلى ما يتميز العقل عن الوهم وهناك آخر درجات مراتب الإنسانية فلهذا اختتم الكتاب الكريم والفرقان العظيم عليه وأما الفصل الثاني فإنه في سبب النزول وذلك بوجوه منها ما روي أن جبرئيل عليه السلام أتاه وقال عفريت من الجن يكيد لك فقال إذا أويت إلى فراشك قل أعوذ برب هاتين السورتين ومنها أنه تعالى أنزلهما عليه ليكونا رقية من العين وعن سعيد بن المسيب أن قريشا قالوا تعالوا نتجوع فنعين محمدا ففعلوا ثم أتوه وقالوا ما أشد عضدك وأقوى ظهرك وأنضر وجهك فأنزل الله تعالى المعوذتين ومنها وهو قول الجمهور [المفسرين] أن لبيد بن أعصم اليهودي سحر النبي عليه السلام في إحدى عشر عقدة في وتر دسه في بئر يقال له ذروان فمرض رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد مرضه ثلث ليال فنزلت المعوذتان لذلك وأخبره جبرئيل عن موضع السحر فأرسل عليا فجاء به فقال جبرئيل عليه السلام اقرأ آية فقرأ فكلما قرأ آية انحلت عقدة فكان يجد بعض الخفة والراحة ثم المعتزلة أنكروا ذلك وعن القاضي أنه قال كيف يمكن القول بصحة هذه الرواية والله تعالى يقول والله يعصمك من الناس وقال ولا يفلح الساحر ولأن الكفار كانوا يعيرونه فإنه مسحور فلو صحت هذه الرواية لكانوا صادقين في تلك الدعوى ثم من أهل السنة من أجاب عما قال بأنها منقولة عن الثقات وقد سبق الكلام في سورة البقرة وأما قول الكفرة فالمراد أنه مجنون أزيل عقله بواسطة السحر وذلك غير ما رويناه ولما فرغنا عن هذين الفصلين فلنرجع إلى تفسير كل واحدة من هاتين السورتين أما قوله تعالى قل أعوذ برب الفلق ففيه مباحث الأول في قوله تعالى قل فوائد منها أنه تعالى لما أمر بقراءة سورة الإخلاص تنزيها له عما لا يليق به في ذاته وصفاته وكان ذلك من الطاعات فكأن العبد يقول إلهي هذه الطاعة عظيمة فلا أثق

بنفسي

بنفسي في الوفاء بها فقال تعالى قل أعوذ برب الفلق أي استعذ بالله حتى يوفقك بهذه الطاعة ومنها أن الكفار لما سألوا الرسول عن أوصاف الله تعالى بما لا يليق به فكأنه عليه [السلام] قال بأي أمر أخلص نفسي من هذه الجهلة الذين تجاسروا وقالوا فيك ما لا يليق بك فقال تعالى قل أعوذ برب الفلق ومنها كأنه تعالى قال إني وإن شرفتك بهذا التشريف لكن فلا تأمن من شر الحساد واستعذ بحضرتي وقل أعوذ برب الفلق الثاني اختلفوا في أنه هل يجوز الاستعانة بالرقى والعوذ أم لا ومنهم من قال بأنه يجوز لما فيه من الأخبار والآثار روي عن النبي صلى الله عليه وسلم اشتكى فرقاه جبرئيل عليه السلام فقال بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك والله يشفيك وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا من الأوجاع كلها والحمى هذا الدعاء بسم الله الكريم أعوذ بالله العظيم من شر كل عرق نعار ومن شر حر النار وعن علي رضي الله عنه أنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل على مريض قال أذهب البأس رب الناس واشف أنت الشافي لا شافي إلا أنت وعن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اشتكى شيئا من جسده قرأ قل هو الله أحد والمعوذتين في كفه اليمنى ومسح المكان الذي يشتكي وبالجملة فالأخبار فيه كثيرة والآثار كذلك ثم من الناس من أنكر لما روي عن جابر أنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرقى و قال إن لله عبادا لا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون وقال عليه السلام لم يتوكل على الله من اكتوى واسترقى واختلفوا في التعليق فروي أنه عليه السلام قال من علق شيئا وكل إليه وأيضا عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه رأى على أم ولده تميمة مربوطة بعضدها فجذبها جذبا عنيفا فقطعها ومنهم من جوزه سئل عن الباقر رضي الله عنه عن التعويذ المعلق على الصبيان فرخص فيه واختلفوا في النفث أيضا فروي عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان ينفث على نفسه إذا اشتكى

بالمعوذات ويمسح بيده فلما اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه الذي توفي فيه طفقت
انفث عليه بالمعوذات التي كان ينفث بها على نفسه وعنه عليه السلام انه كان اذا اخذ مضجعه
نفث في يديه وقرأ فيهما بالمعوذات ثم مسح بهما جسده ومنهم من انكر ذلك قال عكرمة لا ينبغي
للراقي ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد الثالث انه تعالى قال في ابتداء القراءة فاستعذ بالله وقال ههنا
اعوذ برب الفلق وفي موضع آخر وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين ولكن افضل
اسماء الله هو الله واما الرب فانه يطلق على غير الله قال الله ءارباب متفرقون فما السبب
انه عند الامر بالتعوذ لم يقل اعوذ بالله بل قال اعوذ برب الفلق والجواب المشهور عن مثل هذا
السؤال ان ذلك على حسب ما يكون الاستعاذة منه فاذا كان ذلك الامر كان اللائق به ذكر الاسم
الاعظم كما ان الاستعاذة متى كانت لاجل قراءة القرآن فقد قال فاستعذ بالله فان شر الشيطان
عند قراءة القرآن اشد ودفعه اهم ومتى كانت لاجل حفظ النفس والبدن عن السحر كما في هذا
الموضع فقد قال قل اعوذ برب الفلق الرابع ذكروا في الفلق وجوها احدها انه الصبح وهو
قول الاكثر يقال هو فعل بمعنى مفعول يقال هو ابين من فلق الصبح وتخصيصه بالتعوذ
هو ان القادر على ازالة ظلمة الليل قادر على دفع ما يخافه العائذ ويخشاه وايضا ان الصبح
كالمثل لحال الانسان في الظلام كلحم على وضم فاذا ظهر الصبح وكأنه صاح بالانام السحر صح
وبشر بالفرج ولهذا السبب يجد كل مريض ومهموم خفة في وقت الصبح فالحق سبحانه يقول
قل اعوذ برب يعطي انعام فلق الصبح من غير تضرع فكيف بعد التضرع ولعل تخصيص
الصبح بالذكر في هذا الموضع لانه وقت دعاء المضطرين واجابة الملهوفين وكذلك
وقت التضرع والاستغفار قال تعالى والمستغفرين بالاسحار ويحتمل تخصيصه بالذكر لانه
على مثال يوم القيامة وقد كان الخلق في القبور كالاموات على ما عرفوا وثانيها انه عبارة عن
جميع ما فيه من الفلق نحو الارض عن النبات ان الله فالق الحب والنوى والجبال عن العيون
قال وان منها لما يتفجر منه الانهار والسحاب عن الامطار وغير ذلك وبالجملة فالخلق

كلهم

كلهم في ظلمات العدم فالله سبحانه فلق تلك الظلمات بالابداع والايجاد بقدرته الكاملة ورحمته
الشاملة وهذا هو المراد بالفلق وهذا هو الاقرب في الوجوه واما الخالق واما المخلوق فكأنه
قال قل اعوذ برب جميع المخلوقات كلهم من المحدثات والمبدعات فيكون فيه من التعظيم ما ليس في
الصبح لان الصبح من جملة المحدثات وثالثها انه اسم واد في جهنم عن بعض الصحابة
انه ذكر لفظ الفلق فقيل وما الفلق قال بيت اذا فتح صاح جميع اهل النار من شدة حره
وانما خصه هنا لانه هو القادر على مثل هذا التعذيب العظيم وقد كانت رحمته اعظم وتم
من تحطه فبالحري ان يقدر على دفع ما يقع فيه العائذ قوله تعالى **من شر ما خلق** وفيه
عنهما بحثان احدهما في تفسير هذه الآية وذلك بوجوه احدها قال عطاء عن ابن عباس رضي الله
ان المراد منه الشيطان على الخصوص لانه تعالى لم يخلق خلقا هو اشد منه شرا ولان السورة
انما نزلت في الاستعاذة من السحر وذلك انما يتم بابليس واعوانه وثانيها المراد منه جهنم
كانه تعالى يقول قل اعوذ برب جهنم ومن شدائد ما خلق فيها وثالثها من شر ما خلق
يريد من شر اصناف الحيوانات المؤذيات كالسباع ونحوها ولا يبعد انه يدخل كل ما يمكن
ان يصدر منه الايذاء اي شيء كان من الحيوان وغير ذلك ورابعها من شر ما خلق يعني
من شر الامراض والاسقام والقحط وغير ذلك من جميع انواع المحن والآفات وهذا من جملة
ما لا يصح على مذهب المعتزلة لان فعله تعالى لا يوصف بانه شر والا يلزم ان الذي امر بالتعوذ
منه هو الذي يتعوذ به وذلك متناقض ولان فعله تعالى لا يخلو عن الحكمة وما فيه من الحكمة
فلا يوصف بالشر واهل السنة اجابوا عن الاول بانا بينا انه لا امتناع في قولنا
اعوذ بك منك وعن الثاني ان الانسان لما تألم فانه يقول هذا شر فورد اللفظ على وفق
قوله كما في قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ثم من جملة ما يدل على صحة اطلاق لفظ الشرور
على الامراض والاسقام قوله تعالى واذا مسه الشر كان جزوعا وقوله واذا مسه الشر
فذو دعاء عريض وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول واعوذ بك من شر طوارق

الليل والنهار وثانيها ان البعض من الجهال طعن في قوله تعالى قل اعوذ برب الفلق
من شر ما خلق وذلك بوجوه منها ان المستعاذ منه اما واقع بقضاء الله وقدره
وح لا يصح ان يامر بان يستعيذ بالله منه وان ذلك واقع لا محالة او لا بقضاء الله تعالى
وقدره وح يلزم القدح في جميع ملكه تعالى وملكوته ومنها ان المستعاذ منه ان كان معلوم
الوقوع فلا دافع له وان كان معلوم اللاوقوع فلا حاجة الى الاستعاذة ومنها ان المستعاذ
منه ان كان مصلحة فلا يصح ان يامر بدفعه ومنعه وان كان مفسدة فلم خلقه وقدره والجواب
الحق عنه ان المستعاذ منه عند المكلف لا يدري بانه واقع بقضاء الله وقدره او لا بقضاء
الله وقدره وقد كان فيه من الاختلاف انه اذا كان شرا فهل يكون بقضاء الله تعالى وقدره ام لا
وكذلك لا يكون معلوم الوقوع عنده ولا معلوم اللاوقوع ايضا اذ المعلوم عنده احدهما باطل
التعيين وكذلك لا يكون مصلحة ولا مفسدة ايضا بل يمكن ان يكون مشتملا عليهما او الغالب
فيه اما المصلحة واما المفسدة والامر والنهي على حسب ما يمكن عند المكلف من العلم والقدرة
وغير ذلك مما يشاهده في نفسه لا بحسب ما يكون في الحقيقة اذ هو الغيب فلا يعلمه الا الله قوله تعالى
ومن شر غاسق اذا وقب ذكروا في الغاسق وجوها احدها الغاسق هو الليل اذا
عظم ظلامه من قولهم غسق الليل وهذا قول الفراء وابي عبيدة وثانيها وهو قول
الزجاج الغاسق في اللغة هو البارد وانما سمي الليل غاسقا لانه ابرد من النهار وثالثها
وهو قول قوم من اهل اللغة الغاسق هو السائل من قولهم غسقت العين اذا سالت
بالماء وسمي الليل غاسقا لانصباب ظلامه على الارض واما الوقوب فهو دخول الشيء
في شيء آخر والايقاب ادخال الشيء في الوقبة والوقبة النقرة هذا بحسب اللغة واما
بحسب التفسير ففيه اقوال احدها ان الغاسق اذا وقب هو الليل اذا دخل وانما امر بالاستعاذة
من شر الليل لان في الليل تخرج السباع من آجامها والهوام من مكامنها وفي القوم
ان في الليل ينتشر الارواح المؤذية المسماة بالجن والشياطين وذلك لان قوة شعاع

الشمس كانها يقهرهم اما في الليل فيحصل لهم نوع استيلاء وثانيها الغاسق اذا وقب
هو القمر وانما سمي بالقمر لانه ينكسف فيغسق اي يذهب ضوؤه قال ابن قتيبة الغاسق والاستعاذة
بالله من شره اذا وقب اي اذا دخل في الكسوف واما قوله فهو دخوله في ذلك الاسوداد وقيل
وقوبه هو انمحاء نوره في آخر الشهر والمنجمون يقولون انه في آخر الشهر يكون منحوسا قليل
القوة لانه لا يزال ينقص نوره ويزداد نحوسته ولذلك السحرة انما يشتغلون بالسحر
المورث للمرض في هذا الوقت وهذا مناسب لسبب النزول الذي مر ذكره في السحر وثالثها
قال ابن زيد الغاسق اذا وقب هو الثريا اذا سقطت قال وكانت الاسقام تكثر عند
وقوعها وترتفع عند طلوعها ولهذا سمي الثريا غاسقا لانصبابه عند وقوعه في المغرب
ووقوبه دخوله تحت الارض ورابعها الغاسق اذا وقب هو الشمس اذا غابت وانما سميت
غاسقا لانها في الفلك كانها تسبح فسمي سيرها بالغسق ووقوبها غيبتها ودخولها
تحت الارض وخامسها قال في الكشاف يجوز ان يراد بالغاسق الاسود من الحيات ووقوبه ضربه
ونقبه والوقب والنقب واحد واعلم ان هذا التاويل اضعف **ومن شر النفاثات
في العقد** فيه مباحث الاول في الآية قولان احدهما النفث النفخ مع ريق هكذا قاله
الكشاف ومنهم من قال النفخ فقط ومنه قوله عليه السلام ان جبريل نفث في روعي
والعقد جمع عقدة والسبب فيه هو ان الساحر اذا اخذ في قراءة الرقية اخذ خيطا ولا يزال
يعقد عليه عقدا بعد عقد وينفث في تلك العقد وانما جاءت النفاثات لان هذه الصنعة
انما تعرف بالنساء لانهن من اهل هذه الصنعة لما ان الاصل الاعظم فيه ربط القلب
بذلك الامر واحكام الهمة والوهم وانما يتاتى من النساء لقلة عقلهن وشدة شهوتهن فلا جرم
كان هذا العمل فيه اقوى قال ابو عبيدة النفاثات هن بنات لبيد بن اعصم اليهودي فانهن
في سحر النبي عليه السلام كما مر وقيل المراد من النفاثات النفوس وقيل المراد منها الجماعات
والقول في الآية وهو اختيار ابي مسلم من شر النفاثات اي من شر النساء في العقد يعني في عزائم

الرجال وارثهم والمعنى ان النساء لكثرة حبهن في قلوب الرجال تصرفن الرجال لينتقلوا
من راي الى راي ومن عزيمة الى عزيمة فامر الله تع رسوله بالتعوذ من شرهن قال تعالى ان من
ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم قوله تع **ومن شر حاسد اذا حسد** من
المعلوم ان الحاسد هو الذي يغتم منتصفا بصفة من الصفات الحميدة بل يريد ان يزيل تلك
الصفة عنه اذا امكن ازالتها وانه من اشد الاعداء فلذلك امر الله تع بالتعوذ من شر
ولا يبعد ان يدخل في الشر المذكور في هذه الاية مضرة بعد اخرى جميع ما يخوف ويحذر منه
دينا ودنيا فانه عليه السلام فرح بنزول هذه السورة لكونها جامعة في التعوذ لكل امر
ثم لقائل ان يقول قوله تع من شر ما خلق عام في جميع ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة من
الغير بعد ذلك والجواب انما ذكر الاستعاذة بعده تنبيها على ان هذه الشرور اعظم انواع الشر
ولئن قال هب انه كذلك لكن لم عرف بعض المستعاذ منه دون البعض والجواب عرف النفاثات
لما ان كل نفاثة شريرة وما عرف الغاسق لانه ليس كل غاسق شريرا وعلى هذا في الحاسد
لانه ليس كل حاسد شريرا ثم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا المعوذتين فكانما
قرا الكتب التي انزلها الله تع **سورة الناس مختلف فيها وهي ست ايات** هذه السورة
متصلة بتلك السورة لما ان الله تع امر بالاستعاذة في تلك السورة لدفع ما يكون من الشرور الخاصة
فرادا وفي هذه السورة لدفع ما يكون من الشرور اي شر كان فانه من حيث انه شر لازم
الدفع والدفع بالحقيقة لا يكون في وسع العبد فيلزمه الاستعاذة بالحضرة لاجل ذلك الدفع
بسم الله الرحمن الرحيم **قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس** فيه مباحث
الاول قرئ قل اعوذ بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام كما في قوله تع فخذ اربعة من الطير
ثم القراء اتفقوا على ترك الامالة في الناس وعن الكسائي الامالة في الناس اذا كان في موضع
الخفض الثاني انه تع رب جميع المخلوقات من الناس وغير الناس وانما قال رب الناس على التخصيص
لان الاستعاذة في هذه السورة من شر من يوسوس في صدور الناس وايضا انما قال رب

الناس لان الشرور مخصوصة بالناس في الاغلب لان الشر يصدر من البعض منهم
في حق البعض منهم وايضا انما قال لان المامور بالاستعاذة هو الانسان الثالث قوله تع
ملك الناس اله الناس وانهما عطف بيان موصفا ولا بانه رب الناس والرب قد يكون
ملكا وقد لا يكون كما يقال ملك الروم مثلا فبينه بقوله اله الناس وهذا هو الخاص اذ
الالهية من جملة ما لا يمكن ان يشاركه غيره فيه وايضا انه تع بدا بذكر الرب وهو اسم
من قام بتدبيره واصلاحه والقادر على تدبير العبد واصلاحه لا يكون الا ملكا
ينفذ حكمه في الغير ولا ينفذ حكم غيره فيه فيفتقر اليه غيره وانه لا يفتقر الى الغير اصلا فلهذا
ذكر عقيب رب الناس ملك الناس ولما كان الملك متصفا بانه يفتقر اليه غيره ولا يفتقر
هو الى غيره كان على الغير ان يظهر العبودية ويشتغل بعبادته لما انه مستحق للعبادة بذاته
فقد ذكر عقيب ملك الناس اله الناس وايضا ان ما عرفه اولا هو الرب لما انه علم بانه
حادث والحادث مفتقر الى محدث يحدثه ويخرجه من كتم العدم الى فضاء الوجود وعرف نعمه
بجوده وذلك هو التربية في حقه فلهذا كان يقول رب الناس ثم يشتغل بمعرفة هذه
الصفة وهي صفة الربوبية الى معرفة جلال حضرته وكمال علمه وقدرته واستغنائه عن
الخلق كله فيعرف كونه ملكا يفتقر اليه غيره وهو لا يفتقر الى الغير فكان يقول ملك الناس ثم يشتغل
بمعرفة هذه الصفات الى معرفة عظمة حضرته لا من حيث انه يعرفها كما هي بل من حيث انه
يعرف عجزه عن معرفة عظمة حضرته كما هي فيعرف كونه الها ولهت العقول في ادراك ذاته
وصفاته كما هو حقه ولهذا يقول اله الناس الرابع ذكر وافي تكرير لفظ الناس انه انما
تكررت بحسب هذه الصفات التي مر ذكرها وذلك لان عطف البيان يحتاج الى مزيد الاظهار
دون الاضمار ولان التكرير في هذا الموضع يقتضي مزيد شرف الناس فانه تع اضاف ذاته
بصفة كونه ربا الى الناس فقال رب الناس ثم اضاف بصفة كونه ملكا فقال ملك الناس
ثم اضاف بصفة كونه الها فقال اله الناس ومثل هذه الاضافة يدل على الشرف لا محالة

الخنس انه تعالى ذكر هنا ملك الناس وذكر في الفاتحة ملك يوم الدين ثم في الفاتحة يصح ان
يقرأ مالك يوم الدين وفي هذه السورة لا يصح فما الفرق بينهما ان قوله تعالى رب الناس افاد
كونه مالكا لهم فلا بد وان يذكر عقيبه هذا المالك ليفيد انه مالك لهم ومع كونه مالكا فهو ملك
ايضا فان قيل لو كان كما ذكرتم لكان التكرار لازما في الفاتحة لما قال انه قوله تعالى
رب العالمين مفيد كونه مالكا فاذا قرئ مالك يوم الدين فقد تكرر فنقول في الفاتحة رب
العالمين كان مضافا الى شيء وهو العالم الموجود المشتمل على جميع العالمين ومالك
يوم الدين كان مضافا الى شيء آخر وهو ما ليس بموجود لكنه تعالى قادر على ايجاده والجواب
الظاهر عن الاول ان يقال انه لا يكون واردا الاولان لا يقرأ مالك الناس وقد قرئ في الشواذ
قوله تعالى **من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة**
والناس الوسواس اسم بمعنى الموسوس واما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال و
المراد به الشيطان وانما سمي بالمصدر لانه كانه وسوسة في نفسه والكلام في الوسوسة
قد تقدم في قوله فوسوس لهما الشيطان والخناس فهو الذي عادته ان يخنس منسوب الى
الخنوس وهو التأخر وعن سعيد بن جبير رحمه الله اذا ذكر الانسان ربه خنس الشيطان
وولى واذا غفل وسوس اليه وقوله تعالى الذي يوسوس في صدور الناس فذكروا في الذي
يوسوس انه يجري في محله الحركات الثلث فالجر على الصفة والرفع على الابتداء والنصب على
الذم ويحسن ان يقف القارئ على الخناس ويبتدئ بالذي يوسوس بالوجه الثاني واما قوله تعالى
من الجنة والناس ففيه وجوه احدها كانه يقول الوسواس الخناس قد يكون من الجنة وقد
يكون من الناس وكما ان شيطان الجن يوسوس فكذلك شيطان الانس وذلك لانه ترى
نفسه كالناصح المشفق وهو في نفسه من الشيطان بل هو اسوء واشد عداوة من
منهم ثم وثانيها قال قوم الذي يوسوس من الجنة والناس انه قسمان من قوله في
صدور الناس كان القدر المشترك بين الانس والجن فسمي انسانا فيكون الانسان

واقعا على النوعين المختلفين بالاشتراك اللفظي نوع من الجن ونوع من الانس قال تعالى
انه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وهذا الوجه ضعيف جدا لما انه بعيد
من اللغة ان الانسان اسم جنس يقع على الجن والانس والجن انما سموا جنا لاجتنابهم
والناس ناسا لظهورهم من الايناس وهو الابصار وقال في الكشاف من اراد تقرير هذا
الوجه فالاولى ان يقول المراد من قوله يوسوس في صدور الناس اي في صدور الناسي كما في
قوله تعالى يوم يدع الداع واذا كان المراد من الناس هو الناسي يمكن اطلاقه على الجن والانس
وثالثها ان يكون المراد اعوذ برب الناس من الوسواس الخناس من الجنة والناس
كانه استعاذ بربه من ذلك الشيطان الواحد ثم استعاذ بربه من جميع الجنة والناس
واعلم ان المستعاذ به في هذه السورة مذكورة بصفات ثلث وهي الرب والملك والاله و
المستعاذ منه آفة واحدة وهي الوسوسة والمطلوب منه سلامة الدين والمستعاذ به
في تلك السورة مذكور بصفة واحدة وهي الرب والمستعاذ منه ثلثة انواع من الآفات وهي
الغاسق والنفاثات والحاسد والمطلوب منه سلامة النفس والبدن ثم فيه من التنبيه على
ان مضرة الدين وان قلت اعظم من مضار الدنيا وان عظمت والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

تم تنميق هذا الشرح المسمى بتفسير النسفي على يد يوسف بن محمد القنوري عفي عنهما
العفو الغني في وقت اذان العصر في اليوم الخامس عشر من ذي الحجة الشريفة
من سنة اربع وثلثين ومائة والف من هجرة من له العز والشرف
اللهم اغفر لكاتبه ولوالديه ولكاسبته ولاحبابه ولمن قرا من هذا الشرح
ودعى اليه والى مؤلفه ولمن احسن اليه واساء اليه من المومنين والمومنات والمسلمين
والمسلمات ولسائر المومنين والمومنات من الاحياء والاموات
٥ بحرمة نبينا محمد عليه افضل الصلوات ٥
تم